مقدمة شرح نهج البلاغة

للإمام العلامة كمال الدين ميثم البحراني
المتوفى سنة ٦٧٩ هـ

« فن البلاغة والخطابة وفضائل الإمام علي »

تقديم وتحقيق
د. عبد القادر حسين
أستاذ البلاغة بجامعة الأزهر

دار الشروق



مقدمة شرح
نهج البلاغة

الطبعة الأولى
١٩٨٧م - ١٤٠٧هـ

© دار الشروق
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ - برقيا: داشروق - تلكس: SHOROK 20175 LE
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقيا: شروق - تلكس: 93091 SHROK UN
SHOROUK INTERNATIONAL: 316/318 REGENT STREET, LONDON W1, UK, TEL: 637 2743/4, TELEX: SHOROK 25779G

منزلة علي بن أبي طالب :

كان الرسول ﷺ يحب علياً حباً جماً ، ويقربه منه ؛ فهو ابن عمه ، وهو الذي افتداه بنفسه يوم تآمر المشركون على قتله فبات في فراشه ، وهو أول من أسلم من الصبيان ، فكان الرسول يعظمه ويكنيه بأبي التراب ، وما كان لعلي كرم الله وجهه اسم أحب إليه من أبي التراب ، وكان يفرح إذا دعي بهذه الكنية ؛ لأن الرسول هو الذي أطلق عليه هذه الكنية ؛ فقد جاءه الرسول وهو مضطجع بالمسجد قد سقط رداؤه عن شقّه فأصابه تراب ، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول : قم أبا التراب ، قم أبا التراب ، وعلي بن أبي طالب من أهل البيت الذين حرمت عليهم الصدقة ؛ لأن الصدقة من أوساخ الناس ، فهي تطهرهم من الرجس والأدران التي علقت بهم ، والله يريد أن يذهب عن أهل بيت الرسول الرجس ويطهرهم من أوضارها : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً) فقد قام رسول الله يوماً خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكّر ، ثم قال : . . . وأهل بيتي ، أذكركم الله من أهل بيتي ، فقال حصين بن سبْره ليزيد بن حيان ـ وكانا يستمعان إلى خطبة رسول الله ـ ، ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرُم الصدقة بعده ، قال : ومن هم؟ قال : هم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس . قال : كل هؤلاء حُرِم الصدقة ؟ قال : نعم .

ومن شدة تقدير الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب أنه أسند إليه راية الجهاد في غزوة خيبر ؛ لما يعرفه عنه من قوة الشكيمة ، وشدة البأس ،

وصلابة القتال ، في الوقت الـذي يطمـح فيه جمـع من الصحابـة رضوان الله عليهم إلى هذا الشرف العظيم ، وباتـوا وكلهم يرجـو أن ينال الـراية ويحـظى بهذه المنزلة .

قال رسول الله ﷺ يوم خيبر : لأعطينّ هذه الـراية رجـلاً يفتح الله على يديه ، يحب اللَّهَ ورسوله ، ويحبـه اللَّهُ ورسولـه ، قال : فبـات الناس ليلتهم يتحـدثون في ذلـك : أيهم يُعطاهـا؟ فقـال : أين علي بن أبي طـالب ؟ . . . فأرسلوا إليه ، فأتى به ، فأعطاه الراية . . . وقـال : فوالله لأن يهـديَ الله بك رجلاً واحداً خيـر لك من أن يكـون لك حمْـر النَّعَم ، وحمر النعم هي الإبـل الحمـر ؛ وهي أنفس أموال العـرب يضربـون بها المثـل في نفـاسـة الشيء ، وأنه ليس هناك أعظم منه .

وكان الرسول ﷺ ينزّل علياً منه منـزلة هـارون من موسى ، وأن يخلفـه في قـومـه وأهله ليعنى بشئـون أسـرتـه ، ويقـوم على أمـورهم ، ويحمـل همومهم .

فعن سعـد بن أبي وقـاص قـال : خلّف رسـول الله ﷺ عليّ بن أبي طـالب في غـزوة تبـوك ، فقـال : يـا رسـول الله ، تخلّفني في النسـاء والصبيان ، فقال : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى .

كل ذلك يدل على منزلة عليّ من الرسول ، والتصاقـه به ، وحبـه له ، فهـو يسند إليـه راية القتـال في غزوة خيبـر ، ويخلفه في أهله في غـزوة تبوك فيفتـح الله خيبر على يـديـه ، ويحسن الخـلافـة في بيت رسـول الله . فينـال رضا الله وينال رضا رسول الله .

أدب علي بن أبي طالب :

وقد كان الإمام علي بن أبي طالب إماماً في الخـطابة وإمـاماً في تنـاول الأسلوب العربي والبيان العـربي ، وأعظم دليـل على ذلك ، «نهـج البلاغـة» الـذي يعد أسـاساً من أسس البـلاغة العـربية بعـد القـرآن الكـريم والبـلاغـة

النبوية الشريفة ، فنلحظ فيها أن علياً جمع بين روائع البيان الجاهلي المبني على الفطرة السليمة وبين البيان الإسلامي المبني على المنطق القوي ، فكان له بهذا الجمع بين بلاغة الجاهليين وبين بلاغة الرسول ﷺ ما حدا ببعض القائلين أن يقول : كلام عليّ دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين» .

فقد تهيأ لعلي كرم الله وجهه ما لم يتهيأ لأحد من الناس : فقد نشأ في ربوع البلاغة ، في المحيط الذي تسمو فيه الملكات ، وتنمو على الفطرة القويمة ، وقد تربى في حجر رسول الله الذي دانت له أساليب البيان ، وتلقى عنه رسالته بكل ما فيها من إيمان وصدق وحرارة ، بالاضافة إلى هذا الاستعداد الهائل والموهبة الفذة التي حباه الله بها . فكان يستخدم من الألفاظ ما يدعوك إلى التأمل فيها ، فإذا تأملتها وجدتها تفتح أمامك الأبواب المغلقة كما تفتح أمامك آفاقاً من النظر دونها كل كلام آخر . فنراه يرتجل خطبة ويلقيها بداهة دون تحضير سابق ، ومع ذلك فهي تخاطب العقل والوجدان ، فهو يتناول شئون الناس وأحوال الدنيا ووصف الطبيعة بمنطق الحكيم الخبير الذي لا يخلو من العاطفة الجياشة التي تمد هذه الخبرة وهذه الحكمة بوهج المشاعر الفياضة فتسري فيها الحياة قوية متجددة . هذا الامتزاج بين العقل والعاطفة يسري في نهج البلاغة حيثما توجهت في عنفه وغضبه ، أو في رقته وعطفه . فحظه من الذوق الأدبي الخالص حظ وفير ، واحساسه بالجمال إحساس باهر قلّ أن تجد له نظيراً بين قرنائه، فقد كان مطبوعاً على البيان الساحر يرى الشيء ويعيه ثم ينطلق معبراً عنه في بساطة وتلقائية وصدق ، والصدق هو الأساس الأول في أي تعبير فني ، فإذا اعتراه التكلف أو وسم بالتمحل فقدْ فقدَ صفة الفن القويم ؛ لأنه فقد صفة الصدق والطبع السليم .

وإذا كانت البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته . فبهذا المقياس الذي لا يخطيء نجد علياً قد جمع البلاغة من أطرافها

كافة ، فقد بلغ من البلاغة مبلغاً لا يصل إلى أطرافه أحد من الناس ـ إذا استثنينا رسول الله ﷺ ـ فإنشاؤه بليغ يجمع بين الألفاظ الحلوة التي لا تشرد ولا تغترب ، وبين المعاني العميقة التي لا تبتذل ولا تغمض ، فهو رقيق الحاشية في المواضع التي تحتاج إلى الرقة ، عنيف أشد العنف في المواقف التي تحتاج الى الشدة ، فيعطي لكل حال لبوسها ويوفق في حالة الرضا كما يوفق في حالة السخط . فأسلوبه رصين ، ومعانيه متدفقة ، وذوقه سليم ، لا يتكلف ولا يتمحّل ، وطبعه صاف نقي لا يغالي ولا يكذب ، حتى إذا سجع فهو السجع الحلو الذي لا صنعة فيه ولا مراء وإنما يتطلبه المعنى ، بحيث إنك لا تستطيع أن تستبدل به لفظاً عن لفظ ، ولو فعلت لخبا ضوء الكلمات ، وتبدد إشراقها ، كما يفقد المعنى جلاله ، ويضيع عمقه ، فالسجع عنده ضرورة فنية يقتضيها المقام ويتطلبها المعنى وليس أقل من ذلك .

ونستطيع أن نقول إن عليّ بن أبي طالب قد بلغ من قوة بيانه ـ في العصر الجاهلي أو عصر الخلفاء الراشدين ـ مبلغاً لم يصل إليه واحد من أعلام الخطابة في هذين العصرين أو في العصور اللاحقة لهما ؛ لما فطره الله عليه من سحر البيان، وما أفاض به عليه من ذوق رفيع ، وما منحه الله من علم انفرد به عن أقرانه ، فكان قوي الحجة ، ساطع البرهان ، صادقاً في أقواله وخطبه التي يرتجلها ارتجّالاً دون تحضير سابق ، فكان يكشف معادن الناس ، ويصف أخلاقهم وطباعهم في تلقائية قل أن تجد لها نظيراً عند الخطباء الماهرين في أي عصر من العصور . لذلك تجد كثيراً من أقواله تجري مجرى الأمثال السائرة والحكم البليغة من حيث صدقها وعموميتها التي تجعلها صالحة لكل زمان ومكان .

فعليّ بن أبي طالب بهذا المقياس أديب من أمهر الأدباء ، خطيب عظيم الشأن بين الخطباء ، تمرّس بأساليب البلاغة وملك ناصيتها ، فكان له هذا النتاج العظيم الذي يتمثل في نهج البلاغة خطباً وحكماً ووصايا

وكتباً . وصدق قول القائل : إن كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق .

وقد نسب جمع كتاب نهج البلاغة بجميع أغراضه من خطب وكتب ومواعظ وحكم إلى الشريف الرضي والمتوفي ٤٠٦ هـ) عند معظم المحققين من العلماء ، إلا أن القليل منهم قد شكّك في نسبة جمع هذا الكتاب إلى الشريف الرضي فعزا جمعه إلى أخيه الشريف المرتضى (المتوفي ٤٣٦ هـ) ومن هؤلاء العلماء ابن خلكان (المتوفي ٦٨١ هـ) قال : «وقد اختلف الناس ؛ هل هو جمعه ، أي : «الشريف المرتضي» أم جمع أخيه الرضي[١] .

وقد سار على هذا الرأي الذهبيّ (المتوفي ٧٤٨ هـ) فجزم بأن واضع الكتاب هو الشريف المرتضي[٢] .

ومهما يكن من شيء فإننا نجد نصّاً صريحاً يشير بل يجزم إلى أن الذي جمع خطب الإمام علي وكتبه ومواعظه وحكمه هو الشريف الرضي ، وليس أخاه الشريف المرتضى ؛ ففي كتاب حقائق التأويل في متشابه التنزيل لمؤلفه الشريف الرضي ؛ نراه بعد ان يصف الإمام علياً بأنه انفرد بطريق الفصاحة التي لا تزاحمه عليها المناكب ، ولا يلحق به الكادح الجاهد ، يقول : «ومن أراد أن يعلم برهان ما أشرنا إليه من ذلك ، فلينعم النظر في كتابنا الذي ألفناه وسمناه «بنهج البلاغة» ، وجعلناه يشتمل على مختار جميع الواقع إلينا ، من كلام أمير المؤمنين في جميع الانحاء والأغراض ، والأجناس والأنواع : من خطب وكتب ومواعظ وحكم ، وبوّبناه أبواباً ثلاثة ، . . . وقد عظم الانتفاع به ، وكثر الطالبون له ، لعظيم قدر ما ضمنه : من عجائب الفصاحة وبدائعها ، وشرائف الكلم ونفائسها ، وجواهر الفِقر ـ الجمل المختارة ـ وفرائدها»[٣] .

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٤١٦ .

(٢) ميزان الاعتدال ٣/ ١٢٤ .

(٣) حقائق التأويل ٥/ ١٦٧ ط بيروت .

ففي هـذا النص ما يؤكـد لنا أن الـذي جمـع هـذا الكتـاب ووسمـه بنهـج البلاغة هو الشريف الرضي دون شك أو لبس .

وقـد أثار محققـا نهج البـلاغة بشـرح الامام محمـد عبده في الـدراسـة التي قاما بها عن هذا الكتاب ان «شروح نهج البلاغة بالعـربية والفـارسية قـد نيف على أربعين شـرحـاً ، وأهم هـذه الشـروح واوفـاهـا شـرح ابن أبي الحديد ، وقـد سبقه من أصحـاب الشروح إلى ذلـك ابو الحسن البيهقي (ت ٥٨٨ هـ) وأبـو الحسين الـراونـدي (ت ٥٧٣ هـ) وجـاء من بعـدهم ميثم البحـراني (ت ٦٧٩ هـ) وكمـال الـدين العتـائقي الـذي ألف شـرحـه سنة ٧٧٠ هـ .

أما كتاب شـرح نهج البـلاغة لمؤلفـه كمال الدين ميثم البحراني ، فهـو كتـاب من عدة كتب تـركها لنـا هذا المصنف الجليـل ، وعددهـا ستـة عشـر كتاباً أحصيتها في الدراسـة التي كتبتها عنـه عند تحقيق كتـابه أصـول البلاغـة التي تفضلت بنشـره دار الشروق. إلا أن كتـاب شرح نهـج البلاغـة قد حـظي باهتمام بالغ من المؤلف، فقد شرحه ثلاثة شروح مختلفة:

١ ـ شـرح كبير في عـدة مجلدات ، وهو حقيق بـأن يكتب بالنـور على الأحداق ، لا بالحبر على الأوراق .

٢ ـ وشـرح صغير على نهـج البلاغـة ، وهو كتـاب جيـد مفيـد جـداً ، ويذكر الزركلي[1] في الاعلام أن البحراني قد فرغ من تأليف شـرحه الصغيـر لنهج البلاغة سنة احدى وثمانين وستمائة ، وهو كتاب مطبوع .

٣ ـ وشـرح متـوسط على نهـج البـلاغـة ، قـال عنـه صـاحب لؤلؤة البحرين[2] : إن للشيخ ميثم البحـراني شرحـاً ثالثـاً على كتاب نهـج البلاغـة متوسطاً .

---

(١) الاعلام ٨/ ٢٩٣ ،ط ٢ .

(٢) لؤلؤة البحرين ط النجف.

فكتاب نهج البلاغة ـ إذن ـ قد شرحه ميثم البحراني ثلاثة شروح : كبير ومتوسط وصغير . أي أن هذا الشرح قد راعى فيه المؤلف طبقات الناس الفكرية والعلمية ، فوضع الشرح الكبير لخاصة الناس ، والمتوسط لأوساط الناس ، والصغير لعامتهم ، فأرضى بذلك كل الأذواق والميول والرغبات ، ولذلك يقول صاحب كتاب مجمع البحرين عن الشيخ ميثم وكتابه : إن ميثم البحراني شيخ صدق ثقة ، له تصانيف منها : شرح نهج البلاغة لم يعمل مثله .

وميثم البحراني أديب متكلم من فقهاء الامامية من أهل البحرين ، زار العراق ، وتوفي في سنة ٦٧٩ هـ على أرجح الأقوال ، وقبره في بلاد البحرين .

وقد رأى المؤلف أن يضع مقدمة ضافية عن كتابه شرح نهج البلاغة ، ورتب هذه المقدمة على ثلاث قواعد :

القاعدة الأولى : في مباحث الألفاظ وهي مرتبة على قسمين :

القسم الأول : في دلالة الألفاظ ، وأقسامها ، وأحكامها .

والقسم الثاني : في الكيفيات التي تلحق الألفاظ بالنسبة إلى معانيها فتوجب لها الحسن والمزية ، وتعدّها أتم الاعداد لأداء المعاني ،وتهيىء الذهن للقبول .

والقاعدة الثانية : في الخطابة ؛ في حقيقتها وفائدتها ، وموضوعاتها ومبادئها والأمور المحسّنة لها .

أما **القاعدة الثالثة**: فقد بيّن فيها أن عليّاً كرم الله وجهه كان مستجمعاً للفضائل الانسانية ، والنفسية ، والعملية ، وفي صدور الكرامات عنه ، والأفعال الخارقة للعادة .

وكتابة هذه المقدمة بقواعدها الثلاث رآها المؤلف ضرورية قبل أن

يطلع القاريء على شرحه ، فهي بمثابة المنار الذي يهديه ليفهم الأصول البلاغية التي امتلأ بها شرحه لنهج البلاغة ؛ لأن قراءة هذا الشرح دون أن تكون للقاريء خلفية بلاغية تجعله يتيه في خضم من قواعد البلاغة وشروحها ، فرأى المؤلف أن يفرد القاعدة الأولى من هذه المقدمة في أصول البلاغة ونظم الأساليب، حتى يدرك القارىء ما كان عليه عليّ رضي الله عنه من بلاغة رفيعة وأسلوب فذ.

وكما كان علي كرم الله وجهه متصفاً بالبلاغة ، فقد كان خطيباً من الطراز الأول ؛ لذلك وضع المؤلف القاعدة الثانية في الخطابة ومبادئها وفائدتها والأمور المحسنة لها ، حتى يتبين القاريء هذا المستوى الرفيع الذي بلغ شأوه علي كرم الله وجهه في خطابته.

أما القاعدة الثالثة : فقد وضعها المؤلف لنطلع على الفضائل الانسانية والنفسية التي يحملها الإمام علي ، فكانت هذه الفضائل سمة من السمات التي تجعله يتصف بكثير من الصفات الحسنة التي عرى منها كثير من الخلق .

وقد اعتمدت في تحقيق هذه المقدمة على ثلاث نسخ : منها اثنتان مخطوطتان :

الاولى : مصورة عن نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٦٣٨٠ أدب وقد كتبت هذه النسخة بخط نسخ جميل ، وعدد لوحاتها ٦٨ لوحة في كل لوحة صفحتان ورمزت إليها بالحرف (أ) .

والثانية: مصورة عن نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٢١٨ أدب ، وقد كتبت بخط دقيق جداً ، وعدد لوحاتها احدى وثلاثون لوحة ، وكل لوحة تشتمل على صفحتين ، ورمزت إليها بالحرف (ب) .

أما الثالثة: فهي المقدمة المطبوعة لشرح نهج البلاغة وتقع في تسعين صفحة وهي نسخة غير محققة ، وقد رمزت اليها بالحرف (م).

وقــد وضعت فهــارس مفصلة تعين القــاريء وتهــديــه للرجـــوع إلى الصفحات والنقاط التي يريدها في سهولة ويسر .

والله أسأل أن ينفع بنشر هذه المقدمة طلاب العلم ومحبّي البلاغة .

مدينة نصر ـ أول فبراير ١٩٨٤ .

د . عبد القادر حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك اللهم وبحمدك توحدت في ذاتك عن ادراك انسان كل عارف وتفردت في صفاتك فقصرت مدحتك عن
لسان كل واصف احتجبت في بدايع جودك فشهدت بوجوب وجودك حاجة كل قابل وبهرت بعز جلالك فالكل في نور
جلالك متحير [illegible] الا انما علمك فلم يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وتقدست الاؤك فتقدرت انوار نعماك
عن التحديد والاحصاء [illegible] الدنيا [illegible] استعدت فيه [illegible] الى حضرة قدسك وايدتهم بارسال [illegible]
من افضل السبل الى باب [illegible] وسيرت [illegible] لعلهم [illegible] ايات يتفكرون ومن عبادتك يستكبرون
ويعقلون [illegible] ومن باب [illegible] جودك [illegible] سبحانك انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون سبحانك عما يقول الظالمون وتعاليت عما يصفون [illegible] المقال بالعشي و
الابكار واحمدك في كل [illegible] اناء الليل واطراف النهار واشهد ان لا اله الا انت [illegible] سواك
[illegible] طوي الاعلان والاسرار واشهد ان محمدا عبدك وصفوة انبيائك
[illegible] الذي بعثته بالانوار الساطعة وايدته بالبراهين والحجج القاطعة وبعثته للعالمين بشيرا ونذيرا وداعيا
اليك باذنك وسراجا منيرا اللهم فصل عليه صلوة دائمة نامية وافية كافية ما تعاقبت الاوقات وبقيت
الارض والسموات وعلى آله الطاهرين المنتجبين [illegible] الحكمة واساطين الدين وعلى اصحابه الاكرمين وسلم تسليما
[illegible] فلما كان المقصود الاول من بعثة الانبياء والرسل بالكتب الالهية والنواميس الشرعية انما
هو جذب الخلق الى الواحد الحق [illegible] من [illegible] وتشويق [illegible] الى جوار القدس
ومنازل الابرار [illegible] وكانت من ذلك [illegible] ونشر [illegible] الى [illegible]
[illegible] فطرة [illegible] من [illegible] الطبيعة [illegible] بتذكير ما اخذ عليهم من العهد القديم الم اعهد
اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ثم ما يلزم ذلك المقصود
من تتميم [illegible] المعاش البدني [illegible] لنوع الانساني وكان [illegible] سيد الوصيين وامير
المؤمنين ذو الآيات الباهرة والانوار الظاهرة علي بن ابي طالب عليه السلام من [illegible] من الكلام [illegible]
[illegible] من الافعال والاحكام [illegible] بجميع ما تضمنه الشرع الكريم من الاغراض والمقاصد [illegible] ما اشتمل عليه القرآن الكريم

من القوانين والقواعد حتى لن يوجد لكلمة في غير هذا السبيل كما ستبيّن ذلك من قليل ونوضحه بالتفصيل فلا جرم كان
كلامه الكلام الذي عليه مسحة من الكلام الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي ولم يزل كلامه عليه السلام مبددا في صدور
الرواة منتشرا في ايدي المهتدين والغواة يحاول اعداؤه ان يخفى مشهوره ويابى الله الا ان يتم نوره الى ان اعتضد بعد
الاسلام بوجود السيد الامام الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي قدس الله سره ونوّر ضريحه فانتقى من كلام جده الرقائق
وجمع منه ما كان في حيز الشتات وبالغ في تدوين محاسنه بقدر الاستطاعة وسمى مجموعه بنهج البلاغة فجاء الاسم وفق المسمى
واللفظ طبق المعنى فجزاه الله من العلماء خير الجزاء وحباه من وظائف الفضل اجزل الحباء ثم اني ما زلت عبدا من عباده
اتمنى رحمة من عنده وملكني قوة اسلك بها سبيل قصده وكنت قد جعلت هذا الكتاب بعد كتاب الله وكلام رسوله مصباحا
استضيء به في الظلمات وسلما اعرج به الى اطباق السموات كنت في اثناء وقوفي على شيء من اسراره والتحلي بسواطع
انواره اتاسف على من يعرض عنه جهلا واتلهف لماجد لا اجد له اهلا الى ان قضت صروف الزمن مفارقة الاهل والوطن
واوجبت تقلبات الايام دخول دار السلام فوجدتها منتزهة للناظر وآية للحكيم القادر ثم تهيا احوال تدبيرها والقاء مقاليد
امورها الى من خصه الله تعالى باشرف الكمالات الانسانية وحلاه بملكات الفضائل النفسانية فهو امرؤ شملت طبيعته
من طينة الفضل حين ينتسب فالعلم والجود والشجاعة والعفة والعدل منه يكتسب نعم هو من شمله الله لاستكفاء
امور عباده وبلاده وجعلها مطاعة لازمة قياده فاوامره العالية تسري فيها مسرى الارواح في الاجسام ونواهيه العالية
تجري فيها مجرى الصحة بعد السقام الذي حاز اعلى المناقب ففاز باسنى المطالب وسما بهمته الثواقب فامن عوائل العواقب
الذي بدرت اقمار العلوم بدولته السعيدة بعد الافول في غياهب الجهالة وسطع صبح الحق بطلعته الحميدة من افق العلاء
ورقة ذيول ظلام الظلم بجز مدته وازهرت روض الرغائب بفيض سحائب فضله المشيد لاركان الاسلام بعد التداعي
للانهدام المجدد من آثار الايمان ما محاه طوفان الطغيان صاحب ديوان الملك السالك الى الله اقرب المسالك علاء
الحق والدين عطا ملك بن الصاحب المعظم والمولى المكرم الفائز بلقاء رب العالمين ومجاورة الملائكة المقربين بهاء الحق
والدين محمد الجويني ضاعف الله جلاله وخلد اقباله وحرس عزه وكماله وادام فضله وافضاله وفسح في مدة عمره وايّده
بتوفيقه وشد ازره بدوام عز صنوه وشقيقه الذي فاق ملوك الآفاق بعلو القدرة وكمال العز والفخر ورصانة العلم
والادب ورزانة العقل والحسب الذي ملأ الاسماع بجميل اوصافه وافعم اوعية الاطماع بجزيل الطافه والذي به يليق
وابن به ما قيل من قبله في الكرم والجود هو البحر من اي النواحي اتيته فلجته المعروف والجود ساحله [illegible] بسط الكف
حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه انامله ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله نعم هو من جمع الله له بين
الملك والسلطان وزاده بسطة في المرتبة وعلو الشان ذو النفس القدسية والخلافة الانسية والاعراق الزكية والاخلاق
المرضية والهمم العالية والمقاصد السنية مولى ملوك العرب والعجم صاحب ديوان ممالك العالم شمس الحق والدين غياث

والمنصوصية امر تميز فيه المرتبة بالمعصوم [illegible] تلك الافعال وتلك الصفة لاجل المزاج الاصلي [illegible]

[illegible] او بسبب الكسب والاجتهاد فالمرتبة والصفة [illegible] الذي يكون بسبب المزاج الاصلي فهذه المعجزات من الانبياء او

الكرامات من الاولياء فان [illegible] الاجتهاد فالمرتبة [illegible] النفس في [illegible] الكمال [illegible]

[illegible] الشروط في الامور [illegible] من [illegible] الى [illegible] الكمال [illegible] ان الشرط الاول [illegible]

[illegible]

ابو احمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام ويسمى
بذي الحسبين لاجتماع اسباب الفخر الذي هو شرف النسب مع فضيلة نفسه وكماله بالعلم والادب وكان مولده ببغداد سنة تسع وخمسين
وثلثمائة وتوفي في المحرم سنة ست واربعمائة بالكرخ من بغداد ودفن مع ابيه المرتضى بجوار جده الحسين عليه السلام خطبة
الكتاب قال رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد حمد الله الذي جعل الحمد
ثمنا لنعمائه ومعاذا من بلائه ووسيلا الى جنانه وسببا لزيادة احسانه والصلوة على رسوله نبي الرحمة وامام الائمة وسراج الامة
المنتجب من طينة الكرم وسلالة المجد الاقدم ومغرس الفخار المعرق وفرع العلاء المثمر المورق وعلى اهل بيته مصابيح الظلم وعصم
الامم ومنار الدين الواضحة ومثاقيل الفضل الراجحة صلى الله عليهم اجمعين صلوة تكون ازاء لفضلهم ومكافاة لعملهم وكفاء لطيب فرعهم
واصلهم ما انار فجر ساطع وخوى نجم طالع فاني كنت في عنفوان السن وغضاضة الغصن ابتدأت بتاليف كتاب في خصائص الائمة عليهم
السلام يشتمل على محاسن اخبارهم وجواهر كلامهم حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب وجعلته امام الكلام وفرغت من الخصائص التي تخص
امير المؤمنين عليا عليه السلام وعاقت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الايام ومماطلات الزمان وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك ابوابا وفصلته فصولا فجاء في آخرها فصل
يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والامثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة فاستحسن جماعة من الاصدقاء
ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدائعه ومتعجبين من نواصعه وسألوني عند ذلك ان ابتدئ بتاليف كتاب يحتوي على مختار
كلام امير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وادب علما ان ذلك يتضمن من عجائب البلاغة
وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنياوية ما لا يوجد مجتمعا في كلام ولا مجموع الاطراف في كتاب اذ كان امير
المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه عليه السلام ظهر مكنونها وعنه اخذت قوانينها وعلى امثلته
حذا كل قائل خطيب وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ومع ذلك فقد سبق وقصروا وتقدم وتاخروا لان كلامه عليه السلام الكلام الذي
عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي فاجبتهم الى الابتداء بذلك عالما بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الاجر
واعتمدت به ان ابين من عظيم قدر امير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافة الى المحاسن الدثرة والفضائل الجمة وانه عليه السلام انفرد ببلوغ
غايتها من جميع السلف الاولين الذين انما يؤثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد فاما كلامه عليه السلام فهو البحر الذي لا يساجل
والجم الذي لا يحافل واردت ان يسوغ لي التمثل في الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق اولئك آبائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع
ورأيت كلامه عليه السلام يدور على اقطاب ثلاثة اولها الخطب والاوامر وثانيها الكتب والرسائل وثالثها الحكم والمواعظ فاجمعت بتوفيق
الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والادب مفردا لكل صنف من ذلك بابا ومفصلا فيه اوراقا
لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلا ويقع الي آجلا واذا جاء شيء من كلامه عليه السلام الخارج في اثناء حوار او جواب سؤال او غرض آخر من
الاغراض في غير الانحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته الى اليق الابواب به واشدها ملامحة لغرضه وربما جاء فيما اختاره
من ذلك فصول غير متسقة ومحاسن كلم غير منتظمة لاني اورد النكت واللمع ولا اقصد التتالي والنسق ومن عجائبه عليه السلام التي انفرد بها وأمن المشاركة

بسم الله الرحمن الرحيم

(٦ أ) سبحانَك اللّهم وبحمْدك توحَّدْتَ في ذاتك ، فحَسَر[١] عن إدراكك إنسانُ كلِّ عارف ، وتفرّدْت في صفاتك ، فقصّر عن مدحتك لسانُ كلِّ واصف ، ظهرْتَ في بدائع جُودك ، فشهدَتْ بوجوبِ وجودِك حاجةُ كلِّ قائل ، وبُهرتُ بعزّ جلالك فالكلّ في نور جمالك مضمحلٌّ باطل ، أحاط علمُك فلم يعزُبْ[٢] عنه مثقالُ ذرّةٍ من الأرض ولا في السماء ، وتعدّدتْ آلاؤك[٣] .فتعدّت أنواعها حدّ التحديدوالإحصاء ،خَلقْتَ الدنيا مِضْمَاراً[٤] يستعدّ فيه خلقُك للسباق إلى حضرة قدْسك ، وأيّدتهم بالرسل ليسلكوا بهم أفضلَ السُبُل إلى بِساط أُنْسك ، ويسّرْت كُلًّا لما خُلق له ، فبعضٌ لنعمائك منكرون ، وعن عبادتك مستكبرون ، وبعضٌ بضروب إحسانك معترفون ، وعلى باب كعبة جُودك معتكفون[٥] ، سبحانك أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، سبحانك عما يقول الظالمون ، (٦ ب) وتعاليْت عما يصفون ، سبحانك بلسان الحال والمقال بالعشيّ والإبكار ، وأحمدك على كل حال ، آناء الليل وأطراف النهار ، وأشهد أن لا إله إلا أنت حاذفاً كل ما سواك عن درجة الاعتبار[٦] ، مخلصاً لجلال وجهك في طوري الإعلان

---

(١) حسر بصرُه ، أي كلّ وانقطع نظره من طول المدى ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير**﴾ الملك ٤ ، أي ينقلب صاغراً وهو كليل . اللسان مادة حسر .

(٢) لا يعزب عنه مثقال ذرة ، أي : لا يغيب عن علمه شيء مهما دق وصغر .

(٣) تعدّدت آلاؤك ، أي : تجاوزت نعمك كل حصر .

(٤) مضمار الفرس : غايته في السباق .

(٥) معتكفون : مقبلون عليه مواظبون لا يصرفون عنه وجوههم ، ومنه قوله تعالى : ﴿**ظلْت عليه عاكفاً**﴾طه ٩٧ أي مقيماً .

(٦) أي لا أركن إلى أحد سواك .

والإسرار[٧] ، وأشهد أنّ محمداً عبدُك المختار ، وصفْوةُ أنبيائك الأطهار، الذي بعثتَه بالأنوار الساطعة ، وأيّدتَه بالبراهين والحجج القاطعة ، وجعلتَه للعالمين بشيراً ونذيراً، وداعياً إليك بإذنك وسراجاً منيراً ، اللهم (صلّ)[٨] عليه صلاةً دائمة نامية وافية كافية ما تعاقبت الأوقات ، ودامت الأرضُ والسموات ، وعلى آله الطاهرين المنْتَجِبين[٩] ينابيعَ الحكمة ، وأساطينَ الدين ، وعلى أصحابه الأكرمين ، والسلام عليهم أجمعين .

أما بعد ، فلما كان المقصود الأول من بعثة الأنبياء والرسل بالكتب الإلَهية ، والنواميس الشرعية إنما هو جذبُ الخلْق إلى الواحد الحق ، ومعالجةُ نفوسِهم من داء الجهْل ، وعشقِ[١٠] هذه الدار ، وإلفاتُها إلى حظائر القدس ، ومنازلِ الأبرار ، وحمايتُها أن ترِد مواردَ الهلاك ؛ إذ كانت من ذلك على خطر ، وتشويقُها إلى ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلْب بشر ، وتنبيها من مراقد الطبيعة ونوم الغافلين بتذكر[١١] ما أخذ عليها من العهد الكريم: **﴿ألَمْ أعْهدْ اليكمْ يا بَنِي آدَمَ أنْ لاَ تَعْبُدُوا الشيطانَ إنّهُ لكمْ عَدُوٌّ مُبين ، وأَنِ اعبدوني هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقيم﴾**[١٢] .

---

(٧) أي أتوجه إليك في السر والعلانية .

٨ ـ اللهم فصّل في جميع النسخ .

(٩) ـ المنتجب : المختار من كل شيء ، وقد انتجب فلان فلاناً ، إذا استخلصه واصطفاه اختياراً على غيره ، وانتجبه : أخذه ، والمراد : الذين اختاروا وأخذوا ينابيع الحكمة . اللسان مادة نجب .

ـ أساطين مفردها أسطوانة ، والصحيح في وزنها فُعْلُوانه لقولهم في التكسير أساطين كسراحين ، والمراد بأساطين الدين : دعائم الدين وقواعده . اللسان مادة سطن .

ـ النواميس جمع ناموس ، وناموس الرجل صاحب سرّه الذي يطلعه على باطن أمره ويخصه بما يستره عن غيره ، أي ان الله خص الأنبياء بالكتب الإلَهية والوحي .

(١٠) وعسق في أ

(١١) بتذكير في ب .

(١٢) (١٢) سورة يس ٦٠ ، ٦١ .

(٧ أ) ثم ما يلزم ذلك المقصود من تدبير أحوال المعاسِ البدنيّ ، وسائرِ أسباب البقاء للنوّع الإنسانيّ ، وكان إمامنا سيدُ الوصيّين وأميرُ المؤمنين ، ذو الآيات الباهرة ، والأنوارِ [الظاهرة][١٣] : عليُّ بن أبي طالب عليه السلام في جميع ما ورد عنه من الكلام ، وصدر عنه من الأفعال والأحكام ، قاصداً بجميع ما تضمّنه الشرع الكريم من [الأغراض][١٤] والمقاصد ، باسطاً لما اشتمل عليه القرآن الحكيم من القوانين والقواعد ، حتى لن تُوجَدَ له كلمةٌ في غير هذا السبيل ، كما سنبيّن ذلك عن (قريب)[١٥] ونوضحه بالتفصيل ، فلا جَرَمَ[١٦] كان كلامه الكلامَ الذي عليه مَسْحَةٌ[١٧] من الكلام الإلَهي ، وفيه عَبَقةٌ[١٨] من الكلام النبوي ، ولم يزل كلامه عليه السلام مَبَدَّداً[١٩] في صدور الرُّواة ، منتشراً في أيدي المهتدين والغواة ، تحاول أعداؤه أن يَخفى مشهورُه ، ويأبى اللّهُ إلاّ أن يتمَّ نُورَه ، إلى أن عزّ اللّهُ الإسلامَ بوجود السيد الإمام الشريفِ الرضيّ[٢٠] محمدِ بن

---

(١٣) الزاهرة في أ .

ـ علي بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ، ولد لاثنتين وثلاثين سنة من ميلاده ، تزوج فاطمة بنت الرسول ، وأنجب منها الحسن والحسين وزينب وام كلثوم رضي الله عنهم ، بايعه المسلمون بعد مقتل عثمان ، ومات شهيداً بطعنة أحد الخوارج وهو يهم بصلاة الفجر عن ثلاث وستين سنة ، ودفن بالكوفة ، وإليه ينتسب الشيعة العلويون . الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٣ ط ١٩٦٥ .

(١٤) الأعراض في أ ،

(١٥) عن قليل في أ ، ب .

(١٦) لا جرم ، أي : لا محالة .

(١٧) المسح : القول الحسن اللسان مادة مسح .

(١٨) ريح عبِق : لاصق، ورجل عبِق ، إذا تطيّب وتعلق به الطيب فلا يذهب عنه ريحه ، وأصل ذلك من عبق به الشيءُ يَعْبَق عَبَقاً ، إذا لزق به . اللسان مادة عبق .

(١٩) مبدداً : مفرقاً .

(٢٠) ولد سنة ٣٥٩ هـ وتوفي سنة ٤٠٦ هـ ، وله عدة كتب مطبوعة أهمها كتاب «نهج البلاغة» وقد جمعه من كلام الامام علي بن أبي طالب ، الذي اتهمه بعض الدارسين بوضعه ، وبعضهم بالتساهل في الرواية وعدم التدقيق فيما نسبه إلى الإمام عليّ ، وقال بعضهم : =

عليّ بن الحُسين الموسَويّ قدّس الله رُوحه ، ونوّر ضريحه ، فأحيى من كلام جدّه[٢١] الرّفات ، وجمع منه ما كان في حيّز الشّتات ، وبالغ في تدوين محاسنه بقدر الاستطاعة ، وسمّى مجموعَه «بنهج البلاغة»[٢٢] ، فجاء الاسم وَفْق المسمى ، واللفظُ طِبق المعنى ، فجزاه اللّهُ عن العلماء خيرَ الجزاء ، وحَبَاه من وظائف الفضل أجزل الحِباء[٢٣] .

ثم أني لما كنت عبداً من عباد الله آتاني رحمة من عنده ، وملّكني قوّةً أسلُك بها سبيلَ قصْدِه ، وكنتُ قد جَعلتُ هذا الكتابَ بعد كتابِ الله وكلام رسوله مصباحاً استضيء به في الظُّلُمات، وسُلَّماً أعرُجُ به[٢٤] إلى أطباق السموات (٧ ب) ، كنتُ في أثناء وقوفي على شيء من أسراره ، واكتحالي[٢٥] بسواطع أنواره ، أتأسّف علَى مَن يعرِضُ عنه جهْلاً ، وأتلهّف لو أجدُ له أهْلاً ، إلى أن قضتْ صروفُ الزمن[٢٦] بمفارقة الأهل والوطن ، وأوجبت تقلّباتُ الأيام دخولَ دار السلام ، فوجدتها نزهة للناظر ، وآية للحكيم القادر بانتهاء [أحوال[٢٧] تدبيرها ، [وإلقاء[٢٨]

= إنه زيد فيه بعد الرضيّ . الموسوعة ١٠٨٣ ، وله «المجازات النبوية» . وتلخيص البيان في مجازات القرآن» وله أيضاً ديوان شعر مطبوع .

(٢١) يقصد بذلك الإمام عليّ كرم الله وجهه ، والمراد : أنه جمع ما اندثر من كلام أو تفرق .

(٢٢) طبع هذا الكتاب عدة طبعات ، وتناوله كثيرون بالشرح حتى بلغت شروحه اكثر من سبعين شرحاً ، اشهرها وأوسعها شرح ابن أبي الحديد المتوفي ٦٥٥ ، ولنهج البلاغة شروح باللغة الفارسية ، ولكمال الدين ميثم البحراني شرح كبير لهذا الكتاب الذي نقوم بتحقيق مقدمته ، وقد نحا فيه ميثم البحرانيّ منحًى بلاغياً .

(٢٣) حباه الله : أعطاه ، والحباء : ما يحبو به الرجل صاحبه ويكرمه به ، وحابى الرجل حباء : نصره واختصه ، ومال إليه . اللسان مادة حبا .

(٢٤) اعرج به : أصعد به .

(٢٥) يقال : اكتحلت الأرض بالخضرة وذلك حين ترى أول خضرة النبات فتبدو حسنة المنظر .

(٢٦) صروف الزمن : حدثانه ونوائبه ؛ لأنه يصرف الأشياء عن وجوهها .

(٢٧) أحال في أ .

(٢٨) وألقى في أ .

مقاليد أمورها إلى من خصّه الله تعالى بأشرف الكمالات الإنسانية ، وملّكه ملكات الفضائل النفسانية ، فهو امرؤ(٢٩) مُثِلَتْ طبيعته من طينة الفضل حين ينتسب ؛ فالعلم ، والجود ، والشجاعة ، والعفة ، والعدل ، منه يُكتَسب ، نعم هو من رشّحه الله لاستكفاء أمور عباده وبلاده ، وجعلها مطاوعة لأزمّة قياده(٣٠) ، فأوامره العالية تسري فيها مسرى الأرواح في الأجسام ، وآراؤه الصائبة تجري فيها مَجرى الصحة بعد السقام ، الذي حاز على المناقب ففاز بأسنى المطالب ، وسما بهممه الثواقب(٣١) ، فأمن من غوائل(٣٢) العواقب ، الذي بدرت(٣٣) أقمار العلوم بدولته السعيدة بعد الأفول في غيابة الجهالة ، وسطع صبح الحق بطلعته الحميدة من أفق الضلالة ، ورفع ذيولَ ظلام الظلم(٣٤) فجرُ عدله ، وأزهرت روضُ الرغائب(٣٥) بفيض سحاب فضله، المشيِّدُ لأركان الإسلام بعد التداعي للانهدام ، المجدّد من آثارِ الإيمان ما محاه طوفانُ الطغيان . صاحب ديوان الممالك ، السالك إلى الله أفضل(٣٦) المسالك ، علاء الحق والدين ، عطاء المُلْك(٣٧) بن الصاحِب المعظّم والمولى المكرَّم الفائز بلقاء رب

---

(٢٩) المقصود بذلك هو محمد الجويني ، وسيرد ذكر اسمه بعد صفحة واحدة .

(٣٠) اي تتبعه راضية مختارة غير مكرهة ولا عاصية .

(٣١) الثاقب : المضيء ، قال تعالى : «فاتبعه شهاب ثاقب» ، وقال تعالى : «وما أدراك ما الطارق» ، النجم الثاقب» ، أي المضيء ، والمراد بالهمم الثواقب ، النافذة التي ترتفع على غيرها .

(٣٢) غوائل : جمع غائلة وهي الداهية ، والغيلة بالكسر : الخديعة ، يقال : قتل فلان غيلة ، أي : خدعه .

(٣٣) بدرت أقمار العلوم ، أي تمت وكملت ، تشبيهاً بالبدر في تمامه وكماله .

(٣٤) ذيول الظلم في ب .

(٣٥) الرغائب : واحدتها رغيبة ، والرغيبة : الأمر المرغوب فيه .

(٣٦) أقرب في ب .

(٣٧) عطا ملك في ب .

(٨ أ) العالمين ، ومجاورة ملائكته[٣٨] المقرّبين ، بهاء الدنيا والدين : محمد الجوينيّ ، ضاعف اللّهُ جلالَه ، وخلّد إقبالَه ، وحرس عِزَّهُ وكمالَه ، وأيّد فضلَه وإفضالَه ، وفسحَ في مدّ عُمْرِه ، وأمدّه بتوفيقه ، وشدَّ أزرَه بدوام عِزّ صِنْوِه[٣٩] ، وشقيقه الذي فاق ملوك الآفاق بعلوّ القدر ، وكمال العزّ والفخر ، ورصانة العلم والأدب ، ورزانة العقل والحبّ الذي ملأ الأسماع بجميل أوصافه ، وأفاض أوعية الأطماع بجزيل ألطافه ، وأنس بها طَلّ وابل[٤٠] بذله ما قيل من قبله في الكرم وأهله :

هُوَ البحْرُ مِنْ أيِّ النَّواحِي أتيته ... فَلُجّته المعروفُ والجودُ ساحلُه
تعوّد بذلَ الكفّ حتى لو أنّه ... ثناها لقبْضٍ لمْ تُطِعْهُ أنامِلُه
ولوْ لمْ يكنْ في كفِّهِ غيرُ نفسه ... لجادَ بها فلْيَتّقِ اللّهَ سائلُه[٤١]

نعمْ هو من جمعَ اللّهُ له بيْن الحكمةِ والسلطان ، وزاده بسْطةً في المرتَبةِ وعُلُوِّ الشأْن ، ذو النفسِ القُدْسِيّة ، والخلافةِ الإنْسِيّة ، والأعراقِ الزكيّة ، والأخلاقِ الرضيّة ، والهمم الأبيّة ، والمقاصد السّنية ، مولى ملوك العرب والعجم ، صاحبُ ديوان ممالك العالم ، شمسُ الحق والدين ، غياثُ الإسلام والمسلمين ، محمد بلّغه الله أقصى مراتب الكمال ، ورزقه بلوغ الآمال في الحال والمآل ، فإنهما لهذه الأمة بدران مشرقان ، يُستضاءُ

---

(٣٨) الملائكة في ب .

(٣٩) صنوه : الصنو الأخ الشقيق والعم والابن ، وفي الحديث : «عمّ الرجل صنو أبيه» قال أبو عبيد : معناه أن اصلهما واحد اللسان مادة صنا .

(٤٠) الطلّ : أخف المطر ، وقيل : هو الندى ، والوابل : هو المطر الشديد .

(٤١) الأبيات لأبي تمام من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله ومطلعها :

فحواك عين على نجواك يا مَذِلُ ... حتّام لا يتقضّى قولك الخَطِلُ

وفي الديوان : «هو اليمّ» بدلاً من هو البحر ، و«تعوّد بسط الكف» بدلاً من تعدد بذل الكف ، «ولو لم يكن في كفه غير روحه» بدلاً من «غير نفسه» .

الديوان شرح التبريزي ٣/ ٢٩ ط دار المعارف .

بـأنوارهمـا ، وبحران زاخـران يُغترف من تيـارهمـا ، وطَـوْدان[٤٢] شـامخـان يُستعـاذ بـأقـطارهمـا ، وعمـادان يقـوم بهمـا في الـوجـود أركـان الإيمـان ، وصارمان[٤٣] يصول بهما الدين القيّم على سائـر الأديان ، فجـزاهما اللّهُ عن الإسـلام وأهلِه أفضلَ جـزاءِ المحسنين ، وخصّهما من وظـائف فضله بأكمـل مـا أعدّه لعبـاده الصالحين ، وقـرن سعادتَهمـا بالـدوام والاستمـرار ، وعضّـد [آراءهمـا][٤٤] بمطاوعـة الأقضية والأقـدار[٤٥] ، وصـان دولتهمـا عن (٨ ب) حـوادث الأيـام وآفـاتهـا ، وجعـل نتـائجَ أفعـالِ أعـدائهمـا تـابعـةً لأخسّ مقدماتها .

هـذا ، ولمّا اتّفق اتصـالي بخدْمتـه ، وانتهيتُ إلى شـريف حضْـرتـه ، أحلّني من أُنسِـه محـلاًّ ألْهَى النفسَ عن أشهى مـآربهـا[٤٦] ، وأمـطرني من سحـائب جوده نِعَمـاً تشبه الصـورَ الفـائضـة من واهبهـا ، فـأجـرى في بعض محـاوراته الكـريمة من مـدح هـذا الكتـاب[٤٧] وتعـظيمـه وتفضيله وتفخيمـه ما علمتُ معه أنّـه أهله الـذي كنت أطلب ، والعـالِم بقـدْره ومحلّه من بين الكتب ، وتـوسّمت في تضـاعيف[٤٨] ذلـك تشوّق خـاطـرِه المحـروس إلى كشف حقـائقه ، والـوقوف على أسـراره ودقائقـه ، فأحببْتُ أن أجعـل شكري لبعض نعمه السابقة ، ومِنَنِه المتـوالية المتـلاحقة ، أن أخْـدِم سامي مجلسـه بتهذيب شرح مـرتب على القواعـد الحقيقية ، مشحـونٍ بالمبـاحث اليقينية ، أنبّه فيه على ما لاح لي من رموزه ، وأكشف مـا ظهر لي من دفـائنه وكنـوزه ،

---

(٤٢) الطود : الجبل .

(٤٣) الصارم : السيف .

(٤٤) رأيهما في أ .

(٤٥) الأقضية والاقدار : القضاء والقدر .

(٤٦) مآربها : مطالبها واغراضها ومقاصدها .

(٤٧) كتاب نهج البلاغة .

(٤٨) تضاعيف الشيء : ثناياه .

وقد سبق إلى شرح هذا الكتاب جماعةٌ من أولى الألباب[٤٩] ، والناقدُ المسدّد للصواب يميّز القشر من اللباب ، والسّراب من الشّراب ، وشرعت في ذلك بعد أن عاهدتُ الله سبحانه أني لا أنصر فيه مذهباً غير الحق ، ولا أرتكب هوى لمراعاة أحد من الخلْق ، فإن وافق الرأي الأعلى ، فذلك هو المقصد[٥٠] الأقصى ، وإلا فالعذرُ ملتَمس مسئول ، والعفوُ مَرْجُوٌّ مأمول ، والرغبة إلى أهلِ الفضل في سدّ ما يجدونه من خَلَل[٥١] ، وسترِ ما يقفون عليه من زَلَلَ ، فاني ـ مع ضعف جناحي عن[٥٢] سلوك هذا المطار الذي هو مسْرحُ نفوس الأولياء الأبرار (٩ أ) ومحلُّ أنظار الحكماء الكبار[٥٣] ، مقسَّمُ الأفكار ، راكبٌ لمطايا[٥٤] الأسفار ، وعلى الله قصْد السبيل ، وهو حسْبي ونِعْمَ الوكيل .

وقبل الخوْض في المطلوب لا بد من تقديم مقدمة يُستعان بها على ما عسى أن أذكره من المباحث في هذا الشرح إن شاء الله تعالى .

أما المقدمة : فاعلم أن كلامه عليه السلام يشتمل على مباحثَ عظيمة تتشعّب عن علوم جليلة ، يحتاج المتصدّي للخوْض فيه ، وفهْمِ ما يُشْرَح منه بعد جَودة ذهنه ، وصفاء قريحته إلى تقديم أبحاث تُعينه على الوصول إلى تلك المقاصد .

---

(٤٩) بلغ عدد شروح نهج البلاغة بالعربية والفارسية ما ينيف على أربعين شرحاً ومن اصحاب هذه الشروح أبى الحسن البيهقي ت ٥٨٨ ، وأبى الحسين الراوندي ت ٥٧٣ وأهم هذه الشروح شرح ابن أبي الحديد .

(٥٠) المقصد الأقصى : الهدف البعيد المقصود ، وفي التنزيل : وعلى الله قصد السبيل . أي تبيين الطريق المستقيم .

(٥١) الخلل : الفساد والوهْن في الأمر ، وفي رأيه خلل ، اي انتشار وتفرق ، والزلل : الخطأ والذنب ، والمراد ما يقفون عليه من قلق واضطراب .

(٥٢) من سلوك بدلاً من «عن» في النسخة ب .

(٥٣) ومحال أنظار الحكماء الأبرار في النسخة ب .

(٥٤) راكب المطايا الأسفار . في النسخة ب .

ولمّا أبرز عليه السلام مقاصده في ألفاظ خطابيّة ؛ إما منطوق بها ، أو مكتوبة ، تعيّن أن أذكرَ من مباحث الألفاظ قدْراً تمسُّ الحاجة إليه .

ثم أشير إلى بيان معنى الخطابة وما يتعلق بها ؛ ليكون ذلك مُعيناً للناظر في كلامه علَى ملاحظة دقائقه ، ومطالعة أسراره وحقائقه .

ثم أُلحق ذلك بالإشارة إلى ما يتعلق به عليه السلام من الفضائل .

فلا جرم(٥٥) رتّبتُ هذه المقدمة على ثلاث قواعد .

---

(٥٥) لا جرم : لا محالة .



القاعدة الأولى

في مباحث الألفاظ ، وهي مرتَّبةٌ على قسمين:

القسم الأول : في دلالة الألفاظ ، وأقسامها ، وأحكامها .

وفيه فصول:

الفصل الأول :

في دلالة اللفظ على المعنى .

وفيه أبحاث :

البحث الأول : دلالة اللفظ الموضوع[1] إمّا على تمام مسمّاه . أو على جزء مسمّاه من حيث هو جزؤه . أو على الأمر الخارج عن مسمّاه اللازم له في الذهن من حيث هو لازم له .

والدلالة الأولى : هي دلالة المطابقة ؛ كدلالة لفظ الانسان على الحيوان الناطق .

والثانية : دلالة التضمّن[2] ؛ كدلالته على الحيوان وحده ، أو على الناطق وحده . (٩ ب) .

والثالثة : دلالة الالتزام[3] ؛ كدلالته على الضاحك .

واحترزنا في الدلالتين الأخيرتين بقولنا : من حيث هو جزؤه ؛[2] ، ومن حيث هو لازمه ،[3] عن دلالة اللفظ بالمطابقة على جزء المسمى ، أو

(١) دلالة اللفظ إما على تمام مسماه ، وكلمة «الموضوع ساقطة في النسخة ب .

(٢) في دلالة التضمّن .

(٣) في دلالة الالتزام .

على لازمه بحسب الاشتراك اللفظي .

بيانه: إنه إذا جاز أن يوضع اللفظ الواحد للمعنى ولجزئه، كلفظ الممكن مثلاً للمكن الخاص والعام.

وللمعنى ولازمه؛ كلفظ الشمس على جِرْم الشمس، والنور اللازم عنه.

فلو اقتصرنا في تعريف دلالتيْ التضمّن والالتزام على التعريفين المذكورين دون هذين القيدين ، لشمل ذلك دلالة المطابقة على تقدير وضع اللفظ لجزء المعنى أو لازمه ، كما هو موضوع له ؛ إذ كانت أيضاً دلالة اللفظ على جزء مسمّاه وعلى لازم مسمّاه .

البحث الثاني : الدلالة الأولى هي التي بحسب الوضع الصِّرْف ، وأما الباقيتان[٤] ، فزعم الإمام فخر الدين[٥] وجماعة من الفضلاء أنهما عقليّتان .

وفيه نظر[٦]؛ لأنهم إن أرادوا أنهما حاصلتان عن صَرْف العقل من

---

(٤) وأما «العقليان» بدلاً من الباقيتان في ب وهو واضح الفساد .

(٥) الامام فخر الدين هو محمد بن عمر بن الحسين الرازي ، وقد كان أفضل علماء عصره في الفقه وعلوم اللغة والمنطق والمذاهب الكلامية ، يقول ابن خلكان : إن كتبه ممتعة ، وقد انتشرت تصانيفه في البلاد ، واشتغل بها الناس ، ورفضوا كتب المتقدمين ، وأشهر كتبه : التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب ، ونهاية الايجاز في دراية الإعجاز ، وله سبعة وستون كتاباً عدا الكتب التي بدأها ولم يتمّها . وتوفي سنة ٦٠٦ هـ . وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ٤٧٤ . المطبعة الميمنية ١٣١٠ هـ .

(٦) قسم الإمام فخر الدين الرازي الدلالة إلى قسمين: وضعية وعقلية.

فدلالة المطابقة دلالة وضعية؛ لدلالة اللفظ على معناه الذي وضع بإزائه كدلالة لفظ السماء والأرض على ما سمي به.

أما دلالة التضمن ودلالة الالتزام فهما عقليتان.

فالأولى، كدلالة لفظ البيت على السقف الذي هو جزء من البيت؛ لأن لفظ البيت يشمل جميع أجزائه عقلاً ومنه السقف. =

دون مشـاركة الـوضع، فهـو باطـل؛ لأنه لـولا ارتسام المعنى في الـذهن عن اللفظ لما حصلت هاتـان الدلالتان. وأيضاً فـإنهم صرّحـوا بأنهمـا من دلالات الألفاظ، فلا يمكن مع ذلك دعوى حصولهما عن مجرد العقل.

وإن أرادوا بذلك أن الذهن عند تصـوّر المعنى من لفظه ينتقـل منه إلى جزئه أو إلى لازمه فهو حق، وحينئذٍ تكون هاتان الدلالتان بشَـرِكة من الـوضع والعقـل، ثم أنهما مستلزمتـان للدلالة الـوضعيّة من غيـر عكس؛ لجـواز خلوّ المـاهيّـة[7] عن/ (١٠ أ) التـركيب، وعن الـلازم البيّن، ولا يجب أيضـاً أن تَلْزَم إحداهما الأخرى، وهو ظاهر مما مرّ.

البحث الثـالث: ظهر ممـا ذكرنـا أنه يُعتبـر في الدلالـة التضمّنيّة كـون المعنى المدلول عليه بالمطابقة مركّباً.

وأمـا في الالتزاميـة، فالمعتبـر فيـه كـونـه ملزومـاً في الـذهن لأمـر بيّن الثبـوت له؛ إذ لـولا اللزوم الذهني لم يُفِـدْ إطلاقَ اللفظ في المعنى الخـارج عن الماهية؛ لعدم الوضع بإزائه، وعدم انتقـال الذهن عن مـوضوعـه إليه فلم يكن دالًا عليـه؛ إذ المـراد بـدلالـة اللفظ على المعنى، فَهْمـه عنـد إطـلاقـه بالنسبة إلى من يعْلم الوضع، ولا يعتبـر اللزوم الخارجي؛ لجـواز دلالة اللفظ على مـا يلزم مسمّاه في الخـارج إذا لزم من تصـوّره تصوّرَ مسمّـاه، كـدلالـة لفظ عـدم الملكة عليهـا؛ كلفظ العمى على البصـر، ثم اللزوم الـذهْنيّ ليس مُـوجِباً لانتقـال الذهن من الملزوم إلى لازمـه؛ إذ ليس هـو تمـام مـا يتـوقف عليه الدلالـة الالتزاميـة[8]؛ بل لا بـد من تصور الملزوم أولًا، وذلـك متوقف

= والثـانية، كـدلالة لفظ السقف على الحـائط، لامتناع أن يقـوم سقف دون حائط فيلزم عقـلاً من وجود السقف وجود الحائط.

ومن ثم كانت الدلالتان: التضمنية والالتزامية عقليتين.

انظر نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ـ الفخر الرازي ـ ص ٨ ط ١٣١٧ هـ.

(٧) ماهية الشيء: حقيقته وجوهره.

(٨) دلالة الالتزامية في ب.

على ما وضع اللفظ بـإزائه[9]، والعلم بـالوضـع، وسماع اللفظ، أو حضـوره بالبال، فهو إذن أحد الشروط المعدّة لتصوّر اللازم.

البحث الرابع: الـدلالة الحقيقيّـة[10] هي الدلالـة الوضْعيّـة الصّرْفيّـة، وأما الباقيتان فليستا بحقيقيّتيْن، وهو ظاهر.

ولا مجازيّتين أيضاً؛ لأن من شـرط المجاز استعمـال اللفظ في غير مـا وضع له استعمالاً مقصوداً بالذات.

وهاتان الـدلالتان قـد يحصلان من استعمـال اللفظ في مسمّاه حصـولاً عـرضيّاً؛ لأن الـذهن قد ينتقـل عند إطـلاق اللفظ لإرادة مسمّاه إلى جـزئه، أو إلى لازمـه انتقالاً/ (١٠ ب) عـرَضيّاً، وكـذلك إلى جـزء جـزئـه، وإلى لازم لازمـه في مراتب كثيـرة، ومعلوم أن اللفظ أُطلق لإرادة مسمّاه واستعمـل فيـه بـالـذات، لا فيمـا انتقـل الـذهن إليـه من الأجـزاء، واللوازم وإن كـانت (لها)[11] سببيّة في ذلك الانتقال، فلم تكن الـدلالة بـواسطة اللفظ محصـورةً في الحقيقيّـة والمجازيّـة. نعم استعمال اللفظ المـوضوع، وإطـلاقه بـالذات لإرادة المعنى، لا يخلو من أن يكون حقيقيّاً أو مجازيّاً.

---

(٩) على وضع اللفظ بإزائه. في ب.

(١٠) دلالة الحقيقة في ب.

(١١) في جميع النسخ: واللوازم وإن كانت له سببيّة في ذلك الانتقال.

الفصل الثاني

في تقسيم الألفاظ
وفيه أبحاث:

البحث الأول: اللفظ إما أن لا يراد بالجزء منه دلالة أصلاً على شيء، وهو المفرد.

أو يراد بالجزء منه دلالة على شيء، وهو المركب.

لا يقال هذا منقوص بعبد الله، وما يجري مجراه فإنه مفرد مع أن كل واحد من أجزائه دالٌّ؛ لأنّا نقول: قد يُراد بالجزء من عبدالله وأمثاله دلالةٌ، ولا نسلّم أنه بذلك الاعتبار قد يكون مفرداً بل مركّب. وقد لا يراد به الدلالة فيكون مفرداً، فإذا قلنا في رسْمه(١٢): إنه الذي لا يُراد بالجزء منه دلالةٌ أصلاً، كان ذلك معياراً لكل لفظ بالنسبة إلى مراد اللافظ به، فكل لفظ لا يُقصد بجزئه دلالةً كان مفرداً، وهذا هو الرسم القديم للمفرد والمركّب، وقد تبيّن أنه لا حاجة فيه إلى القيد الذي زاده المتأخرون، وهو قولهم من حيث هو جزؤه، فإن الرسمين متساويان.

البحث الثاني: اللفظ المفرد، إما أن يكونَ نفسُ تصوّر معناه مانعاً من وقوع الشركة فيه، وهو الجزئيّ، أو غير مانع، ، / (١١ أ) وهو الكلّيّ.

---

(١٢) التعريف بالرسم ينقسم إلى قسمين:
إما بالرسم التام، أو بالرسم الناقص.
فالرسم التام يكون بالخاصة والجنس القريب؛ كتعريف الإنسان بأنه حيوان ضاحك.
والرسم الناقص يكون بالخاصة وحدها؛ كتعريف الإنسان بأنه ضاحك، أو بالخاصة والجنس البعيد معاً؛ كتعريف الإنسان بأنه جسم ضاحك.

شرح الخبيصي ٥٢ ط ٥

أما الجزئي، فيقال بمعنيَيْن:

أحدهما: ما ذكرناه ويُخص باسم الجزئي الحقيقي.

والثاني: أنه كلّ أخص تحت أعم.

والفرق بينهما أن الأول غيرُ مضاف ولا كلّي، والثاني مضاف إلى ما فوقه، وقد يكون كلّيّاً.

فأما الكلي، فإما أن يعنى به نفس الحقيقة التي لا يمنع تصورها وقوع الشركة فيها، ويسمى كلياً طبيعياً.

أو النسبة التي تعقل لها بالقياس إلى جزئياتها المعقولة، وتسمى تلك النسبة كلياً منطقياً.

أو المجموع المعقول من الحقيقة والنسبة العارضة لها، ويسمى كلياً عقلياً.

ثم للكلي اعتبارات ستة، وذلك لأنه إما أن يكون ممتنعَ الوجود، أو مُمْكِنَه.

والأول، كشريك الإِلَه، والثاني: إما أن لا يُعرف وجودُه أو يُعرف.

فالأول: كجبل من ياقوت، وبحر من زئبق.

والثاني: إما أن يمتنع أن يكون في الوجود منه أكثر من واحد أو يمكن.

والأول: كالإِلَه تعالى.

والثاني: إما أن يكون في الوجود واحد منه فقط، وإن جاز وجود مثله أو أكثر من واحد.

والأول كالشمس عند من يجوّز وجود مثلها.

والثاني: إما أن يكون الموجود منه أشخاصاً كثيرة متناهية أو غير متناهية.

والأول، كالكواكب. والثاني، كأشخاص الإنسان.

البحث الثالث: إما أن يدل على ماهيّة شيء.
أو على ما يكون داخلاً فيها.
أو على ما يكون خارجاً عنها.

أما الدال على الماهية، فإما على ماهية شيء واحد، أو على ماهية أشياء كثيرة.

والأول: إما أن يكون كليّاً أو جزئياً.

والثاني: إما أن تكون تلك الأشياء مختلفة الحقائق، أو متفقة الحقائق.

فهذه أقسام أربعة[13]:

الأول/ [١١ ب]: هو المقول في جواب ما هو بحسب الخصوصية المطلقة كالجواب بالحدّ[14].

والثالث: هو المقول في جواب ما هو بحسب الشركة المطلقة.

والثاني والرابع: هو المقول في جواب ما هو بحسب الشركة والخصوصية معاً.

مثال الأول: قولنا في جواب من يسأل فيقول:

---

(١٣) فهذه أربعة أقسام في أ.

(١٤) الحدّ التام: وهو بالفصل والجنس القريبين، كتعريف الإنسان بأنه حيوان ناطق.
والحدّ الناقص: وهو بالفصل القريب وحده، كتعريف الإنسان بأنه ناطق أو به وبالجنس البعيد، كتعريف الإنسان بأنه جسم ناطق.

شرح الخبيصي ٥٢

ما الإنسان؟ إنه حيوان ناطق، فخصوصية هذا الجواب ليست لغير الإنسان؛ إذ لا يشاركه في حدّه غيره.

والثالث: كقولنا في جواب من يسأل عن جماعة هم إنسان وفرس وثور. ما هم؟ إنها حيوانات؛ إذ كان هذا الجواب كمال الجزء المشترك بينها. فهو إذن مقول بالشركة المطلقة.

والثاني والرابع: كقولنا في جواب من يسأل عن زيد وحده، ما هو؟ إنه إنسان، أو عن جماعة هم زيد وعمرو وخالد، ما هم؟ إنهم أناس، فيكون الجواب في الموضعين واحد.

أو هو بحسب الخصوصية والشركة معاً؛ إذ كل ما لكلّ واحد منها من الأجزاء حاصل الآخر، ولأن خصوصية هذا الجواب ليست لغير المسئول عنه.

وأما الدالّ على جزء الماهية، فإما أن يدل على كمال الجزء المشترك بينها وبين غيرها، وهو الجنس القريب[١٥].

أو على كمال الجزء المميّز لها، وهو الفصل القريب[١٦].

أو على ما يتركب منهما[١٧]، وهو النوع[١٨]، أوْ لا، على واحد من هذه فيكون ذلك جزءاً للجزء، وهو إمّا جنس الجنس[١٩]، أو جنس الفصل، أو فصل الجنس، أو فصل الفصل، كما هو مذكور في مظانّه.

---

(١٥) كتعريف الإنسان بأنه حيوان.

(١٦) كتعريف الإنسان بأنه ناطق.

(١٧) ما يتركب منها، في النسخة ب، أي من الجنس القريب والفصل القريب.

(١٨) النوع: هو ما تكون أفراده متفقة الحقيقة، كما إذا قيل: ما زيد وعمرو وبكر؟ كان الجواب: الإنسان.

(١٩) الأجناس تترتب متصاعدة بأن يكون جنس فوقه جنس وهكذا إلى الجنس العالي الذي يسمى جنس الأجناس، فالحيوان جنس فوقه جنس هو الجنس النامي وفوقه الجسم، وفوقه الجوهر، فالجوهر: جنس الأجناس. شرح الخبيصي ص ٣٩ ط النموذجية.

وأما الدالّ على الخارج عن الماهيّة، فيختص باسم العَرَضِي.

واعتباره من وجهين:
أحدهما: أنه إما أن يكون لازماً، أو لا يكون.

والثاني: هو العارض.

والأول: إما أن يكون لازماً للماهيّة أو للوجود.

[والأول[٢٠]: إما أن يكون [١٢ أ] بيّناً للماهية كالفردية للثلاثة، أو غير بيّن كالتناهي للجسم.

والثاني: كالسواد للغراب.

وأما العارض، فإما سريعُ الزوال، كالقيام والقعود، أو بطيئُه كالشباب.

الوجه الثاني: العَرضيّ[٢١]:

إما أن يختص بنوع واحد لا يوجد لغيره سواء عمّ أفراده أو لم يعُمّ، ويسمى خاصة، كالضاحك للإنسان بالقوة والفعل.

أو لا يختص به، بل يعمّه وغيره، ويسمى عرَضاً عاماً، كالماشي للإنسان.

البحث الرابع: اللفظ والمعنى، إما أن يتّحدا، أو يتكثّرا، أو يتكثّر اللفظ ويتّحد المعنى، أو بالعكس.

أما الأول[٢٢]: فمعناه إما أن يكون كلّيّاً أَوْ جزئيّاً.

فإن كان الأول، فإما أن يكون نسبته إلى أفراده المعقولة بالسّويّة وهو

(٢٠) في النسخة أ. الثاني بدلاً من الأول، وهو خطأ.

(٢١) في النسخة ب وأما العرضي.

(٢٢) وهو ما اتحد فيه اللفظ والمعنى.

المتواطىء[٢٣]، كالإنسان بالنسبة إلى أشخاصه.

أوْ لا بالسّوية؛ بل في بعضها أوّل وأوْلى، وأشدّ وأضعف، وهو المشكِّك[٢٤]، كلفظ الوجود.

والثاني[٢٥]: هو العلَم، كزيد.

والثاني[٢٦]: الأسماء المتباينة[٢٧] سواء تفاصلت مفهوماتُها، كالإنسان والفرس، أو تواصلت على أن بعضها اسم للذات، والآخر اسم للصفة؛ كالسيف والصارم، أو على أن بعضها اسم للصفة، والآخر لصفة الصفة؛ كالناطق والفصيح.

والثالث[٢٨]: الأسماء المترادفة[٢٩]، سواء كانت من لغة واحدة كالليث والأسد، أو من لغتين كالماء وآب[٣٠].

وأما الرابع[٣١]: فإما أن يكون قد وُضع اللفظ أوّلاً لأحد المعنيين، ثم نقل منه إلى الآخر، أو وضع لهما معاً.

أما الأول، فذلك النقل، إن كان لا لمناسبة بين المعنيين، فهو

---

(٢٣) المتواطىء: هو ما تساوت أفراده في تحقق معناه فيها، كالإنسان فإن معناه بالنسبة لأفراده كافة على حدّ سواء.

(٢٤) المشكّك: هو مالم تتساو أفراده في تحقق معناه، كلفظ الوجود فإن حصوله في الواجب سابق على حصوله في الممكن وأولى، وكلفظ النور فإنه في الشمس أشد وأقوى منه في القمر والمصباح. مذكرة في علم الأصول ٨١ محمد حسن الطودي ط ١٩٣٣.

(٢٥) أي الجزئي.

(٢٦) وهو ما يتكثر فيه اللفظ والمعنى.

(٢٧) المتباين: هو ما تغاير فيه اللفظان، واختلفا في المعنى أو تقاربا.

(٢٨) وهو ما يتكثر فيه اللفظ ويتحد المعنى.

(٢٩) هي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد المزهر ١/٤٠٢.

(٣٠) آب: كلمة فارسية معناها ماء.

(٣١) وهو ما يتكثّر فيه المعنى ويتحد اللفظ.

مـرتجـل، وإن كـان لمنـاسبـة، فـإمـا أن يكـون دلالــة [١٢ ب] اللفظ على المنقول إليه بعد النقل أقوى من دلالتها على المنقول عنه، أوْ لا يكون.

فإن كان الأول، سمى اللفظ بالنسبة إلى المنقول إليه منقولاً،

فإن كان الناقل هو الشارع، سمى لفظاً شرعيّاً، كالصلاة والزكاة.

وأهل العرف يسمى عـرفيّاً، سـواء كان العـرف العام؛ كـالدابـة للفرس بعـد وضعها لكـلّ ما يـدبّ، وكـالغـائط للفضلة الخـارجـة من الإنسـان بعـد وضعها للمكان المطمئن.

والخاص كالاصطلاحات الخاصة بطائفة (طـائفة)[٣٢] من أهـل العلم، مثـلاً كـالـرفـع والنصب والجـر عنـد النّحـاة، والجمـع والقلب والفـرق عنـد الفقهاء، وكالموضوع والمحول والجنس والفصل عند المنطقيّين وأمثاله.

وأما إن لم يكن دلالته على الثانى أقوى:

فإمّا أن يتساوى بالنسبة إليهما عند الفهْم أو يكون في الأول أقوى.

فإن كان الأول كان ذلك لفظاً مشتركاً.

وإن كـان الثاني، كـان اللفظ بـالنسبـة إلى الأول حقيقـة، وإلى الثـاني مجازاً.

أما إذا كان اللفظ مـوضوعـاً لهما معـاً، فإمـا أن تتساوى دلالتـه عليهما عند الفهم، أو ترجّح في أحدهما.

فإن كان الأول، سمى اللفظ بالنسبة إليهمـا مشتركـاً، وبالنسبـة إلى كل واحـد منهمـا مجمـلاً؛ لأن كـون اللفظ مـوضـوعـاً لكـل واحـد منهمـا، هـو الاشتراك، وكونهما بحيث لا يُدرى عين المراد منهما، هو الإجمال.

---

(٣٢) «بطائفة من أهل العلم» دون تكرار كلمة طائفة، في النسخة أ.

تـذنيب: ظهـر من هـذا التقسيم[٣٣]، أن الأقسـام الثـلاثـة الأولى[٣٤] مشتركة في أنها ليست بمشتركة، فكانت نصوصاً.

وأما الرابع، فله اعتبارات ثلاثة:

أحـدها: اعتبـار كـوْن إفـادتـه أرجـح في بعض مفهـومـاتـه/ [١٣ أ]، وبذلك يسمى ظاهراً.

والثاني: اعتبار كونها مرجوحـة في المفهوم المقـابل للراجـح، وبذلـك يسمى مؤوّلاً.

والثالث: كونها متساوية بالنسبـة إلى المفهومين بحيث لا يُـدرى المراد منهما، وبذلك يسمى مجملاً.

فالرجحان إذن قدْر مشترك بين الظاهر[٣٥] والنص[٣٦].

وعدم الرجحان قدر مشترك بين المجمل[٣٧] والمؤوّل[٣٨].

فيسمى المشترك الأول مُحْكماً[٣٩]، والثاني متشابهاً[٤٠].

---

(٣٣) ما ذكره في البحث الرابع من تقسيم اللفظ والمعنى.

(٣٤) وهي اتحاد اللفظ والمعنى، أو تكثيرهما، أو تكثير اللفظ واتحاد المعنى.

(٣٥) الظاهر: هو الواضح، ويدل على معناه دلالة ظنيـة ـ أي راجحة ـ لا قـطعية، كـالأسد راجـح في الحيوان المفترس في اللغة، مرجوع في الرجل الشجاع بدون قرينة.

ص ١٢٢ علم الأصول.

(٣٦) النص: كل ما هو ظاهر فهو نص، وكل شيء أظهرته فقد نصصته. اللسان مادة نصص.

(٣٧) المجمل، هو المبهم الذي لا تتضح دلالته، كالعين للذهب والشمس وغيرهما.

(٣٨) المؤول: من آل الشيء إلى كذا يؤول إذا صار إليه، وتأويل الكـلام: بيان مـا يؤول معنـاه إليه ويستقر عليه.

(٣٩) المحكم: هـو مـالم يكن متشـابهـاً لأنـه أحكم بيـانـه بنفسـه ولم يفتقـر إلى غيـره، لأنــه لا اختلاف فيه ولا اضطراب.

(٤٠) المتشـابه: هـو إيراد القصـة الواحـدة في صور شتى، وحكمتـه التصرف في الكـلام وإتيانـه على ضروب لإبراز قوة البيان التي يعجز غيره عن مثلها.

البحث الخامس: اللفظ المفرد؛ إما أن لا يستقلّ معناه بالمفهوميّة أو يستقلّ.

والأول: هو الحرف.

والثاني: فإما أن يستلزم معناه الوقوع في أحد الأزمنة الثلاثة المعيّنة وهو الفعل، أو لا يستلزم، وهو الاسم. وهو إما أن يدل على معنى هو نفس الزمان، كالزمان. أو على جزء الزمان، كاليوم والغد، أو على معنى جزء الزمان، كالصبوح والغبوق[٤١] أوْ لا على واحد منهما.

وهو إما أن يكون اسماً لجزئي شخصي، فإن كان مضمراً فهو المضمرات، أو مظهراً فهو العلَم كما مرّ.

وإن كان اسماً لكلّي، فإما أن يكون لنفس الماهيّة، كلفظ السواد، والمسمى باسم الجنس في اصطلاح النحاة.

أو لأمر ماله صفة كذا، وهو الاسم المشتق، كلفظ الضارب، فإن مفهومه أنه أمر ماله صفة الضرب.

البحث السادس: اللفظ المركّب؛ إما أن يكون قابلاً للتصديق والتكذيب لذاته، وهو الخبر.

أو لا لذاته، وهو إما أن يكون مفيداً لطلب شيء إفادةً أوّليّةً أو ليس كذلك.

والأول: إن كان على طريقة الاستعلاء، فهو الأمر.

وإن كان على طريق التساوي، فهو الالتماس.

---

(٤١) الصبوح: كل ما أكل أو شرب غدوة وهو خلاف الغبوق، والصبوح ما أصبح عندهم من شرابهم فشربوه، وحكى الأزهري الصبوح: الخمر،

ـ والغبوق: الشرب بالعشى، وخص بعضهم اللبن المشروب في ذلك الوقت. اللسان مادة صبح، وغبق.

وإن كان على طريق الخشوع والتضرع، فهو السؤال.

والثاني: هو التنبيه، ويدخل فيه التمني والترجي والقَسَم والنداء.

البحث السابع: اللفظ قد يكون/ [١٣ ب] مدلوله لفظاً مفرداً أوْ مركّباً، وعلى التقديرين، فإما أن يدل على معنى، أو لا يدل، فهذه أقسام أربعة:

الأول: لفظ مفرد دالّ على معنى مفرد، كلفظ الكلمة، والاسم، والفعل والحرف.

والثاني: لفظ مفرد دال على لفظ مركب دال على معنى مركب، كلفظ الخبر، والكلام، والقول الدالّ على قولنا: زيد كاتب، الدال على معانيه.

الثالث: لفظ مفرد دالّ على لفظ مفرد غير دالّ على معنى، كقولنا: أ ـ ب، وسائر حروف المعجم.

الرابع: لفظ مفرد دالّ على لفظ مركب غير دالّ؛ كلفظ الهذَيان والهَذَر(٤٢).

البحث الثامن: اللفظ المفرد إذا دلّ بالالتزام على معنًى، فذلك المعنى؛ إما أن يكون شرطاً للمدلول عليه بالمطابقة، أو تابعاً له، والأول تسمى دلالة الاقتضاء، وتلك الشرطية؛ إما عقلية كشَرْطيّة نصب السلّم لصعود السطح عند الأمر به، أو شرعية كشرطية الوضوء للصلاة عند الأمر بها.

وأما التابع، فكنفْي الحكم المذكور لشيء حال تخصيصه بذكره

(٤٢) الهذر: الكلام الذي لا يعبأ به، والهذر: الكثير الرديء، وقيل هو سَقَطُ الكلام هذر الرجل في منطقه يهذِر ويهذُر هذْراً، والهذر هو الهذيان. اللسان مادة هذر.

عن[٤٣] غيـره عنـد من يقـول بـه، فـإن معنى التخصيص مستلزم للنفي المذكور. وكذلك اللفظ المركب إذا استلزم تركيبه معنى.

فإما أن يكون من متمّمات المعاني المذكورة بالمطابقة أو من توابعها.

والأول: كدلالة تحريم التأفيف على تحريم الضرب.

وأما الثاني: فكاستلزام قوله تعالى: ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ... إلى قوله تعالى: حتّى يتبيّن لكُم الخَيْطُ الأَبْيَضُ﴾[٤٤] لعدم فساد صوم من أصبح جنباً، وإلا لحرم الوطء في آخر جزء من الليل يتسع للغسل، وبالله التوفيق.

---

(٤٣) من غيره في النسخة ب، م.

(٤٤) وتمام الآية: ﴿فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتمُّوا الصيام إلى الليل...﴾ البقرة ١٨٧.

الفصل الثالث

في الاشتقاق[1]

وفيه أبحاث:

البحث الأوّل: في حقيقة الاشتقاق[1]:

والاشتقاق: أخذ أحد اللفظين من الآخر لمشاركة بينهما في/ [١٤ أ] الاشتمال على المعنى والحروف الأصليّة.

وأركان الاشتقاق، أربعة:

الأول: اسم موضوع لمعنى.

الثاني: مسمّىً آخر له نسبة إلى ذلك المعنى.

الثالث: مشاركة بين الاسمين في الحروف الأصلية.

الرابع: تغيير يَلْحَق الاسم الثاني؛ إما في حروف فقط، أو في حركة فقط، أو فيهما معاً.

وكل واحد من هذه الأقسام؛ فإما بالزيادة وحدها، أو بالنقصان وحده، أو بهما.

---

(١) أفرد الاشتقاق بالتأليف جماعة من المتقدمين، منهم الأصمعي، وقُطْرب، وأبو الحسن الأخفش، وأبو نصر الباهلي، والمفضّل بن سلمة، والمبرد، وابن دريد، والزجاج، وابن السراج، والرماني، والنحاس، وابن خالويه. المزهر ١/٣٥١.

في شرح التسهيل: الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى، مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها؛ ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة؛ كضارب من ضرب، وحَذِرٌ من حَذِرَ.

المزهر ١/٣٤٦

وظن الإمام* أن الحاصل من هذه القسمة تسعة أقسام فقط، وهو سهو نتحقّقه عند الاعتبار بأن الحاصل منها خمسة عشر قسماً[٢]:

أ ـ زيادة الحرف[٣].
ب ـ زيادة الحركة[٤].
جـ ـ زيادتهما معاً[٥].
د ـ نقصان الحرف[٦].
هـ ـ نقصان الحركة[٧].
و ـ نقصانهما معاً[٨].
ز ـ زيادة الحرف مع نقصانه[٩].
حـ ـ زيادة الحرف مع نقصان الحركة[١٠].
ط ـ زيادة الحرف مع نقصانهما[١١].
ي ـ زيادة الحركة مع نقصانها[١٢].
ك ـ زيادة الحركة مع نقصان الحرف[١٣].

---

* الإمام الفخر الرازي، وقد سبقت ترجمته ص ٣٠.

(٢) ذكر السيوطي التغييرات التي تحدث بين الأصل المشتق منه والفرع المشتق وعددها خمسة عشر. المزهر: ٣٤٨/١.

(٣) كطالب وطَلَبْ.

(٤) كعَلِم وعلْم.

(٥) كضارب وضرْب.

(٦) كثبت وثبات.

(٧) كالفرس من الفرس.

(٨) كنَزَا ونزوان.

(٩) كراضع من الرضاعة.

(١٠) كغضبى وغضب.

(١١) كفاخَر من الفخار، نقصت ألف، وزادت ألف وفتحة.

(١٢) كبَطِر بَطَرا.

(١٣) كحرم وحرمان.

ل ـ زيادة الحركة مع نقصانهما[١٤].
م ـ زيادتهما معاً مع نقصان الحرف[١٥].
ن ـ زيادتهما معاً مع نقصان الحركة[١٦].
س ـ زيادتهما معاً مع نقصانهما معاً[١٧].

فهذه هي الأقسام الممكنة وعلى اللغوي طلب الأمثلة.

البحث الثاني: اختلف الناس في أنه هل يجوز صِدْق المشتقّ منفكّاً عن صدق المشتق منه، أم لا؟.

والحق أنه يجوز. لنا أن الاشتقاق يكفي فيه أدنى ملابسة بين المشتقّ والمشتقّ منه، فلا يشترط صدقه على ما يصْدق عليه المشتقّ، فإن المهْلك، والمميت، والضارّ والمُذِلّ، مما يصْدُق على ذات الله تعالى، مع أن الأمور المشتقّ منها وهي: الهلاك، والموت/ [١٤ ب]، والضرر، والذلّ غير صادقة ولا جائزة عليه، ومتى صَدُق المركّب صدُق كلُّ واحدٍ من أجزائه.

لأنّا نقول: لا نسلّم أن المشتق منه من حيث هو مشتقّ منه جزء من المشتق، وحاصلٌ فيه؛ بل الحاصل فيه شيء من أجزائه، وهي الحروف الأصلية، وبعض الحركات، فإنّا بيّنا أن المشتقّ لا بد[١٨] أن يلحقه تغيير بأحد الوجوه المذكورة، والقدْر المتغيِّر منه لا شك أنه كان معتبراً في حقيقة[١٩] المشتق منه، فبعد التغيير لم تبق تلك الحقيقة، فلمْ يلزم صدقها حال صدق المشتق.

---

(١٤) كعِدْ من الوعْد، فيه نقصان الواو وحركتها، وزيادة كسرة.
(١٥) كخاف من الخوف؛ لأن الفاء ساكنة في خوف لعدم التركيب.
(١٦) كاضْرب من الضرب.
(١٧) كاستنْوق من الناقة.
(١٨) لا بد وأن ب، م.
(١٩) في حقيقته ب.

البحث الثالث: اختلفوا أيضاً في أنه هل يشترط في صدق المشتق بقاء صدق المعنى المشتق منه من لفظه أم لا؟.

والحق أنه لا يشترط لوجوه:

أحدها: أنا نعلم بالضرورة وإطلاق أهل اللغة لفظَ المشتقِّ على الشيء حال مالا يكون وجه الاشتقاق باقياً، كإطلاقهم لفظ القاتل في الحال على من فعَل القتل فيما قبل.

الثاني: أن الضارب مثلاً هو من حصل منه الضرب ولابسَه ملابسة فعلية، وهو أعم من حصوله له في الحال أو في الماضي؛ لإمكان تقسيمه إليهما، ولا يلزم من نفي الخاص نفي العام، فلا يلزم من نفي الضرب في الحال نفي مطلق الضرب، فلا يلزم من صدق المشتق بقاء وجه الاشتقاق.

الثالث: المشتقات من المصادر السّيالة، كالمتكلم والمخبر لا يمكن بقاء وجه الاشتقاق فيها، فإن الإنسان حال ما يتكلّم بالحرف الثاني فات الحرف الأول، فلا يمكن تحقّق ماهية الكلمة في الخارج، فضلاً أن يقال إنها تبقى، مع أنها صادقة بالاتفاق.

لا يقال: الضارب مثلاً بعد انقضاء الضرب يصدق عليه أنه ليس بضارب في الحال، وقولنا: ليس/ [١٥ أ] بضارب جزء من قولنا ليس بضارب في الحال، ومتى صَدُق المركّب، صدق كلّ واحد من أجزائه، فإذن صدق عليه أنه ليس بضارب، فوجب أن لا يصدق عليه أنه ضارب؛ لتناقضهما في العرف.

لأنّا نقول: إن كانت القضيتان مؤقتتين[٢٠]، منعنا التناقض في العرف والحقيقة؛ لأن المكذِّب لقولنا: إنه ليس بضارب في الحال، قولنا: إنه ضارب في الحال، ونحن ما ادّعينا صدق قولنا: إنه ضارب في الحال؛ بل

(٢٠) أي مقيدة بوقت وزمن معين.

إنه في الحال يصدق عليه أنه ضارب، ولا تناقض لعدم اتحاد الوقت.

وإن كانتا مطلقتين[٢١]، فدعوى التناقض إما حقيقة، وهو ظاهر الفساد؛ لأن المطلقتين لا تتناقضان.

أو عرفاً، وهو أيضاً ممنوع، وبتقدير تسليمه نمنع صدق قولنا بعد انقضاء الضرب إنه ليس بضارب؛ لصدق قولنا في تلك الحال إنه ضارب، وتناقضهما عرفاً، وبالله التوفيق.

البحث الرابع: اختلفوا أيضاً في أن المعنى القائم بالمحلّ، هل يجب أن يشتق منه اسم أوْ[٢٢] لا؟

والحق أن يقال: المعاني إن لم يكن لها أسماء كأنواع الروائح، لم يجب ذلك فيها.

وإن كان لها أسماء، لم يجب أيضاً أن يشتق لمحالّها منها أسماء.

وهل يجوز أن يشتق لغير محالّها منها أسماء أوْ لا؟.

والحق جوازه في الموضعين خلافاً لقوم من الأشعرية[٢٣]، فإنهم قالوا: يجب الاشتقاق منها لمحالّها، ولا يجوز لغيرها.

لنا أن الجواز متفق عليه، وأما الجواب وتخصيصه بالمحلّ، فلم يذكر الخصم فيه دليلاً.

وأما جواز الثاني، فلأن الاشتقاق يكفي فيه أدنى ملابسة، فإن

---

(٢١) أي غير مقيدة بوقت معين.

(٢٢) هل يجب أن يشتق منه اسم أم لا؟ في النسخة ب.

(٢٣) الأشعرية: مذهب كلامي إسلامي وهو الذي يعرف بمذهب أهل السنة، وزعيم هذا المذهب هو أبو الحسن الأشعري الذي خرج على مذهب المعتزلة. ٨٧٣ - ٩٤١ م. الموسوعة العربية الميسرة ١٦٦.

المشتق هـو شيء[٢٤] ذو المشتق منـه. ولفـظة ذو لا يقتضـي الحلول. ومن الأمثلة المشهورة: اللاّبِن والتّامِر[٢٥]، فإنهما مشتقان من اللبن والتمر، وهما غير قائمين بذات المشتق له.

البحث الخـامس: مفهـوم المشتق، كـالمـاشي مثـلاً، إنـه شيء ذو مشي، فأما ذلك الشيء فغير داخل في مفهومـه، وإن عُلِم فإنمـا يُعلم بطريق الالتزام.

بـرهـانـه: أنـك/ [١٥ ب] تقـول: المـاشي حيـوان، فلو كـان مفهـوم المـاشي أنه حيـوان ذو مشي، لكان ذلـك بمنزلـة قولـك: الحيوان ذو المشي حيوان، وهو هـذر[٢٦]؛ بل إنمـا يعلم كونـه حيوانـاً بدليـل من خارج، وبـالله التوفيق.

---

(٢٤) فإن المشتق هو شيء ما ذو المشتق منه في النسخة أ.

(٢٥) أي ذو لبن وذو تمر.

(٢٦) الهذر: الكلام الذي لا يُعبأ به، والهذر الكثير الرديء. اللسان مادة هذر.

الفصل الرابع
في الترادف والتوكيد[١]

وفيه أبحاث:

البحث الأول: في ماهيّتهما:

أمـا الترادف: فهـو كـون لفـظين مفـردين، أو مـا زاد عليهمـا[٢] دالّين بالوضع على معنى واحد باعتبار واحد.

و «بالأفراد» احترزنا عن الاسم والحدّ[٣].

وبـاعتبار واحـد، عن اللفظين إذا دلّا على شيء واحـد بـاعتبـارين[٤]، كالصارم والسيف، وبـاعتبار الصفـة وصفة الصفـة، كالنـاطق والفصيح، فـإن تلك متباينة.

وأما التوكـيد فهو تقوية ما يفهم من اللفظ بلفظ آخر[٥].

---

(١) الترادف يرى فيـه علماء اللغـة إثراء للمفـردات العربيـة ونموّهـا وتنويعـاً قد تستـدعيـه أسـاليب البلاغة في النظم والنثر، فيستعان به على إقـامة قـافية أو تحقيق سجـع أو تجنيس أو غيرهمـا من ألوان البديع.

والتوكيد يزيد المعنى تثبيتاً ويقيناً، كما ينفي احتمال المجاز.

(٢) كالأسد والضرغام والهزبر التي تستعمل في الحيوان المفترس.

(٣) الحدّ الناقص: هو التعريف بالفصل القريب كتعريف الإنسان بأنـه ناطق، أو بـالفصل القـريب وبالجنس البعيد، كتعريف الإنسان بأنه جسم ناطق.

والحد التام: هو التعريف بالجنس والفصل القريبين، كتعريف الإنسـان بأنـه حيوان نـاطق.

شرح الخبيصي ٥٢. سبق ذكره ص ٢٢ من هذا الكتاب.

(٤) أحدهما على الذات والآخر على الصفة.

(٥) الفرق بين الترادف والتوكيد: أن أحد المترادفين يفيد ما أفاده الآخر، كـالإنسان والبشـر، وفي التوكيد، يفيد الثاني تقوية الأول.

ولـلإمام فخـر الدين* ـ رحمـه الله ـ تساهـل في هـذا المقـام؛ إذ يحـدّ التـأكيد بـأنه اللفظ المـوضوع لتقـوية مـا يفهم من لفظ آخـر، ولم يفـرّق بين التوكيد وبين نفس المؤكد وهو ظاهر.

البحث الثاني: في أسباب الترادف:

إنه يجوز وقوع الألفاظ المترادفة من واضـع واحد، ويجـوز وقوعهـا من واضعين، ويشبه أن يكون الأول أقل وجوداً، وله سببان:

الأول: التسهيل والإقدار على الفصـاحة؛ لأنـه ربما يمتنـع وزن البيت وقـافيته مـع بعض أسمـاء الشيء دون اسمـه الآخـر، وربمـا حصلت رعـايـة السجـع، والمقلوب، والجنس، وسـائـر أصنـاف البـديـع مـع بعض أسمـاء للشيء ولا يحصل مع الآخر(٦).

الثـاني: التمكن من تأديـة المقصود بـإحدى العبـارتين عنـد الغفلة عن الأخرى.

وأما الثاني: وهو السبب الأكثريّ، فيجـوز أن تصطلح أحـدى القبيلتين على اسم للشيء غيـر الاسم الـذي اصـطلحت عليـه/ [١٦ أ] الـقبـيلة الأخرى، ثم يشتهر الوضعان بعد ذلك معاً.

البحث الثـالث: إنه هـل يصح إقـامة كـل واحـد من المتـرادفين مقـام الآخر دائماً أو لا؟

الـظاهر في بـادىء الرأي ذلـك؛ لأن المترادفين همـا اللذان يفيـد كـل واحد منهما عين فائدة الآخر، فلما صـحّ أن [يُضمّ](٧) المعنى المدلـول عليه بأحد اللفظين إلى معنى آخر، فـلا بد(٨) أن تبقى الصحـة حال مـا يدل عليـه

---

* الإمام فخر الدين سبقت ترجمته ص ٣٠.

(٦) السيوطي اعتبر ذلك من فوائد الترادف. المزهر ـ ١/٤٠٦ السيوطي ط عيسى الحلبي.

(٧) يقسم في أ.

(٨) فلا بد وأن تبقى ب.

باللفظ الثاني ؛ لأن صحة الاقتران من عوارض المعاني .

وفيه نظر؛ لأن صحة الاقتران كما يكون من عوارض المعاني ، كذلك يكون من عوارض الألفاظ؛ فإنك لو أبدلت لفظ «من» بمرادفه من الفارسية لم يصح ، فكان هذا الامتناع من قِبل الألفاظ أيضاً .

قال الإمام فخر الدين : وإذا عقل ذلك في لغتين ، فلم لا يجوز مثله في لغة واحدة؟ .

والحق أنه يصح إقامة أحد المترادفين مقام الآخر بشرطين :

أحدهما : أن يكونا من لغة واحدة .

والثاني : أن يتساويا في فهم المعنى منهما حال التخاطب بهما ، أو يَقْرُبا من التساوي .

[تذنيب[(٩)]: إذا كان أحد المترادفين أظهر في الاستعمال عند قوم كان الجليّ بالنسبة إلى الخفيّ شرحاً له ، وربما انعكس الأمر بالنسبة إلى قوم آخرين .

البحث الرابع : في أقسام التوكيد :

المؤكِّد إما أن يكون متقدماً على المؤكَّد ، أو مؤخّراً عنه .

والأول ؛ كصيغة إنّ وما في حكمها مما يدخل على الجمل .

وأما الثاني ؛ فإما أن يؤكّد الشيء بنفسه أو بغيره .

والأول ، كقوله عليه السلام : «والله لأغزونّ قريشاً» ثلاثاً[(١٠)] .

---

(٩) كلمة تذنيب لا وجود لها في النسخة أ . وذكر بدلاً منها كلمة البحث الرابع .

ذكر ذلك السيوطي في المزهر ١/٤٠٦ .

قال الإمام : قد يكون أحد المترادفين أجلى من الآخر ؛ فيكون شرحاً للآخر الخفي ، وقد ينعكس الحال بالنسبة إلى قوم دون آخرين .

(١٠) أي أن علياً كرم الله وجهه كرر هذه العبارة ثلاث مرات .

والثاني؛ إما أن يختص بـالمفرد كلفظ النفس والعين، أو المثنى ككـلا وكلتـا، أو الجمـع كـأجمعـون وأكتعـون أبتعـون أبصعـون(١١)، وكـلّ هي أمّ الباب.

البحث الخـامس: في حسن استعمـالـه والخـلاف فيـه مـع الملحــدة الطاعنين في الوحي.

والنـزاع إمـا في الجـواز وهـو معلوم/ [١٦ ب] بـالضـرورة؛ لأن شـدة اهتمام القائل بالكلام يدعوه إلى التأكيد(١٢).

وإما في الوقوع، وهو أيضاً معلوم من اللغات بعـد تصفّحها، وهـو وإن كـان حسناً إلا أنـه إذا تعـارض حمـل الكـلام على التـأكيـد، أو على فـائـدة زائدة، وجب صرفه إلى الفائدة الزائدة.

---

(١١) تقـول: رأيت القوم أجمعين أكتعين أبتعين أبصعين، تؤكـد الكلمة بهـذه التـواكيـد كلهـا ولا يقـدم كتع على جُمـع في التأكيـد ولا يفرد لأنـه إتباع لـه. وفي الحـديث: «لتـدخلنّ الجنـة أجمعون اكتعون إلا من شرد على الله». اللسان مادة كتع.

(١٢) تأكيده في النسخة ب.

الفصل الخامس
في المشترك

وفيه أبحاث:

البحث الأول: في حقيقته، وإمكانه، ووجوده.

أما حقيقته[1]: فهو اللفظ الواحد الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر، وضعاً أوّلاً من حيث هو كذلك.

وقولنا موضوع لحقيقتين مختلفتين، احتراز عن الأسماء المفردة.

وقولنا وضْعاً أوّلاً، احتراز عما يدل على الشيء بالحقيقة، وعلى غيره بالمجاز.

وقولنا[2] من حيث هو كذلك، احتراز عن اللفظ المتواطىء، فإنه يتناول الماهيات المختلفة، لكن لا من حيث هي محتلفة؛ بل من حيث إنها مشتركة في معنى واحد، وأما إمكانه، فمن وجوه:

أحدها: أن الوضع تابع لغرض المتكلم، وقد يكون للإنسان غرض في [تعريفه[3] شيئاً على التفصيل، وقد يكون غرضه تعريفه على سبيل الإجمال، بحيث يكون ذكره بالتفصيل سبباً للمفسدة.

---

(١) وقد حدّه أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة.

وقد تطلق الكلمة الواحدة على عدة معان كلفظة «العين» فمن معانيها: السحابة، والمطر، والطائر، وعين الشمس، وعين الماء، وعين كل شيء ذاته، والجاسوس، وخيار الشيء، والسيد. المزهر ١/٣٦٩، ٣٧٥.

(٢) وقوله في ب.

(٣) «في تعريف غيره شيئاً على التفصيل» في النسخة أ.

والثاني: إنه ربما لا يكون المتكلم واثقاً بصحة الشيء على التعيين، إلا أنه يكون واثقاً بصحة أحد المعنيين لا محالة، فحينئذ يطلق اللفظ المشترك؛ كيلا يُعَدُّ بتصريحه بأحد المعنيين كاذباً، وبسكوته جاهلاً.

الثالث: إنه يجوز أن يضع أحد قبيلتين ذلك اللفظ لمعنى ثم تضعه قبيلة أخرى لمعنى[٤] آخر، ثم يُشبّه الوضعان، ويخفى كونه موضوعاً منهما.

وأما وجوده؛ فهو معلوم بالضرورة؛ إذ من خواص اللفظ المشترك أنه إذا أطلق لم يتبادر الذهن إلى أحد مفهوميه دون الآخر؛ بل يبقى الذهن عند سماعه متردداً في تعيين المراد منه إلى ظهور القرينة المعينة له، وذلك ظاهر، كلفظ/ [١٧ أ] «القُرْء» للحيض والطهر[٥]، وإن كان ذلك أيضاً قد يختلف بحسب كثرة الاستعمال في أحد المعنيين وقلّته، إلاأنه يكفينا في ذلك تردّد بعض الأذهان فيه.

البحث الثاني: في أقسامه:

مفهوما اللفظ المشترك، إما أن يكونا متباينين، أو متواصلين.

والأول، كالطهر والحيض.

والثاني، إما أن يكون أحدهما جزءاً من الآخر، أو لا يكون:

والأول، كالممكن لغير الممتنع ولغير الضروري.

والثاني، إما أن يكون أحدهما علّة للآخر، أو صفة له.

والأول، كلفظ الواجب بالذات، والواجب بالغير.

---

(٤) للمعنى آخر في النسخة ب.

(٥) قال تعالى: ﴿والمطلّقاتُ يتربّصْن بأنفسهنّ ثلاثةَ قُروء﴾ البقرة ٢٢٨. جمع قرء - بالفتح والضم - وهو الحيض، أو الطهر الفاصل بين الحيضتين وإلى الأول ذهب أبو حنيفة وأحمد، وإلى الثاني ذهب مالك والشافعي.

والثاني، كلفظ الأسود لذي السواد المسمى أسود.

تنبيهان:

[أحدهما][٦]: إذا نسبتَ ذا السواد المسمى: أسْود إلى ما يشاركه في لونه كالقار، كان إطلاق لفظ الأسْود عليهما من تلك الجهة بالتشكيك.

وإن اعتبرته من جهة اسمه كان مقولاً عليهما بالاشتراك.

الثاني: قال فخر الدين[٧] ـ رحمه الله ـ:

النقيضان لا يجوز أن يوضع لهما لفظ واحد؛ لأن المشترك لا يفيد إلا الترديد؛ وهو بين النفي والإثبات أمر حاصل معلوم لكل أحد،

وفيه نظر؛ لأن الأسباب التي ذكرنا أنه يجوز أن تكون أسباباً لوضع اللفظ المشترك، عامة لا تخصّ بعض[٨] المعاني دون البعض، ولأنه إذا جاز وضع اللفظ الواحد للمعنى وضده الذي هو من قوة نقيضه كالقُرء للحيض والطهر إذا كان المحلّ لا يخلو عن أحدهما، والترديد بينهما معلوم لكل أحد، فلم لا يجوز مثله في النقيضين؟ والله أعلم.

البحث الثالث: في أسبابه:

أما أسباب وجوده[٩]، فيشبه أن يكون السبب الأكثري فيه هو أن

---

(٦) أحديهما في النسخة أ.

(٧) سبقت ترجمته.

(٨) ببعض ب.

(٩) اختلف الناس في المشترك؛ فالأكثرون على أنه ممكن الوقوع؛ لجواز أن يقع إما من واضعين؛ بأن يضع أحدهما لفظاً لمعنى، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر. ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادته المعنى.

وإما من واضع واحد لفرض الإبهام على السامع.

ومن الناس من أوجب وقوعه؛ لأن المعاني غير متناهية، والألفاظ متناهية، فإذا وزّع لزم الاشتراك. المزهر ١/٣٦٩.

تضعه كل واحدة من قبيلتين لمعنى، ثم يشبه الوضعان ولا يتميزان.

وأما السبب الأقلّي؛ فإن يضعه واحد لمعنيين لغرض التكلم باللفظ المجمل، وقد مر أن التكلم باللفظ المجمل/ [١٧ ب] من مقاصد العقلاء.

وأما السبب الذي يعرف به وجوده، فإما تصريح أهل اللغة بذلك، أو تساوي المفهومين بالنسبة إلى السامع عند إطلاق اللفظ وتردد ذهنه في أيهما المراد بعد العلم بالوضع لهما.

البحث الرابع: في أنه هل يجوز استعمال اللفظ المشترك في معانيه على الجمع أو لا؟.

جوز ذلك الشافعي(١٠)، وأبو بكر الباقلاني(١١)، وأبو علي الجبّائي(١٢)، والقاضي عبد الجبار(١٣). ومنع منه أبو هاشم(١٤)، والحسن

---

(١٠) الإمام الشافعي هو محمد بن إدريس، ينتهي نسبة إلى المطلب أخي هاشم جد النبي ﷺ، ولد سنة ١٥٠ هـ وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ. أشهر كتبه الأم والرسالة، ومنهاجه في الاستنباط: الكتاب والسنة والقياس والإجماع وهو واضع أصول الفقه الموسوعة ١٠٦٨.

(١١) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم المشهور، صاحب كتاب إعجاز القرآن توفي ٤٠٣ هـ. ابن خلكان ٤٨١/١، شذرات الذهب ٥٧/٢ ـ ابن العماد الحنبلي ـ القدسي ١٣٥١ هـ.

(١٢) الجبائي هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب ٨٤٩ ـ ٩١٥ م ولد بخوزستان وانتقل إلى البصرة، ومن أشهر تلاميذه ابنه أبو هاشم والأشعري، وإليه تنسب فرقة الجبّائية، رئيس معتزلة البصرة، له جدل طويل مع الراوندي والاشعري، كتب كثيراً في علم الكلام وتفسيراً للقرآن لم يصلنا منه شيء. الموسوعة ٦١١.

(١٣) هو القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي صاحب كتاب المغنى في أبواب التوحيد والعدل والجزء السادس عشر منه في إعجاز القرآن، وتوفي سنة ٤١٥ هـ.

(١٤) أبو هاشم ولد بالبصرة وعاش في بغداد تتلمذ له كثيرون أخصهم الصاحب بن عباد، وربما كان أبو هاشم أشهر من أبيه «الجبائي» وهو أحد أصول المعتزلة ويقف موقفاً وسطاً بين منكري الصفات ومثبتيها، فقدت كتبه الكثيرة في علم الكلام والجدل. الموسوعة ٦١١.

البصري[١٥]، والكرخيّ[١٦].

ثم منهم من منع منه لأمر يرجع إلى القصد.

ومنهم من منع منه لأمر يرجع إلى الوضع. وهو اختيار الإمام فخر الدين ـ رحمه الله ـ.

حجة المجّوزين من وجهين:

أحدهما: أن الصلاة من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار، ثم إن الله تعالى أراد بهذه اللفظة كلا معنيهما في قوله:

﴿إنَّ الله وملائكتَه يُصَلُّونَ على النّبيّ﴾[١٧].

الثاني: قوله تعالى: **﴿ألمْ ترَ أنّ اللّهَ يسْجُدُ لهُ مَنْ في السمواتِ ومَنْ في الأرضِ والشمسُ والقمرُ والنجومُ﴾**[١٨] الآية والسجود هاهنا مشترك بين الخشوع؛ لأنه هو المتصوّر من الملائكة، وبين وضع الجبهة على الأرض في حقّ الناس، وبين شهادة الحال بالحاجة إلى الصانع؛ لأنه هو المتصوّر من الجمادات، ثم إن الله تعالى أراد به كل معانيه في هذه الآية.

حجّة المانعين: أن المجموعَ غيرُ كلّ واحد واحد، فالواضع إذا وضع لفظ المعنيين على الانفراد، فإما أن يضعه مع ذلك لمجموعهما، أو لا يضعه، فإن لم يضعه له، كان استعماله فيه استعمالاً للفظ في غير ما وضع له، وإنه غير جائز، وإن وضعه له، فإذا استعمله فيه، فإما أن يستعمله فيه لإفادته بانفراده، فيكون ذلك استعمالاً للفظ في أحد مفهوماته لا في كلها.

---

(١٥) هو الحسن بن أبي الحسن البصري، أحد سادات التابعين وكبرائهم توفي سنة ١١٠ هـ ابن خلكان ١٢٨/١ المطبعة الميمنية ١٣١٠ هـ.

(١٦) الكرخي هو عبيدالله بن الحسين توفي ٣٤٠ هـ.

(١٧) سورة الأحزاب آية ٥٦.

(١٨) سورة الحج آية ١٨ وبقية الآية **﴿... والجبالُ والشجرُ والدوابُ وكثيرٌ من الناس وكثيرٌ حق عليه العذاب ومن يُهن الله فما له من مُكرمٍ إنّ الله يفعل ما يشاء﴾**.

وإن استعمله مـع إفادة الأفـراد، فهو محـال؛ لأن استعمـالـه/ [١٨ أ] لإفـادة المجمـوع يستلزم عدم الاكتفـاء بكل واحـد من الأفـراد، واستعمـالـه لإفـادة الأفـراد يستلزم الاكتفـاء بكـل واحـد من الأفـراد، والاكتفـاء بكـل واحـد من الأفراد مع عدم الاكتفاء بكل واحد منها مما لا يجتمعان.

وأقول: إن محلّ النزاع في هذا البحث غير ملخّص:

فـإنه إن أريـد أن يجوز استعمـاله في مـدلولاتـه على الجميع مـطابقة، فليس يحق؛ لمـا يلزم المستعمـل لـه كـذلـك من التنـاقض في القصـد إلى المجموع وإلى الأفراد.

وإن أريـد أنه يجـوز استعمالـه فيها على الجميـع لإفادتهـا كيف اتفق، فذلك جائز؛ إذ يصح استعماله في المجموع مطابقة مـع دلالتها على الأفـراد تضمّناً.

وقـول المانـع: إنـه إذا لم يكن الـواضـع وضـع اللفظ للمجمـوع كمـا وضعه للأفراد، امتنع استعماله فيه.

إن أراد بـه حقيقة فهـو حقّ، وإن أراد أنه يمتنـع استعمالـه فيه مجـازاً، فهذا ممّا لا تقتضيه [حجته[(١٩).

وأما حجج المجوّزين فضعيفة:

أمـا الأولى: فـلأن ضميـر الجمـع في قـولـه تعـالى: ﴿**يصلّون**﴾(٢٠) بمنـزلة الضمـائر المتعـددة المقتضية لـلأفعال المتعـددة التي يراد بكـل واحد منها معنى غير ما يراد بالآخر، والتقدير: إن الله يصلّي وملائكته تصلّي.

وأمـا الثانيـة: فلأن المعـطوفات المتعـددة تستدعي(٢١) تعـدّد الأفعال؛

(١٩) حجة أ.

(٢٠) ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي**﴾ سورة الأحزاب آية ٥٦.

(٢١) يستدعي ب.

فتقدير قوله: ﴿ولله يسْجدُ مَن في السموات و الأرض﴾[22] وكذا الباقي والمراد بكل منها المعنى الذي تقتضيه القرينة.

ثم لو سلمنا أنها استعملت في كل مفهوماتها؛ لكنه يكون مجازاً وإلاّ لزم[23]لتناقض، كما هو مذكور في حجّة المانعين، وبالله التوفيق.

البحث الخامس: فيما يتعين به مراد اللاّفظ باللفظ المشترك:

اللفظ المشترك إن لم تقترن[23] به قرينة تخصص أحد معنييه بالمراد به بقي مجملاً.

وإن وجدت قرينة كذلك، فإما أن تقتضي الاعتبار أو الإلغاء، وعلى التقديرين؛ فإما لكل المسمّيات أو لبعضها، فهذه أقسام أربعة.

فالأول: أن تفيد اعتبار كلّ واحد/ [١٨ ب]، فتلك المسمّيات؛ إما أن تكون متنافية بحيث لا يمكن الجمع[24] بينها، فيبقى اللفظ مجملاً إلى ظهور المرجّح،

وإن لم تكن متنافية، حُمل اللفظ على مجموعها مجازاً.

الثاني: أن تفيد إلغاء كلّ واحد فحينئذ يجب حمْلَ اللفظ على مجازات تلك الحقائق المُلْغاة، ثم أن تكون بعض تلك الحقائق أرجح من بعض لو لم يقع الدليل على عدم إرادتها، أوْ لا تكون.

فإن كان الأول، فمجازاتها إما أن تتساوى في القرب من الحقائق، فيتعيّن حملُ اللفظ على مجاز الحقيقة الراجحة.

أو تتفاوت المجازات، فإن كان الراجح منها هو مجاز الحقيقة

---

(٢٢) ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾الرعد آية ١٥.

(٢٣) ولازم في النسخة ب.

(٢٤) تقرن في النسخة ب، م.

(٢٥) أن يجمع ب.

الراجحة، تعيّن الحمل عليه، أو مجاز الحقيقة المرجوحة، فيقع التعارض بينه وبين مجاز الحقيقة الراجحة؛ لاختصاص كل منهما بنوع ترجيح إلى أن يظهر مرجّح آخر.

وأما إن تساوت الحقائق؛ فإن اختلفت مجازاتها بالقرب والبعد منها، حُمل اللفظ على المجاز الأقرب.

وإن لم تختلف، بقي التعارض بين مجازات تلك الحقائق؛ لتساويها وتساوي حقائقها إلى أن يظهر الترجيح.

الثالث: أن تفيد إلغاء البعض، فإن كانت اللفظة مشتركة بين معنيين فقط، تعين الحمل على الثاني.

وإن كانت لأكثر من معنيين، فعند إلغاء بعضها، إن كان الباقي واحداً تعين الحمل عليه، أو أكثر من واحد فيبقى اللفظ مجملاً فيها.

الرابع: أن تفيد اعتبار البعض، فيتعين الحمل عليه، سواء كانت اللفظة لمعنيين أو أكثر.



القسم الثاني

في كيفيات تُلحق الألفاظَ بالنسبة إلى معانيها فتوجب لها الحسْن والمزيّة[1] وتُعدّها أتمّ الإعداد لأداء المعاني ، وتهيّء الذهن للقبول .

وهو مرتب على مقدمة وجملتين :

أما المقدمة ففيها بحثان :

البحث الأول : في حدّ البلاغة والفصاحة .

أما البلاغة [فهي][2] مصدر قولك (١٩ أ) . بُلغ الرجل بالضم إذا صار بليغاً ؛ وهو أن يبلغ بعبارته أقصى مراده باللفظ من غير إيجاز مخلّ ، ولا تطويل مملّ .

وأما الفصاحة : فهي[3] خلوص الكلام من التعقيد .

وأصله من الفصيح وهو اللّبن إذا أخذْتَ رَغْوَتَه وذهب لِبَاؤُه[4] .

وقد فصح وأفصح إذا صار كذلك ، وأفصحت الشاة : فصُح لبنها ، ثم قالوا : أفصح العجميّ فصاحة فهو فصيح ، إذا خَلُصت لغته عن اللّكنة واللحن ، ثم إن الفصاحة عند أربابها ليست باستعمال الشوارد التي لا تُفهم ، وإنما هي باستعمال ما يقرب فهمه ، ويَعْذُب استماعه ، ويُعْجِب ابتداعه ، وتدلّ مطالعه على مقاطعه، وتنمّ مباديه على تواليه[5] . وأكثر

---

(١) الزينة في النسخة ب .

(٢) ساقطة من النسخة أ .

(٣) «فهو» في النسخة ب .

(٤) اللباء : أول اللبن ، أو هو أول ما يحلب عند الولادة ، اللسان مادة لبأ .

(٥) أي تشير بدايته إلى نهايته .

البلغاء لا يكادون يميّزون بين البلاغة والفصاحة ؛ بل يستعملونهما استعمال اللفظين المترادفين على معنى واحد[٦] ، ومنهم من يجعل البلاغة في المعاني ، والفصاحة في الألفاظ[٧] . والأقرب أن الفصاحة سبب للبلاغة ، والبلاغة أعمّ منها لغة ؛ إذ قد يبلغ غير الفصيح بعبارته أقصى مراده ، و(إن كانت)[٨] مساوية لها في عرف العلماء .

وتلخيص مفهوميهما : أن الفصاحة هي خلوص الكلام في دلالته على معناه من التعقيد الموجب لقرب فهمه ولذاذة استماعه .

والبلاغة : هي كَون الكلام الفصيح مُوَصِّلاً للمتكلم إلى أقصى مُراده . وبالله التوفيق .

البحث الثاني : في موضوع علم الفصاحة والبلاغة .

لما كان المقصود من الكلام هو إفادة المعنى ، وكانت هذه الإفادة كما علمت قد تكون وضعيّة صِرْفة ، وقد تكون بمشاركة من الوضع والعقل فنقول :

موضوع علم الفصاحة : هو الكلام الدال على معناه بإحدى الدلالات الثلاث من حيثُ هو على حالةٍ موجبةٍ لقرب فَهمه ولذاذة استماعه .

وموضوعُ البلاغة : هو الكلام الفصيح .

وقال الإمام : [أن الفصاحة والبلاغة إنما يكون موضوعهما الكلام من جهة دلالته بالالتزام ؛ وذلك لأن الافادة الوضعية يستحيل تطرق (١٩ ب) الزيادة

(٦) لأن البلاغة والفصاحة ترجعان إلى معنى واحد ، وإن اختلف أصلاهما ؛ لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له .

(٧) لأن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ ؛ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب ، فكأنها مقصورة على المعنى . الصناعتين ٨ ط عيسى الحلبي

(٨) هذه العبارة ساقطة من أ ، ب ، فأثبتناها ؛ لأن السياق يقتضيها .

والنقصان اليها[٩] ؛ فإن السامع للفظ الموضوع إن كان عالماً بكونه موضوعاً لمعناه ، علم مفهومه بتمامه . وإن لم يكن عالماً بالوضع ، لم يتصور منه شيئاً] ؛ [مثاله[١٠] : أنك إذا أردت تشبيه زيد بالأسد في الشجاعة وقصدت التعبير عن هذا المعنى بالدلالة الوضعية فقلت : زيد يشبه الأسد في شجاعته ، فالزيادة والنقصان في هذه الإفادة بما يعود إلى مفردات هذه الألفاظ ، غير متصوّرين . ولو أقمت مقام هذه الألفاظ ما يرادفها ، فالحال كذلك ؛ للدليل المذكور» .

وتبين من هذا[١١] [أن الإيجاز والاختصار ، والحذف والأضمار ، يستحيل تطرقها إلى الدلالات الوضعية ؛ ولهذا كان أكثر ما يستعمل في العلوم العقلية الدلالات الوضعية ؛ لعدم احتمالها الزيادة والنقصان الموجبين للغلط [والشبهة[١٢] .

وأما الإفادة الأخرى فلأجل أن حاصلها يعود إلى انتقال الذهن من مفهوم اللفظ إلى ما يلازمه ، ثم إن اللوازم كثيرة ، وهي تارة تكون قريبة ، وتارة تكون بعيدة ، فلا جرم صح تأدية المعنى الواحد بطرق كثيرة ، وصحّ في تلك الطرق أن يكون بعضها أكمل في إفادة المعنى ، وبعضها أنقص[. فهذا ما يتعلق بالفصاحة من جهة المفردات .

وأقول : إن التحقيق يقتضي أن الزيادة والنقصان مما يتطرقان إلى الإفادة الوضعية أيضاً . فإن الإمام سلّم أن بعض الحروف أفصح جرساً وألذّ سماعاً كالعين ، وبعضها أسهل على اللسان كحروف

---

(٩) قال الامام فخر الدين الرازي : «لا يخلو السامع من ان يكون عالماً بمعاني الألفاظ فحينئذ لا يمكن دخول التفاوت في فهمه لمعانيها ، أو يكون جاهلاً بها ، فيكون ذلك أبعد» نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ص ١٤ ط ١٣١٧ هـ .

(١٠) البحراني هنا ينقل مضمون كلام الرازي انظر ص ١٠ من نهاية الإيجاز .

(١١) ذكر هذه العبارات بنصها الامام الرازي في كتابه نهاية الايجاز ص ١٠ .

(١٢) «والشبه» من النسخة أ .

الذلاقة[13] ، وبعضها أثقل . ولا شك أن الكلام المركّب من أسهل الحروف وألذّها سماعاً ، أفصح والذّ سماعاً (20أ) عند النفس مما لا يكون كذلك ، وسلّم أيضاً أن الأفصح أدل على المعنى وأسرع إلى قبول النفس له مما لا يكون كذلك .

وليس سبق العلم بالوضع قادحاً فيما ذكرناه ؛ لأن الانسان قد يسبق علمه بوضع اللفظ ثم يذهل عنه ، فعند سماعه يجد (في)[14] نفسه مسارَعة إلى قبول المعنى من الأفصح دون غيره ، وملتذّة بسماعه بسبب فصاحته ، ولا معنى لزيادة الافادة ورجحانها إلا ما يحصل للنفس من اللّذة بالمعنى ،والمسارعة إلى قبوله بتمامه من اللفظ الأسهل ، والله أعلم .

وأما البلاغة العائدة إلى النظم والتركيب ، فتحقيق القول فيها :[15] .

أن الكلام المنظوم لا محالة مركب من المفردات ، والمفردات يمكن تركيبها على وجه لا يفيد المقصود ، وقد يمكن تركيبها على وجه يفيده . ثم للتركيب المفيد مراتب كثيرة ، ولها طرفان ، ووسط :

فالطرف الأعلى : هو أن يقع ذلك التركيب على وجه يمتنع أن يوجد ما هو أشد تناسباً واعتدالاً منه في افادة ذلك المعنى .

والطرف الأدنى : هو أن يقع على وجه لو صار أقل تناسباً منه لخرج

(13) معنى الذلاقة : أن يعتمد عليها بذلق اللسان وهو طرفه ، قال ابن سنان : حروف الذلاقة ستة أحرف ، وهي : اللام ، والراء ، والنون ، والفاء ، والباء ، والميم . وعند البحراني حروف الذلاقة ثلاثة وهي : الراء ، واللام ، والنون ، ويلحق بها الحروف الشفهية وهي : الفاء ، والباء ، والميم . انظر أصول البلاغة ص ٤٠ ط دار الشروق ، وسر الفصاحة ص ٢٤ ط صبيح .

(14) كلمة «في» ساقطة من النسخة أ .

(15) الكلام الذي وضعناه بين قوسين مربعين نقله ميثم البحراني عن الفخر الرازي ، دون تصرف تقريباً . انظر نهاية الايجاز ص ١٠ ـ ١١ . وواضح أن البحراني يأخذ برأي الرازي في مفهوم البلاغة التي تعود إلى النظم والتركيب .

عن كونه مفيداً لذلك المعنى .

وبين هـذين الطرفين مـراتب : واختيـار أحسنهـا يقتضي الفصـاحـة في النظم ، وهذا معنى قول عبد القاهر الجرجاني[16] ـ رحمه الله ـ:

[«النظم عبارة عن توخي معاني النحو فيما بين الكلم»][17] .

إذا ثبت هذا فنقول :

أما الطرف الأدنى ، فليس من البـلاغة في شيء ، وأمـا سائـر المراتب فـإن كل واحـد منها إذا اعتبـرته بـالنسبة إلى مـا تحته يكـون مستلزماً للبـلاغة والفصاحة .

وامـا الطرف الأعلى ومـا يليه ، فهـو المعجـز . فهـذا هـو التحقيق في البلاغة والفصاحة في المفردات والمركبات] .

---

(١٦) هو الامام المشهور أبو بكر عبد القـاهر بن عبـد الرحمن الجـرجاني ، وكـان إمامـاً في النحو والبلاغة ، وأشهـر كتبه دلائـل الاعجاز وأسـرار البلاغـة ، والعوامـل المائـة ، وله في النحـو كتـاب المغنى في شـرح الايضاح لأبـي علي الفـارسي، ويبلغ ثـلاثين مجلداً . انـظر في ترجمته : بغية الوعاة ٢/ ١٠٦ ، انباه الـرواة ٢/١٨٨ ، نزهـة الألبا ٢٣٦ ، فـوات الوفيـات ١/ ٣٧٨ .

(١٧) «النظم هو توخي معاني النحو في معاني الكلم ، وأن تـوخيها في متـون الألفاظ محـال» هذه عبارة عبد القاهر في الدلائل ص ٢٧٦ ط المنار .

الجملة الأولى في المفردات

وفيها مقدمة وأبواب:

(٢٠ ب) أما المقدمة : فاعلم أن للأشياء في الوجود أربعَ مراتب:[١]

الأول : وجودها وتحققها في الأعيان .

الثاني : وجودها في الذهن .

الثالث : وجودها في اللفظ الدال على ما في الذهن .

الرابع : وجودها في الكتابة الدالّة على ما في اللفظة .

ومزية الكلام في الحسن تارة تكون بسبب الكتابة ،

وتارة تكون بسبب اللفظ من حيث هو لفظ .

وتارة بحسب اللفظ من حيث له الدلالة الوضعية .

وتارة بحسبه من حيث له الدلالة الالتزامية .

---

(١) قال الفخر الرازي في نهاية الايجاز : أعلم أن للأشياء اربع مراتب في التحقيق .

الأولى : حصولها وتحققها في أنفسها .

الثانية : حصول تصوراتها والعلم بها عند العقل .

الثالثة : الألفاظ الدالة على تلك الصور .

الرابعة : الكتابات الدالة على تلك الألفاظ .

ومزية الكلام في الحسن والجمال ؛ تارة تكون بسبب الكتابة ، وتارة تكون بسبب اللفظ من حيث هو هو ، وتارة بسبب اللفظ من حيث له الدلالة الوضعية الأصلية ، وتارة بسبب اللفظ من حيث له الدلالة المعنوية الفرعية .

وغرضنا في هذا الباب أن نتكلم في الأقسام الثلاثة الأول . ص ٢١ ، ٢٢ .

ولما كانت المحاسن العائدة إلى الكتابة لا تخلو عن تكلف ما ،[٢] وكان الكلام الذي نحن بصدد شرحه بريئاً عن التكلف ، خالياً عن جهات التعسف ، لا جرم كان ذكرنا لها قليل الجدوى ، فلذلك تركناه .

الباب الأول : في المحاسن العائدة إلى اللفظ من حيث هو لفظ .

اعلم[٣] ان المحاسن العائدة إلى اللفظ ، إما أن تعود إلى آحاد الحروف ، أو إلى حال تركيبها ، أو إلى الكلمة الواحدة ، أو إلى الكلمات الكثيرة ، فلا جرم اشتمل هذا الباب على فصلين :

الفصل الأول

فيما يتعلق بآحاد الحروف ، وتركيبها ، وحال الكلمة ، وفيه أبحاث :

البحث الأول : في مخارج الحروف ، وهي ستة عشر :[٤] .

أ ـ أقصى الحلق ، وهو مَخرج ثلاثة حروف : الهمزة ، والألف ، والهاء .

ب ـ وسَط الحلق ، وهو مخرج لحرفين : العَين ، والحاء[٥] .

حـ ـ أدناه إلى الفم ، وهو مَخْرج الغَين والخاء .

---

(٢) وصف البحراني المحاسن التي تعود إلى الكتابة بأنها لا تخلو عن التكلف ؛ لأن النظر فيها يكون من حيث الحروف منقوطة أو غير منقوطة ، أو أن كلمة في جملة منقوطة ، وفي جملة أخرى غير منقوطة . وهو في هذا يتبع خطا الرازي انظر نهاية الايجاز ص ٢١ ـ ٢٣ .

(٣) واعلم في النسخة ب .

(٤) ذكر علي بن عيسى عن النحاة أن مخارج الحروف ستة عشر . نهاية الايجاز ص ٢٣ . ومخارج الحروف بأقسامها الستة عشر ذكرها ابن سنان في سر الفصاحة ص ٢٢ ، ٢٣ . والصواب : أن المخارج خمسة عشر ، وهذه النون ـ اي المخرج التاسع ـ خيشومية لا عمل للسان فيها .

(٥) والهاء في النسخة ب وهو خطأ ؛ لأن الهاء مخرجها من أقصى الحلق .

د - اللسان فما فوقه من الحنَك ، وهو مخرج القاف .

هـ - أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ، ومما يليه من الحنَك ، وهو مخرجُ الكاف[٦] .

و - من وسط اللسان بينه وبين وسَط الحنَك، وهو مخرج الجيم والشين والياء[٧] .

ز - أول حافّة اللسان وما يليها من الأضراس ، وهو مخرج الضاد[٨] (٢١ أ) .

حـ - حافّة اللسان من أدناها[٩] إلى مُنتهى طرف اللسان ، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى فما فُويقَ الضاحِك والنّاب والرباعية والثنيّة[١٠] ، وهو مخرج اللام[١١] .

ط - من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا: مخرج النُون .

ي - مخرج النون غير أنه أُدخلُ من ظهر اللسان قليلاً ؛ لانحرافه الى اللام ، وهو مخرج الراء .

ك - فيما بين طرْف اللسان وفويق الثنايا : مخرج الطاء ، والتاء ، والدال[١٢] .

---

(٦) القاف والكاف يسميان لهوّيين ؛ لملابستهما اللهاة في خروجهما .

(٧) هذه الحروف تسمى الحروف الشجرية .

(٨) ويسمى المنفرد المستطيل .

(٩) ادناه في النسخة ب .

(١٠) الثنية : واحدة الثنايا من السن المحكم ، والثنية من الأضراس: أول ما في الفم ، وثنايا الانسان في فمه : الأربع التي في مقدم فيه : ثنتان من فوق ، وثنتان من أسفل مادة ثنى .

(١١) ويسمى : المنحرف .

(١٢) وتسمى : النطعية .

ل ـ فيما بين طرف اللسان وأطراف الثنـايا : مخـرج الزاي ، والسين ، والصاد[١٣] .

م ـ فيما بين طرْف اللسان والطرف الأدنى من الثنـايا : مخـرجُ الظاء ، والثاء ، والذال[١٤] .

ن ـ من باطن الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا : مخرج الفاء .

س ـ ما بين الشفتين : مخرج الباء ، والميم ، والواو[١٥] .

ع ـ من الخياشيم[١٦] : مخرج النون الخفيفة .

قـال الخليـل[١٧] : [الـذلاقَـةُ في النـطق إنمـا هي بـطرف أَسَلة[١٨] اللسان ، وذلَقُ اللسان تحديد طرفه ، كذلَقِ السِنان .

قال : ولا ينطق طرف شَباة[١٩] اللسـان إلا بثلاثـة أحرف وهي : الـراء واللام والنون . فلذلك تسمى هذه حروف الذلاقة[٢٠] .

---

(١٣) وتسمى : الأسلية وحروف الصفير .

(١٤) وتسمى : اللثوية ؛ لملابستها اللثة ، أو قربها منها .

(١٥) ـ وتسمى الشفهية .

(١٦) الخيـاشيم : جمع خيشـوم ، والخيشوم من الأنف مـا فوق نخـرته من القصبـة ومـا تحتهـا ، وقيـل الخياشيم : غضـاريف في أقصى الأنف بينه وبين الـدمـاغ ، وقيـل : هي عـروق في باطن الأنف . وخياشيم الجبال : أنوفها . اللسان مادة خشم .

(١٧) هو أبو عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي صاحب كتاب العين وعلم العروض وأستـاذ سيبويـه توفي سنة ١٧٥ هـ طبقات النحويين واللغويين ص ٤٣ ط الخانجي .

(١٨) أسلة اللسـان : طرف شبـاته إلى مستـدقه ، ومنـه قيـل للصـاد والـزاي والسين أسليـة ؛ لأن مبدأها من أسلة اللسـان وهو مستـدق طرفـه ، والأسلة : مستدق اللسـان ، وأصل الأسـل : نبات له أغصان رقاق كثيرة لا ورق لها . اللسان مادة أسل .

(١٩) شباة كل شيء : حد طرفـه ، وقيل حـد كل شيء شبـاته ، والجمـع شبوات وشبـا . اللسان مادة شبا .

(٢٠ ـ معنى الـذلاقة : أن يعتمـد عليها بـذلق اللسـان ، وهـو طـرفـه ، قـال ابن سنـان : حـروف =

ويلحق بها الحروف الشفهية وهي ثلاثة : الفاء والباء والميم .

قـال : ولما ذَلقتْ هـذه الحـروف وسُهلت على اللسـان في المنـطق ، كثُـرتْ في أبنية الكـلام ، فليس شيءٌ من بناء الخُمـاسيّ التام يَعْـرَى عنهـا ، فإن وردت عليك كلمـةٌ خماسيـة أو رباعيّـة معرَّاة عن حـروف الذلْق ، أو عن الحـروف الشفهية ، فـاعلم أن تلك الكلمة محـدثةٌ مبتـدعـةٌ ليست من كـلام العرب .

وقـال أيضاً : العين والقـاف لا يـدخـلان في بنـاء إلا حسّنـاه ؛ لأنهمـا أطلق الحروف[.

أما العين ، فأفصح الحروف جرْساً وألذُّها سماعاً .

وأما القاف ، فأمتن الحروف وأوضحها جرْساً .

فإذا كانتا أو أحدهما في بناء ، حَسُن البناء .

وكـذلك السين والـدال في البناء إذا كـان اسماً ؛ لأن الـدال لانت عن صـلابة (٢١ت) [الـطاء ولَزَازَتِهَـا(٢٢) ، وارتفعت عن خُفوت التـاء ، فصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي .

كذلك قال :

والهاء تحتمل في البناء ؛ للينها وهشاشتها(٢٣) [(٢٤) .

= الذلاقة ستـة أحرف وهي : الـلام والراء والنـون ، والفاء والبـاء والميم ، وبذلـك ادخل ابن سنان الحروف الشفهية في حروف الذلاقة على خلاف ما ذكره المؤلف . سر الفصـاحة ص ٢٤ ط صبيح .

(٢١) أطلق الحـروف : أسهلها ، يقـال ليلة طلْق : أي سهلة طيبة لا حر فيهـا ولا بـرد يؤذيـان . اللسان مادة طلق.

(٢٢) الكزازة : اليبس والانقباض . اللسان مادة كزز .

(٢٣) الهشّ : ما فيه رخاوة ولين . اللسان مادة هشش.

(٢٤) ما بين القوسين العموديين ساقط في النسخة أ وذكرت في النسخة ب .

ولا بـد من رعـايـة هـذه الاعتبـارات ؛ ليكـون الكـلام سَلِسـاً على اللسان[٢٥] ، وهي كالشروط للفصاحة والبلاغة .

البحث الثاني : في المحاسن بسبب آحاد الحروف وشروط تركيبها .

أما الأول : فمنها الحذف ، وهو : أن يحتـرز عن حرف أو حـرفين في الكلام ؛ إظهاراً للمهارة في تلك اللغة .

كـان واصل[٢٦] ألثـغ ، وكان يحترز عن الـراء ، فجـرّب في أنـه كيف يعبّـر عن معنى قولنـا : اركبْ فرسَـك، واطـرحْ رمحَـك، فقـال في الحـال: إلقِ قنـاتَك ، واعـلُ جوادَك . والحـريري[٢٧] بلغ الغـايـة حيث ذكـر أشعـاراً حذف عنها الحروف المنقوطة ، وأشعاراً حذف عنها غير المنقوطة .

ومنها ألإعْنات ، وهو : التزامُ حرف قبلَ حرف الرَّويّ أو الردْف ، من غيـر أن يجب ذلك في السجـع ، كقولـه تعالى : **﴿فـأمّـا اليتيمَ فـلا تَقْهَـرْ ، وأمّا السائلَ فلا تَنْهرْ﴾**[٢٨] .

وقـول عليّ عليـه السـلام في مـدح النبيّ ﷺ: «بلّغ عن ربّـهِ مُعْـذِراً ونَصَحَ لأمّتِهِ مبذِّراً»[*] .

---

(٢٥) هـذا المبحث ذكره الطوفي البغدادي كـامـلاً دون تصـرف . الاكسيـر في علم التفسيـر ص ٧٢ .

(٢٦) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتـزلي ، المعروف بـالغزال ، ولـد سنة ٨٠ هـ وتـوفي سنة ١٨١ هـ ، وكـان ألثغ فـاحشَ اللثغ ، وقـد عمد إلى إسقـاط حرف الـراء من كلامـه ، ولم يـزل يكابـد ذلك ويغـالبه حتى انـتظم له مـا حاول ، واللثغـة في الراء تكـون بالغين والـذال والياء ، والغين أقلها قبحاً . لسان الميزان ٦/ ٢١٤ ، البيان والتبيين ١/ ١٤ .

(٢٧) هو القاسم بن علي البصري الحريري ولد سنة ٤٤٦ وكان غـاية في الفصـاحة والبـلاغة ولـه المقامات المعروفة باسمه ، ودرة الغواص في أوهام الخـواص ، والملحة وشـرحها ورسـائله وديـوان شعـره ، مـات بـالبصـرة سنـة ٥١٦ هـ . بغيـة الـوعـاة ٢/ ٢٥٧ ـ ٢٥٩ ط عيسى الحلبي .

(٢٨) سورة الضحى آية ٩ ـ ١٠.

(*) من قـوله في زهـد الرسـول ﷺ نهج البـلاغة ص ١٦٢ ، ومعـذراً : مبيناً لله حجـة تقوم مقـام الغـدر في عقابهم إن خالفوا أمره .

وأما الثاني : فالشرط أن يكون التركيب معتدلاً ، فإن من التركيب ما يكون متنافراً ، كقوله :

وقَبْرُ حرْبٍ بمكانٍ قَفْرِ   وليس قُرْبَ قبْرِ حرْبٍ قَبْرُ[29]

وأن يكون خفيفاً ، فإن منها ما يكون ثقيلاً ، وإن كان دون الأول ، كقول أبي تمام :

كريمٌ متى أمدحْه أمدحْه والورى   معي ومتى لُمْتُه لمتُه وحدِي[30]

ومنه ما يكون فيه بعض الكلَفة إلا أنه لا يبلغ أن يُعاب ، والسبب في هذا التنافر، إما تقارب مخارج الحروف فيحتاج فيها إلى جنس الصوت في زمانين متلاصقين، فلا يظهر الحرف الأول (٢٢ أ).

وإما وجوب العود إلى ما منه الابتداء ، كقولهم : الهُعْخُع[31] ، وهذه الدرجات كما تترتب في جانب الثقل ، فهي موجودة في جانب السلاسة ، حتى إن الكلمة تكون غاية السلاسة .

البحث الثالث: فيما يتعلق بالكلمة الواحدة ، وهو من وجهين :

الأول : أن تكون متوسطة في قلة الحروف وكثرتها .

---

(٢٩) البيت لا يعرف قائله ، ولتنافر لفظه نسبوه إلى الجن ، وهذا شيء قد ذكرته الرواة في أخبارها ، والعرب في أشعارها ، أنشده الجاحظ في البيان والتبيين ١/ ٦٥ والحيوان ٦/ ٢٠٧ .

(٣٠) بعض العلماء بالشعر يعيب على ابي تمام هذا البيت لما فيه من تكرار حروف الحلق على ما فيه من سلامة المعنى واختيار الألفاظ . سر الفصاحة ص ١١٣ .

وهذا البيت لأبي تمام قصيدة يمدح فيها أبا الغيث الرافقي ويعتذر إليه ومطلعها :

شهدت لقد أقوتْ مغانيكم بعدي   ومحت كما محت وشائع من برد

ديوانه ٢/ ١١٦

والشطرة الثانية من البيت كما وردت في النسخة أ

... جميعاً ومهما لمته لمته وحدي

فأما الحرف الواحد فلا يفيد.

[وأما المركبة[٣٢]] من الحرفين ، فليس في غاية العذوبة ؛ بل البالغ في ذلك الثلاثيات ؛ لاشتمالها على المبدأ والوسط والنهاية . وعلته: أن الصوت من عوارض الحركة، والحركة لا بد لها من هذه الثلاثة، فمتى ظهرت هذه الثلاثة فيها، كان الكلام أسهل جرياناً على اللسان.

وأما الرباعيات والخماسيات ، فلا يخفى ثقلها ؛ لزيادتها على الدرجات الثلاث التي يتعلق بها كمال الصوت .

الثاني : الاعتدال في حركات الكلمة ، فاذا تَوالتْ خمسُ حركات ، كان ذلك في غاية الخروج عن الوزن ، ولذلك لا يحتملها الشعر .

وأما أربع حركات ، فهي في غاية الثقل أيضاً ؛ بل المعتدل توالي حركتين يعقبهما[٣٣] سكون ، وإن كان لا بدّ فإلى ثلاثِ حركات[٣٤] .

---

(٣١) روى ان الخليل بن أحمد قال : سمعنا كلمة شنعاء وهي: الهعخع، وأُنكرنا تأليفها ، وقيل إن أعرابياً سئل عن ناقته فقال : تركتها ترعى الهعخع ، وسئل الثقات من العلماء عنه أنكروه ودفعوه . سر الفصاحة ٥٧ .

(٣٢) في النسخة أ وأما المركب .

(٣٣) يعقبها في النسخة ب .

(٣٤) ذكر المؤلف هنا وجهين فقط فيما يتعلق بفصاحة الكلمة الواحدة ، وفي أصول البلاغة ذكر خمسة أوجه ، وهي بالأضافة إلى الوجهين المذكورين:
كونها عربية غير مولّدة ، ولا صادرة عن خطأ العامة .
أن يكون أجري على مقاييس العرب .
أن لا تكون غريبة وحشية ، ولذلك كانت في الكتاب العزيز نادرة .
أصول البلاغة ص ٤٤ .

الفصل الثاني

فيما يتعلق بالكلمات المركبة ، وفيه نوعان :

النوع الأول : ما يكفي في تحقّقه اعتبار حال كلمتين ، وفيه أربعة أبحاث :

البحث الأول : في التجّنيس(*):

المتجانسان إن كانا مفردين ، فإن تساويا في نوع الحروف ، والحركات وأعدادها ، وهيئاتها ، فهو التجنيس التام ، كقولهم : حديثٌ حديث[1] ، وكقول الحريري[2] : «ولا ملأ الراحة مَن استَوْطأ الراحة» .

وإن اختلفا ، فإما في هيئة الحركة ، كقولهم : جُبّة البُرْد جُنَّةُ البَرْد[3] . أو في الحركة والسكون ، كقولهم : البِدْعةُ شَرَك الشِرْك ، أو في التخفيف ، كقولهم : الجاهل إما مُفْرط أو[4] مُفَرِّط ، ويسمى ذلك : التجنيس الناقص (٢٢ ب) .

أو في أعداد الحروف ؛ بأن تتساوى الكلمتان في نفس الحروف وهيئاتها، ثم تزيد في أحديهما ما ليس في الأخرى، ويسمى المذيل، فإما في أول الكلمة كقوله تعالى: ﴿**والتفت الساقُ بالسّاق، إلى ربك يَوْمئذٍ**

(*) قال ابن الأثير : اعلم أن التجنيس غرّة شادخة في وجه الكلام .. وإنما سمي هذا النوع من الكلام مجانساً ؛ لأن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد . المثل السائر ١/ ٣٤٢ .

(١) في النسخة ب حديث وحديث .

(٢) سبقت ترجمته ص٧٣، الراحة الأولى هي الجارحة ، والثانية ضد المشقة .

(٣) البرد بضم الباء : ثوب مخطط ، جُنة : وقاية .

(٤) إما مفرط وإما مفرط في النسخة ب أي إما مبالغ أو مقصّر .

المسَاق﴾[٥] .

أو في وسطها كقولهم : كَبِدٌ كَبِيد[٦] .

أو في آخرها كقول بعضهم : فلان سَالٍ من أحزانه سالمٌ من زمانه[٧] ، وقول أبي تمام :[٨]

يَمُدّون مِن أيدٍ عواصٍ عواصِم تصولُ بأسيافٍ قواصٍ قواضبِ

وإما أن يختلفا في أنواع الحروف ؛ وقد يكون بحرف واحد ، وقد يكون بحرفين ، ويسمى المضارع والمطرّف .

وما به الاختلاف قد يكون في أول الكلمة كقولهم : بيني وبينهم ليل دامس ، وطريق طامس[*] .

أو في وسطها من حرفين متقاربين ، كقولهم : ما خَصَصْتَني ولكن خَسَسْتَني[٩] .

أو في آخرها ، كقول النبيّ ﷺ : «الخيْر معقودٌ بنواصي الخيْل»[١٠] .

---

(٥) سورة القيامة آية ٢٩ ، ٣٠ .

(٦) كبد كبيد أي مكبود ، وذلك إذا أضرّ الماء بالكبد . اللسان مادة كبد .

(٧) سأل من أحزانه : خال من الهموم ، نهاية الأرب ٧/ ٩١ .

(٨) البيت لأبي تمام في مدح أبي دلف العجلي من قصيدة مطلعها :

على مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب

وعواض : آبيات ، عواصم : حوافظ ، قواض : فاصلة ، قواضب : قاطعة ديوان ابي تمام ١/٢٠٦ ، الصناعتين ٣٣٤ ، الأسرار ٢٣ ، الطراز ٢/ ٣٦٢ ، المثل السائر ١/ ٣٥٠ .

(*) دامس : شديد السواد ، طامس : خفي المعالم .

(٩) ما ميّزتني بشيء ولكن جُرْت عليّ .

(١٠) معقود : مربوط ، نواصي الخيل : مقدم رأسها ، اراد أن الخير ملازم لها ، رواه مسلم ٢/ ٦٨٣ ، والحديث في المجازات النبوية ص ٤٩ ، والصناعتين ٣٣٢ (الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة) .

وقد يكون الاختلاف بحرفين غير متقاربين ، وهو إما في آخر الكلمة ، كقوله تعالى : **﴿وَإذا جاءهم أمْرٌ مِن الأمْنِ﴾**(١١) .

أو في وسطها ، كقوله تعالى : **﴿وإنّه على ذلك لشهيد ، وإنه لحبِّ الخيْرِ لشَدِيد﴾**(١٢) .

أو في أولها ، كقول الحريري : «لا أُعطي زِمامي من يَخْفِر ذِمامي»(١٣) .

ثم المتجانسات إما أن يكون بعضها في مقابلة البعض حال التسجيع، وهو ظاهر أو بضم بعضها إلى بعض في أواخر الأسجاع ، ويسمى مزدوجاً ومكرّراً ، كقولهم : النّبيذ بغير نَغَم غَمّ ، وبغير دسَم سَمّ ، وكقولهم : من طلب شيئاً وجدَّ وجَدَ ، ومن قرع باباً ولجَّ وَلجَ .

ومن التجنيس ما يكون بالإشارة دون التصريح ، كقولهم :

حُلقتْ لحيةُ موسى باسمه وبهارون إذا ما قُلِبا(١٤)

وقد يكون التجنيس بحيث يتجاذبه أصلان ويسمى المشوّس(١٥) ، كقولهم : [٢٣ أ] «فلان مليحُ البلاغة كاملُ البراعة» .

فلو اتحدت عينا الكلمتين كان مصحّفا(١٦) .

---

(١١) وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) النساء ٨٣ .

(١٢) العاديات آية ٧ ، ٨ .

(١٣) لا أثق فيمن يخون عهدي ؛ والزمام : القياد ، والذمام : العهد .

(١٤) أي حلقت لحية موسى بالموس، والمراد بالثانية : الشفرة التي تستعمل في الحلاقة . وهرون إذا قلبت صارت «نوره» وهو ما يستعمل في أزالة الشعر .

(١٥) ومثاله قولهم : فلان مليح البلاغة ، لبيق البراعة . الطراز ٢/ ٣٦٨ . وفي نهاية الأدب ٩٤/٧ صحيح البراعة .

(١٦) الجناس المصحف هو عبارة عن الإتيان بكلمتين متشابهتين خطّاً لا لفظاً ، كقوله تعالى : **﴿وَهم يحسبون أنهم يُحسنون صُنعاً﴾** الكهف ١٠٤ .

ولو اتفقت لاماهما كان مضارعاً[١٧] .

وأما إن كان المتجانسان مركّبين :

فإما أن يكونا متشابهين خطّا فقط دون اللفظ ، ويسمى المصحّف ، كقول عليّ عليه السلام(*) : «قصّر ثيابَك فإنه أبْقى وأتْقى وأنْقى» وكقولهم : غَرّك عِزُّك ، فَصار قُصار ذَلك ذُلّك ، فاحْسن فاحسَن فِعلِك ، فَعلَّك تُهَدَا بِهَذَا .

أو لفظاً فقط ، ويُسمى المفروق ، كقوله :

كُلّكُمْ قد أخذَ الجامَ ولا جامَ لنا   ما الذي ضرّ مدير الجام لوْ جاملنا[١٨]

أو خطّا ولفظاً ، ويسمى المقرون ، كقولهم :

إذا مَلِكٌ لم يكنْ ذَا هِبَهْ   فَدعْه فَدوْلَتُه ذاهِبَهْ

البحث الثاني : في الاشتقاق .

وأما الاشتقاق ، فهو أن تأتي بألفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة ، كقوله تعالى : **﴿فَأقِمْ وجْهَك للدين القَيّم﴾**[١٩] .

وقول النبي ﷺ : «الظُّلْمُ ظُلُماتٌ يومَ القيامة»[٢٠] .

---

(١٧) الجناس المضارع هو أن يختلفا في أنواع الحروف بحرف أو حرفين ، كقوله تعالى : **(وإنه على ذلك لشهيد ، وإنه لحبّ الخير الشديد)** العاديات ٧ ، ٨ ، ويشترط أن يكون ذلك الحرف الواحد يقارب الآخر في المخرج .

(*) نهاية الأرب ٩٣/٧ ، والطراز ٢/ ٣٦٦ .

(١٨) البيت لأبي الفتح البستي ، وقد ذكر في الأكير ص ٣٢٤ ، والاشارات والتنبيهات ص ٢٩٠ والجام : الكأس ، ومدير الجام : الساقي .

(١٩) سورة الروم آية ٤٣ .

(٢٠) رواه عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ، شرح صحيح البخاري لكرماني ٢٠/١١ ط ١ وسنن الترمذي ٣٧٧/٤ ، وقد ورد من حديث في مسلم في باب تحريم الظلم ، وفيه : اتقوا الظلم ، فان الظلم ظلمات يوم القيامة .

وقـول علي عليه السـلام : «جـاهـلٌ خبّـاط جَهَـلات ، عَـاسٍ رَكّـابُ عَشَوات»[٢١] .

وأمـا مـا يشبــه المشتق، كقـولـه تعـالى : ﴿وَجَنَى الجنّتَيْن دانٍ﴾[٢٢] وقال : ﴿إنِّي لعمَلكم مِن القَالِين﴾[٢٣] .

البحث الثالث : في رد العجز على الصدر .

ورسمه : أنه كل كلام وجـد في نصفه الأخيـر لفظ يشبه لفـظاً موجـوداً في نصفه الأول ، وله عدة أقسام :

أ ـ أن يتفق لفـظا الصدر والعجـز صورة ومعنى ، ويكـونـان طـرفين ، الأول في أول الكـلام والثاني في آخـره ، كقـولهم : «الحِيلَة تـرْك الحيلة» ، وقولهم : «القتل أنفى للقتل» ، وكقول القائل :[٢٤] .

سُكـران : سُكرُ هـوًى وسكرُ مُـدامةٍ   أنّـى يُـفـيـق فـتـىً بـه سُـكـران

ب ـ أن يتّفقا صورة لا معنى وهما طرفان كقوله :[٢٥]

يَـســارٌ من سـجيـتـهـا الـمـنـايـا   ويُـمنـى مـن عـطيّـتـهـا الـيـسـارُ

---

(٢١) من كـلام علي رضي الله عنه في صفـة من يتصدى للحكم بين الأمـة ، وليس لذلـك بـأهـل نهج البلاغة ص ٥٩ . ط بيروت . الخباط الذي يسيـر على غير هـدى ، عاس : خـابط في الظلام ، عشوات : ركوب الأمر على غير هدى .

(٢٢) سورة الرحمن آية ٥٤ .

(٢٣) سورة الشعراء آية ١٦٨ .

(٢٤) الهوى : العشق ، والمدامة : الخمر ، والبيت للخليـع الدمشقي ، وقـد ذكر في التبيـان في علم البيـان ص ١٧٩ ، والاكسير في علم التفسيـر ص ٣٢٨ ، والاشارات والتنبيهـات ٢٩٥ والطراز ٢/ ٣٩٢ . كما ذكر في اليتيمة ١/ ٢٨٧ ، وفي دقائق السحر !!

(٢٥) البيت للسّري الرفاء من شعراء الدولة الحمدانية ديـوانه ٢/ ٢٢٢ ، ويتيمـه الدهـر ١/ ١١٧ وهو من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ومطلعها :

أغــرتــك الـشــهــاب أم الـنــهــار   أراحـتــك الـســحــاب أم الـبــحــار؟

جـ - بالعكس ويكونان طرفين أيضاً كقول عمر بن أبي ربيعة : [٢٣ ب]

واستبدّت مرةً واحدة   إنما العاجزُ مَنْ لا يَسْتبدّ[٢٦]

د - أن يلتقيا في الاشتقاق لا في الصورة ، وهما طرفان أيضاً كقول السّري :

ضرائبُ أبدعتَها في السماح   فلسْنا نرى لك فيها ضَريبا[٢٧]

هـ - أن يلتقيا صورة ومعنى ، ويكون أحدهما حشواً في صدر البيت والآخر طرفاً في عجزه ، كقول أبي تمام :[٢٨]

ولم يَحفظ مُضاع المجد شيءٌ   من الأشياء كالمال المضاعِ

و - أن يقعا كذلك ويتفقا صورة لا معنى ، كقول بعضهم :[٣٠]

لا كان إنسان تيمّم[٢٩] صائداً   صيد المَها فاصطادَه إنسانُها

ز - أن يقعا كذلك ويلتقيا معنى لا صورة ، كقول امريء القيس :

---

(٢٦) البيت لعمر بن أبي ربيعة من قصيدة مطلعها :

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد   وشفت أنفسنا مما نجد

ديوانه ص ٧٦ والبيان والتبيين ١/ ٣٥ .

(٢٧) البيت أخذه السري الرفاء من قول البحتري :

بلونا ضرائب من قد نرى   فما إن رأينا لفتح ضريباً

ديوان البحتري ١/ ١٥١ ، وديوان الرفاء ٤٩ .

وبيت السري الرفاء من قصيدة يمدح بها أبا الفوارس سلامة بن فهد أولها :

تعنفني إن أطلت النحيبا   وأسبلت للعين دمعاً سكوبا

والبيت في التبيان ١٧٩ والاكسير ٣٢٨ ، والطراز ٣٩٢ .

(٢٨) البيت من قصيدة يمدح فيها أبو تمام مهدي بن أحرم مطلعها .

خذي عبرات عينك عن رفاعي   وصوني ما أزلت من القناع

ديوانه ٢ ٣٤٠ دار المعارف .

(٢٩) يتمّ في النسخة ب .

(٣٠) لم أعثر على قائله ، وفي حسن التوسل : لاكان إنسان يتمم قاصداً ص ٢١٧ .

إذا المرءُ لم يَخزُن عليه لسانَه   فليس على شيءٍ سِواهُ بخزّان(٣١)

حـ ـ أن يقعا طرفين في آخر الصدر والعجز ، ويتفقا صورة ومعنى ، كقول أبي تمام :

ومن كان بالبيض الكواكب مُغْرما   فما زلتَ بالبيض القواضب مغرمَا

ط ـ أن يقعا كذلك ويتفقا صورة لا معنى ، كقول الحريري :(٣٣)

فمشغوفٌ بآيات المثاني   ومفتونٌ برنّات المثانِي

ي ـ أن يقعا كذلك ويتفقا في الاشتقاق ويختلفا في الصورة ، كقول البحتري :

ففعلُك إن سُئلتَ لنا مطيعٌ   وقولُك إن سَألت لنا مُطاع(٣٤)

ك ـ أن يتفقا في شبه الاشتقاق ويختلفا صورة ومعنى ، كقول الحريري :

ومُضْطَلعٌ بتلْخيصِ المعاني   ومُطّلعٌ إلى تَخليص عانِي(٣٥)

ل ـ أن يقع أحدهما في أول العجز ، والثاني في آخره ، كقول الحماسي :(٣٦)

---

(٣١) البيت في الديوان ص ٩٠ والاشارات والتنبيهات ٢٩٧ ط نهضة مصر

(٣٢) البيض القواضب : القواطع ، ديوانه ٣/ ٣٣٦ ، والاشارات ٢٩٦ وأصول البلاغة ٥١ .

(٣٣) البيت مذكور في المقاومة الحرامية من مقامات الحريري ص ٥٢١ (المقامة الثامنة والأربعون)

(٣٤) ديوانه ٢/ ١٢٤٦ من قصيدة يمدح فيها ابراهيم بن المدبر ونهاية الأرب ١١١/٧ وفي ب ان سئلت لنا مطاع وهو ظاهر الخطأ .

(٣٥) مضطلع : قوى على محمله ، تلخيص المعاني : اختصارها ، تخليص عانى : فك الاسير والبيت في المقامة الحرامية (الثامنة والأربعون) ص ٥٢١ .

(٣٦) والبيت لذي الرمة غيلان بن عقبة ، وفي الديوان إلا تعلل ساعة ، والتعريج : الوقوف واللبث ، ديوانه ٢/ ٩١٢ ط دمشق .

وان لا يكـن إلا مُـعَـرّجُ سـاعـةٍ   قليـلاً فـانّي نـافـعٌ لـي قَليـلُهـا

م ـ أن يقعـا (كذلـك) ويلتقيا في الاشتقـاق دون الصـورة ، كقـول أبي تمام :[٣٧]

ثوى بالثرى مَن كان يَحيى به الورى   ويَغمـرُ صَرْف الـدهـرِ نـائلُه الـغمْـرُ

ووراء هذه الأقسام أقسامٌ أُخَرُ لهذا النوع وفيما ذكرناه كفاية .

البحث الرابع : في القلب[٣٨]/ [٢٤ أ].

وهو إما في كلمة أو كلمات :

والأول، فإما أن يتقدم كل واحد من حروفها على ما كان متأخراً عنه، ويسمى مقلوب الكلّ، كالفتح والحتف في قوله :

حسـامُـك فيــه لـلاحبــابِ فتـحْ   ورمْحـكَ فيه لـلأعـداءِ حَتْف[٣٩]

ثم إن وقــع مثــل هــاتين الكلمتين على طــرفي البيت سمي مقلوبــاً مجنّحاً، كقوله :

ساق هذا الشاعر الحيْن إلى من قلبه قاسي   بيت من الأشعر

سأرضى القوم فالهمّ علينا جبل راسي   بيت من الشعر

أو يكـون بعض حروفهـا كذلـك، فيسمى مقلوب البعض، كقولـه عليه السلام[٤٠] :

---

(٣٧) ديوان ابي تمام ٤/ ٨٤ .

(٣٨) إن اختلفت الكلمتان في ترتيب الحروف سمي جناس القلب.

(٣٩) الحتف: الهلاك.

(٤٠) الحديث رواه ابن عمر، وكـان الرسـول يدعـو به حين يمسي وحين يصبح . ومن الحديث: اللهم استـر عوراتي، وآمن روعـاتي، واحفـظني من بين يـدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمـالي، ومن فوقي، وأعـوذ بك أن اغتـال من تحتي» سنن ابن مـاجـه ٢/١٢٧٥ ط عيسى الحلبي. والبيت للوطواط حدائق السحر في دقائق الشعر ص ١٠٨

«اللهم استرْ عَوْراتِنا، وآمِنْ رَوْعاتِنا».

وإمـا في الكلمـات بحيث تكـون قـراءتهـا من أولهـا كقـراءتهـا من آخرها[٤١] كقول الحريري:

أُسْ أرْمـلاً إذا عَـرَا وارْعَ إذا الـمـرءُ أَسَـا[٤٢]

* * *

النوع الثاني: ما يحتاج إلى أزيد من كلمتين، وفيه أبحاث:

البحث الأول: من السجع[٤٣]، وهو ثلاثة أقسام:

أحـدهـا، يسمى المتـوازي: وهـو أن تتسـاوى الكلمتـان في عـدد الحـروف، ونوع الحـرف الأخير، كقـول عليّ عليه السـلام: «كثـرة الـوفـاق نفـاق، وكثرة الخـلاف شقاق»[٤٤] وكقـولـه عليـه السـلام في أهـل البصـرة: «عهدُكُمْ شِقاقٌ، ودينُكُمْ نفاقٌ وماؤكم زُعَاقٌ»[٤٥].

وثـانيهـا، المـطرّق: وهـو أن يختلفـا في العـدد ويتفقـا في الحـرف

---

(٤١) في النسخة بحيث يكون قراءتها من أولها كقراءتها من آخر.

(٤٢) في النسخة أ آس أرملا إذا عرا وارع إذا المرء أساء.

أس: أعط، أرمـلا: من نفذ زاده وافتقـر، عرى: أتى طـالباً للعـطاء، وارع: احفظ، أسـا: بمعنى أساء. والبيت يقرأ طـرداً وعكساً. والبيت في المقـامة المغـربية، مقـامات الحـريري ١٥٧ ط ٣ بيروت.

(٤٣) قـال العلوي: إن السجع من ارفـع مراتب الكـلام وأعلاهـا، وأجلّ علوم البـلاغة وأسنـاهـا وؤلهذا اختص به من بين سائر الأسـاليب البلاغيـة التنزيـل، وأحاط بـطويله وقصيره، وكـان الحسن فيه على أحسن هيئة وتنزيل. الطراز ٣، ٢٧، ٢٨.

(٤٤) الشقاق: الخلاف.

(٤٥) من كلامه رضي الله عنه في ذم أهل البصـرة بعد وقعـة الجمل: (أخـلاقكم دقاق، وعهـدكم شقـاق، ودينكم نفاق، ومـاؤكم زعاق). نهـج البـلاغـة ٥٥ بيـروت دقـاق: دنيئـة، زعـاق: مالح.

الأخير، كقوله عليه السلام: «لاحَمَ صُدوعَ انفِراجها، ولاءَم بينها وبين أزْواجِها»(٤٦).

وثالثها، المتوازن: وهو أن يتفقا في عدد الحروف ولا يتفقا في الحرف الأخير، كقول علي عليه السلام: «الحمدُ للّه غيرَ مفْقودِ الإنْعام، ولا مكافأ الإفْضَال»(٤٧) ويعرف المتكلف من السجع بأمرين:

أحدهما: أن يكون الحرف الأخير إنما يحتاج إليه للتقفية لا للمعنى/ [٢٤ ب].

الثاني: أن يترك معناه الأول لأجل التقفية.

البحث الثاني: في تضمين المزدوج: وهو أن يجمع المتكلم بعد رعاية السجع في أثناء القرائن بين لفظتين متشابهتي الوزن والرويّ، كقوله تعالى: ﴿**وجئْتُك من سبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِين**﴾(٤٨).

وقوله ﷺ: «المؤمنون هَيِّنون لَيِّنون»(٤٩).

وكقول علي عليه السلام: «كثرة الوفاق نفاق».

البحث الثالث: في الترصيع: وهو أن تتساوى أوزان الألفاظ، وتتفق أعجازها، كقوله تعالى: ﴿**إنّ الأبْرارَ لَفِي نَعيم، وإنّ الفُجّارَ لَفِي جحيم**﴾(٥٠).

---

(٤٦) من كلام علي رضي الله عنه في صفة السماء: «ونظم بلا تعليق رهوات فرجها، ولاحَمَ صُدَوعَ انفِراجِها، ووشّج بيْنها وبين أزواجِها» نهج البلاغة ١٢٧، ٢٨ظ.
رهوات: جمع رهوة وهو المكان المرتفع، ويقال للمنخفض أيضاً، فهو من الأضداد، والفرج: جمع فرجة وهو المكان الخالي، لاحم: ألصق، والصدع: الشق، وشّج: شبّك، أزواجها: أمثالها.

(٤٧) من خطبة لعلي رضي الله عنه عند المسير إلى الشام، نهج البلاغة ٨٧.

(٤٨) سورة النحل ٢٢.

(٤٩) أخرجه ابن المبارك عن مكحول مرسلاً، والبيهقي عن ابن عمر كما في (الفتح الكبير).

(٥٠) الانفطار ١٣، ١٤.

وقول علي عليه السلام: «عَلاَ بَحَوْلِهِ، ودَنَا بِطَوْلِهِ، مَانِح كلِّ غنيمةٍ وفضْلٍ، وكاشفِ كلِّ عظيمةٍ وأزْلي»(٥١).

وقوله في صفة الدنيا: «أوّلُهَا غَنَاءٌ وآخِرُها فَنَاءٌ!، في حَلالِهَا حِسَابٌ، وفي حَرامِها عِقابٌ»(٥٢).

وقد يجيء مع التجنيس، كقوله عليه السلام في كتاب الله: «بيت لا تُهدم أركانُه، وعِزٌّ لا تُهزم أعوانُه»(٥٣).

---

(٥١) علا بحوله: ارتفع عمن سواه، ودنا بطوله: اقترب من خلقه بإحسانه، وهي الخطبة العجيبة وتسمى: «الغرّاء» وهي أول الخطبة بعد حمد الله. نهج البلاغة ص ١٠٧.

(٥٢) من قوله في ذم الدنيا: «ما أصف من دار أولها عَناء، وآخرها فَناء، في حلالها حساب وفي آخرها عقاب، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن...» نهج البلاغة ١٠٦.

(٥٣) قول علي رضي الله عنه في ذكر القرآن: وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيا لسانه، وبيت لا تهدم أركانه، وعز لا تهزم أعوانه. نهج البلاغة ١٩١ ط بيروت.

الباب الثاني

فيما يتعلق بالدلالة الوضعية والمعنوية.

واعلم أن البحث عن حسن الدلالة اللفظية يرجع إلى اشتراط أربعة أمور.

الأول: أن تكون الكلمة عربية غير مولدة، ولا صادرة عن خطأ العامة(1).

الثاني: (أن تكون جارية)(2) على مقاييس العرب وقوانينها(3).

الثالث: المحافظة على قوانين النحو(4).

الرابع: الاحتراز عن الألفاظ الغريبة الوحشية(5)، ولذلك كانت في

---

(1) من الألفاظ العامية التي تخل بالفصاحة قولهم: تفرعن فلان: إذا وصفوه بالتجبّر.

(2) أن يكون أجرى في أ، ب.

(3) من الألفاظ التي لم تجر على مقاييس العرب استعمال كلمة (أيّم) بمعنى ثيّب، وإنما هي للمرأة التي لا زوج لها بكراً كانت أو ثيباً، واستعمال كلمة (قسط) بمعنى عدل، وهى بمعنى ظلم.

(4) الخروج عن قوانين النحو يؤثر في فصاحة الكلمة ويذهب حسنها وطلاوتها، كإظهار التضعيف في الكلمة، كأن تقول «ضننوا» من ضنّوا، وصرف ما لا ينصرف، ومنع الصرف مما ينصرف وقصر الممدود، ومد المقصور، وتذكير المؤنث وتأنيث المذكر، وجزم المضارع دون أن تسبقه علامة جزم كقول امرىء القيس:

فاليوم أشربْ غير مستحقب   إثماً من الله ولا واغل

انظر سر الفصاحة ٨٩ ـ ٩١.

(5) الألفاظ الغريبة الوحشية كقول أبي تمام: قدك اتّئد أربيت في الغلواء.

قدك: حسبك، اتئد: استحى، اربيت: زدت، الغلواء: المغالاة في العذل.

الكتاب العزيز نادرة[٦].

وأما الكلام في الدلالة المعنوية:

فاعلم أنه لما كانت الألفاظ المفردة لا تستعمل لإفادة مدلولاتها الالتزامية إلا عند التركيب، وكان الأصل في أصناف التراكيب هو الخبر، وهو الذي يتصور بالصور الكثيرة، وتظهر فيه الأسرار العجيبة من علم المعاني والبيان، رأينا أن نشير إلى قدر من مباحثه قبل الخوض في سائر الأقسام. وقد رتبنا هذا الباب على فصول.

الفصل الأول

في أحكام الخبر وفيه/ [٢٥ أ] أبحاث:

البحث الأول: في رسم الخبر.

وقد رسّم بأنه القول الذي يقال لقائله إنه صادق فيما قاله أو كاذب[٧].

وأورد الإمام فخر الدين عليه شكًا، فقال:

[الصدق والكذب لا يمكن تعريفهما إلا بالخبر؛ إذ يقال في الصدق: إنه الخبر المطابق، وفي الكذب إنه الخبر غير المطابق، وتعريف الخبر بهما دور][٨].

---

(٦) أما الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن الكريم مثل ﴿لم يتسنه﴾ البقرة ٢٥٩ أي: لم يتغير، ومثل ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ النازعات ١٤. أي: وجه الأرض، فليست وحشية.

(٧) الخبر: ما يحتمل الصدق والكذب لذاته، أي بقطع النظر عن القائل سواء أكان مقطوعاً بصدقه أو كذبه مثل: زيد قائم، فهذا خبر لأنه يحتمل الصدق والكذب.

والإنشاء: لا يحتمل صدقاً ولا كذباً، كالأمر والنهي؛ فإنه لا يحتمل صدقاً ولا كذباً، فهو لا يفيد حصول شيء أو عدم حصوله، وإنما هو أمر فقط أو نهي فحسب، انظر شرح التلخيص ١/١٦٦ وما بعدها.

(٨) قال الفخر الرازي: الخبر: هو القول المقتضي بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أو =

وأجاب أفضل المتأخرين نصير الدين الطُّوسي ـ أبقاه الله ـ عنه، فقال: الحق أن الصدق والكذب من الأعراض الذاتية للخبر، فتعريفه بهما رسميّ أورد تفسيراً للاسم وتعييناً لمعناه من بين سائر المركبات، ولا يكون ذلك دوراً؛ لأن الشيء الواضح بحسب مهيّته ربما يكون ملتبساً في بعض المواضع بغيره، ويكون ما يشتمل عليه من أعراضه الذاتية الغنية عن التعريف أو غيرها مما يجري مجراها عارياً عن الالتباس، فإيراده في الإشارة إلى تعيين ذلك الشيء إنما يلخصه ويجرده عن الالتباس، وإنما يكون دوراً لو كانت تلك الأعراض أيضاً مفتقرة إلى البيان بذلك الشيء، وهاهنا إنما يحتاج إلى تعيين صنف واحد من أصناف المركبات فيه اشتباه؛ لأنه لم يتعين بعد، وليس في الصدق والكذب اشتباه، فيمكننا أن نقول: إنا نعني بالخبر التركيب الذي يشتمل حدّ الصدق والكذب عليه، كما لو وقع اشتباه في معنى الحيوان، فيمكننا أن نقول: إنا نعني به ما يقع في تعريف الإنسان موقع الجنس ولا يكون دوراً.

وقيل في تعريفه أيضاً: إنه القول المقتضي بصريحه إسناد أمر إلى أمر بالنفي أو الإثبات، وأما تسمية النحاة أحد جزء الخبر خبراً فمجاز(٩).

البحث الثاني: (إنه ليس الغرض الأول من وضع الألفاظ المفردة إفادتها لمسمياتها المفردة/[٢٥ ب].

بيان ذلك: إن إفادتها لها موقوفة على العلم بكونها موضوعة لها، وهو مستلزم للعلم بها قبل الوضع، فلو توقفت إفادتها على الوضع لزم الدور، وإنه محال؛ بل الغرض الأول منها تمكّن الإنسان من تفهم ما يتركب من

= الإثبات، ومن حده بأنه المحتمل للصدق والكذب المحدودين بالخبر لزمه الدور. نهاية الإيجاز ص ٣٧. ثم قال: ومن حده بالمحتمل للتصديق والتكذيب المحدودين بالصدق والكذب واقع من الدور مرتين.

(٩) عبارة الفخر الرازي: «واعلم أن تسمية أحد جزءي الخبر بكونه خبراً، مجاز كما يفعله النحويون نفس المرجع السابق والصفحة.

تلك المسميات بواسطة تركيب تلك الألفاظ المفردة[10].

لا يقال: ما ذكرتموه قائم بعينه في المركبات؛ لأن اللفظ المركب لا يفيد مدلوله إلا عند العلم بكوْن تلك الألفاظ موضوعة لتلك المعاني من تلك الألفاظ لزم الدور.

لأنا نقول: لا نسلم أن الألفاظ المركبة لا تفيد مدلولها إلا عند العلم بكون الألفاظ المركبة موضوعة له.

بيان ذلك: إنّا متى علمنا وضع كل واحد من تلك الألفاظ المفردة لكل واحد من تلك المعاني المفردة، فإذا توالت الألفاظ المفردة بحركاتها المخصوصة على السمع، ارتسمت المعاني المفردة في الذهن مستلزمة للعلم بنسبة بعضها إلى بعضْ استلزاماً عقلياً، وذلك هو التركيب، فظهر أن استفادة العلم بالمعاني المركبة لا يتوقف على كون الألفاظ المركبة موضوعة لها، وبالله التوفيق.

البحث الثالث: في الفرق بين الإخبار بالاسم والإخبار بالفعل[11].

قد عرفت أن الفعل مشعر بالزمان المعين دون الاسم، فلذلك ظهر الفرق بين الإخبار به والإخبار بالاسم؛ فإنك إذا قصدت بالإخبار الإثبات المطلق غير المشعر بالزمان، وجب أن تخبر بالاسم، كقوله تعالى: **﴿وكلبهمْ باسِطٌ ذراعَيْه﴾**[12]. إذ ليس الغرض إلا إثبات البسط لذراعي الكلب. /٢٦ أ] فأما تعريف زمان ذلك فغير مقصود.

فأما إن قصدت الإشعار بزمان ذلك الثبوت، فالصالح له هو الفعل،

---

(١٠) ما وضعناه بين قوسين مكمورين نقله البحراني عن الرازي باختصار. انظر نهاية الإيجاز ص ٣٦.

(١١) الفرق بين الاخبار بالاسم والإخبار بالفعل ذكره كثير من علماء البلاغة والنحو، ولكن البحراني نقله مباشرة عن الفخر الرازي ومستشهداً بنفس أمثلته. نهاية الإيجاز ٤٠،٤١.

(١٢) الكهف آية ١٨.

كقوله تعالى: ﴿هلْ مِنْ خالقٍ غيرُ الله يرزقكُمْ مِن السماءِ والأرضِ﴾[١٣] فإن تمام المقصود إنما يتحصل بكونه معطياً في كل حين وأوان، لا بمجرد كونه معطياً.

البحث الرابع: في حكم المبتدأ والخبر:

متى اجتمعت الذات والصفة، فالذات أولى بالمبتدئية، والصفة أولى بالخبرية.

ثم إما أن يكون الأمر في اللفظ كذلك، أو بالعكس.

والأول: إما أن لا تدخل لام التعريف في الخبر، كقولك: زيد منطلق، وذلك يفيد ثبوت مطلق الانطلاق لزيد من غير أن يفيد دوام ذلك الثبوت أو انقطاعه.

أو يدخله لام التعريف، كقولك: زيد المنطلق، أو زيد هو المنطلق، فاللام في الخبر يفيد انحصار المخبر به في الخبر عنه.

ثم إما أن يكون لام العهد كما إذا اعتقدت وجود انطلاق معين، ولكن لا تعلم أن المنطلق زيد أو عمرو، فإذا قلت: زيد المنطلق عنيت أن صاحب ذلك الانطلاق هو زيد، فقد انحصر ذلك الانطلاق في زيد.

وإما لتعريف الطبيعة فيفهم من وصفه الحصر، ثم هو للحصر إن أمكن ترك الكلام على حقيقته، كقولك زيد هو الوفيّ، إذا لم تظن بأحد خيراً غيره، وإلا حُمل الكلام على المبالغة كقولك: زيد هو العالم، وهو الشجاع؛ لامتناع حصر الحقيقة فيه.

وأما إذا عكس وأُخّرت الذات عن الصفة، كقولك: المنطلق زيد، فذاك إنما يقال: إذا اعتقد معتقد أن إنساناً انطلق، ولكن لا يعلم شخصه،

---

(١٣) فاطر آية ٣.

فيقال له: المنطلق زيد، أي الـذي تعتقد انـطلاقه هـو زيد، ثم الضـابط: أن الإخبار يجب أن يكون عما يُعرف بما لا يُعرف له[١٤].

(١٤) بيان ذلك: إذا قلت: المنطلق زيد؛ فالمنطلق معلوم، والشخص مجهول.

وإذا قلت: زيد منطلق؛ كان المقصود إثبات الانطلاق لزيد.

وإذا قلت: زيد المنطلق؛ كان المقصود إمـا حصر انـطلاق معين، أو حصر حقيقـة الانطلاق إما تحقيقاً أو مبالغة.

الفصل الثاني/[٢٦ ب]

في الحقيقة والمجاز وفيه أبحاث:

البحث الأول: في معنى الحقيقة والمجاز، وحدّهما:

الحقيقة: فَعِيلَة بمعنى مفعولة من الحق، وهو الثَّبات، وسمّي ما خالف المجاز: حقيقة؛ لأنه مُثْبتٌ معلومُ الدلالة.

والمجاز: مَفْعَل من جازه يجوزه: إذا تعداه، وإذا عُدل باللفظ عن وضعه اللغوي، وُصِف بأنه مجاز؛ بمعنى أن الذهن انتقل من لفظه[١] إلى معنى غير معناه، فصار موضع الانتقال والمجاوزة.

فأما حدّ الحقيقة، فإما في المفردات، فهي كلُّ كلمة أُفيد بها ما وُضِعتْ له في أصل الاصطلاح الذي وقع التخاطب به، ويدخل في ذلك الحقيقة اللغوية والعرفية والشرعية.

وأما في الجمل، فكل جملة وضعتها على أن الحكم المضاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه فهي حقيقة، كقولنا: خلق الله العالم.

وأما حد المجاز، فإما في المفرد أيضاً، وهو ما أفيد به معنًى غير ما اصطُلح عليه في أصل المواضعة التي وقع التخاطب بها لعلاقة بينه وبين الأول، ويدخل في ذلك المجاز اللغوي والعرفي والشرعي.

وأما في الجمل، فكل جملة خرج الحكم المفاد بها عن موضوعه في

---

(١) إلى المعنى غير معناه في النسخة ب.

العقل بضرب من التأويل، فهو مجاز كقوله تعالى: ﴿وأخرجتِ الأرضُ أثقالَها﴾[٢].

البحث الثاني: فيما به يتحقق المجاز.

لا بد فيه من أمرين[٣]:

أحدهما: أن يكون منقولاً عن معنى وضع اللفظ بإزائه، وإلاّ لبقي حقيقة[٤].

الثاني: أن يكون ذلك النقل لمناسبة بين المعنيين، وإلا لكان في الثاني مرتجلاً[٥].

وبهذا يظهر الفرْق[٦] بين المجاز، والكذب، والدعْوَى الباطلة/[٢٧ أ]؛ وذلك لأن المُبْطِلَ إذا أَخْرج الحكم عن موضعه وأعطاه غيرَ المستحقّ، لم يُعرف أنه إنما أعطاه لكونه فرعاً لأصل؛ بل يُجزم بأن ثبوت الحكم في ذلك الموضع ثبوتٌ أصلي، وكذلك الكاذب يدّعي أن الأمر على ما وَضعه وليس هو من التأويل في شيء، والمجاز لم يكن مجازاً؛ لأنه إثبات الحكم لما لا يستحقه للمناسبة بينه وبين المستحق.

البحث الثالث: في أقسام المجاز:

المجاز (إما)[٧] أن يقع في اللفظ المفرد فقط، أو في المركب فقط، أو فيهما معاً.

---

(٢) سورة الزلزلة آية ٢.

(٣) الفخر الرازي ذكر هذين الشرطين لتحقق المجاز ص ٤٧.

(٤) قال الرازي، وبهذاالأمر يتميز المجاز عن المشترك.

(٥) ولأجل ذلك لا توصف الأعلام المنقولة بأنها مجازات، كتسمية رجل بحجر؛ إذ لا مناسبة بينهما.

(٦) الفرق بين المجاز والكذب والدعوى الباطلة، ذكره الرازي في نهاية الإيجاز ص ٤٧.

(٧) ساقطة من النسخ.

مثـال الأول: إطلاق لفظ الأسـد على الرجـل الشجاع، والحمـار على البليد.

وأمـا الثـاني: وهـو أن يُستعمـل كـل واحـد من الألفـاظ المفـردة في موضعه الأصلي، لكن التركيب لا يكون مطابقاً لما في الوجـود، مثالـه قولـه تعالى: ﴿**وأخرجتِ الأرضُ أثقالَها**﴾[8] وقوله الشاعر[9]:

أشـابَ الصغيـرَ وأفْنى الكبيـر   كَـرُّ الغَـداةِ ومَـرُّ العَشِيّ

وهذا المجاز عقلي؛ لأن نسبة الإخراج إلى الأرض، والإشـابة إلى كـرّ الغـداة ومـرّ العشيّ حكم عقلي عُـدل بـه عن الفـاعـل الحقيقي، وهـو الله سبحانه إلى غير من هو له، وهو الأرض والغداة والعِشيّ.

مثـال الثالث: كقـولك لمن تحبـه: أحيـاني اكتحـالي بـطلعتـك، فـإن لفظي الإحياء والاكتحال مفردان استُعمـلا في غير [مـوضعهما[10] الأصلي، ثم نُسب الإحياء إلى الاكتحال مـع عدم المـطابقة لمـا في نفس الأمر أيضـاً، وهذا التلخيص لعبد القاهر النّحْوِيّ[11].

البحث الرابع: في أصناف المجاز:

والذي ذكره الإمام فخر الدين منها اثنا عشر صنفاً*:

(٨) الزلزلة آية ٢.

(٩) نسبه الجاحظ إلى الصلتان السعدي. الحيوان ٣/٤٧٧ ط مصطفى الحلبي.

وللصلتـان العبدي في ديـوان الحماسـة. وفي الأسرار ص ٤١٧، ٤٣٣ وفي نهـايـة الإيجـاز ص ٤٨، ٥٠.

(١٠) في غير موضوعهما أ.

(١١) انظر الأسرار ٤١٦ وما بعدها ط الاستقامة ١٩٤٨.

* ذكر الإمام فخر الدين القـاعدة الثـانية في الحقيقـة والمجاز في أربعـة عشر فصـلاً، وبدأ أقسـام المجاز من الفصل الثالث إلى الفصل الرابع عشـر، فيكون مجمـوعها اثني عشـر فصلاً كمـا ذكر المؤلف، انظر نهاية الإيجاز ٤٧ ـ ٥٧.

أ ـ إطلاق اسم السبب على المسبب، والأسباب أربعة:

أحدها: الفاعليّ، كإطلاق اسم النظر الذي هو تقليب الحدقة نحو المرئي على الرؤية، كقولك: نظرته أي رأيته.

الثاني: الغائيّ، كتسميتهم العنب بالخمر. /[٢٧ ب][١٢].

الثالث: الصوري، كتسميتهم القدرة يداً[١٣].

الرابع: القابلي، كقولهم: سال الوادي[١٤].

ب ـ إطلاق المسبب على السبب، كتسميتهم المرضَ الشديدَ بالموت.

والأول أولى؛ لاستلزام السبب المعيّن للمسبب المعين من غير عكس، وأولى الأسباب بذلك هو السبب الغائي؛ لحصول علاقة العلّيّة والمعلوليّة اللتين كل واحدة منهما علّة لحسن المجاز فيه دون باقي الأسباب.

ج ـ إطلاق اسم الشيء على ما يشابهه، كإطلاق لفظ الحمار على الرجل البليد وهو الاستعارة كما سيجيء بيانها.

د ـ تسمية الشيء باسم ضده كتسمية العقاب بسبب الجريمة بالجزاء المختص بمقابلة الإحسان بمثله[١٥].

---

(١٢) كقوله تعالى: ﴿**إني أراني أعصر خمراً**﴾ يوسف ٣٦.

(١٣) كقوله تعالى: ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾ الفتح ١٠.

(١٤) سال الوادي مجاز في الإسناد، أي من المجاز العقلي والأمثلة السابقة واللاحقة تدخل في المجاز اللغوي، فالمؤلف جمع بين المجاز اللغوي والعقلي في مضمار واحد.

(١٥) مثل سأجازيك على إهمالك، أي سأعاقبك على إهمالك، فعبر بالجزاء وأراد العقوبة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وجزاء سيئة سيئة مثلها**﴾ الشورى ٤٠.

هـ ـ تسمية الجزء باسم الكل، كإطلاق لفظ العام على الخاص[16].

و ـ الغلس، كـإطـلاق لفظ الأسـود على الـزنجيّ لسـواد جلده[17]، والأول أولى؛ لاستلزام الكل للجزء من غير عكس.

ز ـ إطـلاق مـا بـالفعـل على مـا بـالقـوة، كتسميـة الخمـر في الـدّن مُسْكِراً[18]، وهو قريب من إطلاق السبب الغائي على مسببه.

ح ـ إطـلاق المشتق بعد زوال المشتق منـه، كإطـلاق لفظ ضارب على من فرغ من الضرب، وقد عرفت أن ذلك هل هو مجاز أو حقيقة[19].

ط ـ إطـلاق اسم المجاور على مجـاوره، كـإطـلاق لفظ الـراويـة وهـو الجمل الذي يُحمل عليه الماء على المزادة[20].

ي ـ إطـلاق اسم الحقيقة العـرفيّة كـالدّابّـة للفرس على الحمـار وغيره مجازاً[21] عرفيّاً.

ك ـ المجاز بسبب النقصان والزيادة، قـال الإمام: وتحقيقـه [أن الكلمة كما أنها توصف بالمجاز لنقلها عن معنـاها، فقـد توصف بـالمجاز لنقلهـا عن حكم كـان لهـا إلى حكم ليس هي حقيقـة فيـه، كقـولـه تعـالى: ﴿**واسـأل**

---

(١٦) كإطلاق لفظ القرآن على بعضه، وكقـوله تعـالى: ﴿**والسارق والسـارقة فـاقطعـوا أيديهمـا**﴾ المائدة ٣٨. والمراد قطع الرسغ فعبر بالكل وهو اليد وأراد الجزء وهو الرسغ.

(١٧) المراد إطلاق لفظ الجـزء على الكل، كـإطلاق لفظ الأسـود على الزنجي، فـالزنجي قـد يكـون أبيض الشعر فـلا يعمّه السـواد، وكان الأولى أن يستشهـد بقولـه تعالى: ﴿**واضـربـوا منهم كل بنان**﴾ الأنفال ١٢، والبنان: الأصبع، وأراد به: الأيدي والأرجل.

(١٨) يلاحظ المؤلف أن هذا النوع وهو إطـلاق ما بـالفعل على مـا بالقـوة قريب الشبـه من السبب الغائي كتسمية العنب خمراً، فكلاهما مجاز مرسل باعتبار ما سيكون.

(١٩) هل هو مجاز أم حقيقة في النسخة ب.

(٢٠) المزادة: وعاء من جلد يحمل به الماء، أو هو ما يسمى بالقربة.

(٢١) مثال المجاز العرفي، لفظ الدابة إذا استعمل بالعرفي العام في الإنسان.

القرية﴾[٢٢] واسأل أهل القرية/[٢٨ أ]، والذي يستحقه في الأصل الجرّ، والنصب فيها مجاز][٢٣].

وفيه نظر؛ لأن الإعراب لا يراعى فيه صدق النسبة وكذبها، والمطابقة وعدمها، فإنك لو قلت لمستُ السماءَ، كان السماء مفعولاً به للفعل المتقدم ويستحق النصب حقيقة، وكذلك القرية هاهنا تستحق النصب حقيقة بالمفعولية. أما أن النسبة في نفسها صادقة أم لا، فذاك بحث آخر؛ بل الحق أنه مجاز في التركيب والنسبة، فإن نسبة السؤال إلى أهل القرية حقيقة، فيكون إليها مجازاً، وإن قطعنا النظر عن مباحث النحاة أمكن أن يكون الحق ما قاله الإمام.

وأما المجاز بسبب الزيادة فالحق أن الزيادة إن غيرت معنى الكلام الذي يتمّ بدونها ولا يحتاج فيه إليها، كقوله تعالى: **﴿ليس كمثله شيء﴾**[٢٤] فالمجاز حاصل في النسبة؛ إذ كانت نسبة النفي إلى من ليس له وإن لم تغير، كما في قوله تعالى: **﴿فبما رحمة من الله﴾**[٢٥] لم يتصور المجاز هاهنا.

ل - إطلاق اسم المتعلَّق على المتعلِق، كتسمية المقدور قدرة.

البحث الخامس: المجاز بالذات لا يدخل إلا على أسماء الأجناس.

وبيانه: أما الحرف؛ فلأن معناه في غيره، فإن ضُمّ على حقيقة، فهو حقيقة، أو إلى مجاز، كان مجازاً في التركيب فلم يدخله بالذات.

وأما الفعل؛ فلأن معناه مركب من المصدر وغيره، فلمّا لم يكن المصدر متجوزاً به، لم يكن الفعل كذلك، فكان داخلاً فيه بالعرَض.

---

(٢٢) سورة يوسف آية ٨٢.

(٢٣) نهاية الإيجاز ص ٥٦.

(٢٤) سورة الشورى آية ١١.

(٢٥) آل عمران آية ١٥٩.

وأما الاسم؛ فإمّا علَم فلا يدخله المجاز[٢٦]؛ لأنه مشروط بالعلاقة بين الأصل والفرع، وليست موجودة في الأعلام.

أو مشتق، ومعلوم أنه لولا تطرّق المجاز إلى المشتق منه لم يتطرق إلى المشتق، فلم يبق إلا أسماء الأجناس. /[٢٨ ب].

البحث السادس: في الداعي إلى التكلم بالمجاز:

العدول إلى المجاز؛ إما لأجل اللفظ، أو المعنى، أو لهما:

أما الأول: فإما لأجل جوْهر اللفظ، أو لأحوال عارضة له.

أما الأول: فأن يكون اللفظ الدال بالحقيقة ثقيلاً على اللسان؛ إما لثقل أجزائه، أو لتنافر تركيبه، أو لثقل وزنه، ويكون عذباً[٢٧].

وأما الثاني: فأن يكون المجاز صالحاً للشعر أو للسجع، وأصناف البديع دون الحقيقة.

وأما الذي لأجل المعنى، فقد يقصد المجاز لتعظيم ليس في الحقيقة، كما يقال: سلام على المجلس السامي.

أو لتحقير يكون فيها كما يُعبّر بالغائط عن قضاء الحاجة.

أو لزيادة بيان: إما تقوية لحال المذكور، كقولك: رأيت أسداً، للإنسان الشجاع، فإنه أتمّ من قولك: رأيت إنساناً يشبه الأسد في الشجاعة.

أو تقوية لحال الذكر، وهو المجاز الذي يذكر للتأكيد.

أو لتلطيف الكلام، قال الإمام: وتقريره أن النفس إذا وقفت على كلام، فلو وقفت على تمام المقصود لم يبق لها إليه شوق أصلاً؛ لأن

---

(٢٦) وإما علم ولا يدخله المجاز، في جميع النسخ.

(٢٧) أي أن يكون اللفظ الدال بالحقيقة ثقيلاً، واللفظ الدال بالمجاز عذباً؛ تخفيفاً على اللسان.

تحصيـل الحاصـل محال، وإن لم يقف على شيء منـه أصلاً لم يحصـل لها أيضـاً إليه شـوق. أمـا إذا وقفتْ عليـه من بعض الـوجـوه دون البعض، فـإن القـدْر المعلوم يشوّقهـا إلى غير المعلوم، فيحصـل لها بسبب علمهـا بـالقـدر المعلوم لـذّة، وبسبب حرمـانها عن البـاقي ألم، فيحصـل هنـاك تعـاقب آلام ولـذّات، واللّذّة إذا حصلت عقيب الألم، كـانت أقـوى وشعـور النفس بهـا أتم.

إذا عـرفت ذلك فتقـول: إذا عبـر عن الشيء بـاللفظ الـدال عليـه على سبيـل الحقيقة حصـل تمام العلم بـه فلا تحصـل اللذة القويـة. أمـا إذا عبـر عنها بلوازمها الخارجية عرّفت لا على سبيل الكمـال فتحصل الحـالة/[٢٩ أ] المـذكورة التي هي كـالدغـدغة النفسـانيـة، مثـال ذلـك أنـك إذا قلت رأيت إنسـاناً يشبـه الأسد في شجـاعته، فقـد حصلت المعاني بتمـامها من ألفـاظها المـوضوعـة لها فلم يحصـل من اللذة ما يحصـل من قولـك: رأيت أسداً في يـده سيف، فإن الـذهن هاهنـا يتصـور من لفظ الأسـد معنـاه ولـوازمـه البينـة كـالشجاعـة، ثم ينتقل بسبب القـرينة إلى مـلاحظة وجـه الشبـه في الإنسـان الذي هو الشجاعة، فذلك الانتقال هو محل الدغدغة واللذة النفسانية.

البحث السابع: فيما تنفصل به الحقيقة عن المجاز.

إنه إما أن يقع بالتنصيص، أو الاستدلال.

أما التنصيص فمن وجوه:

أحدها: أن يقول الواضع: هذا حقيقة، وذاك مجاز.

وثانيها: أن يذكر واحداً منهما.

وثالثها: أن يذكر خواصهما.

وأما الاستدلال، فالحقيقة تعرف من وجهين:

أحـدهمـا: أن يسبق المعنى من ذلـك اللفظ إلى فهم بعض السـامعين

من أهل تلك اللغة، فيحكم بأنه حقيقة فيه؛ إذ لولا اضطراره إلى فهم ذلك المعنى من قصد الواضعين لما فهمه دون غيره.

وثانيها: أن أهل اللغة إذا أرادوا إفهام غيرهم معنى اقتصروا على عبارات مخصوصة، وإذا قصدوا بالتعبير الحسن بعد الفهم عبروا بعبارات أخرى وقرّنوا بها قرائن، فيعلم أنه حقيقة؛ إذ لولا أنه استقر في قلوبهم استحقاق ذلك اللفظ لذلك المعنى، لما اقتصروا عليه.

وأما المجاز فيعرف

أما ـ أولاً ـ فمن عكس ما ذكرناه في تعريف الحقيقة.

وأما ثانياً، فلأن الكلمة إذا علّقت بما يستحيل تعليقها به/[٢٩ ب] علم أنها في أصل اللغة غير موضوعة له، فيعلم أنها مجاز فيه.

كقوله تعالى: ﴿**واسأل القرية**﴾[٢٨].

وأما ثالثاً، فان يعلم أن الواضع وَضع لفظاً لمعنىً ثم استعمله في بعض موارده، ثم استعمله بعد ذلك في غير ذلك الشيء، كلفظ الدابة الذي وُضع لكل ما يدبّ، ثم خُصّ بالفرس فصار حقيقة عرفيّة، ثم استعمل بعد ذلك في الحمار، فَيُعلَم أنه مجازٌ فيه إلى أن يَغلب الاستعمال عليه فيصير حقيقةً عرفيةً أيضاً.

---

(٢٨) سورة يوسف آية ٢١.

الفصل الثالث

في التشبيه ، وفيه أركان اربعة .

الركن الأول : في المتشابهين : أنهما إما محسوسان ، أو معقولان ، أو المشبه به محسوس والمشبه معقول ، أو العكس .

أما الأول ، فكقول عليّ عليه السلام لأهل البصرة : «كأني بمسجدكمْ هذا كَجُؤْجُؤِ سفينةٍ»(١) . وقوله عليه السلام في وصف الأتراك : «كأني أراهم قوماً كأنّ وجوههَم المجانّ المُطَرّقة»(٢) .

وأما الثاني : فكقوله عليه السلام : «أداريكم كما تُدارَى البِكَارُ العَمِدَة ، والثيابُ المتداعية»(٣) ، فإن المتشابهين ها هنا هو مداراته ومداراة اهل البكار لها . والمداراة معنى إضافي معقول ، وما به المشابهة هو الصعوبة ها هنا كالصعوبة هناك .

---

(١) قال علي رضي الله عنه في ذم أهل البصرة : «كأني بمسجدكم كجؤجو سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها ، وغرق من في ضمنها» نهج البلاغة ٥٥ ، ٥٦ جؤجؤ السفينة : صدرها .

(٢) قال رضي الله عنه : «كأني أراهم قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة ، يلبسون السرق والديباج ، ويعتبقون الخيل العتاق . .» نهج البلاغة ١٨٦ .

المجان المطرقة : النعال التي الزق بها الجلد ، السرق : شقق الحرير الأبيض ، يعتبقون الخيل العتاق : يحبسون كرائم الخيل ويمنعونها غيرهم .

(٣) مطلع خطبة يوبّخ فيها علي رضي الله عنه بعض أصحابه : «كم أداريكم كما تداري البكار العمدة والثياب المتداعية» نهج البلاغة ٩٨ .

والبكار : جمع بكر وهو الفتيّ من الابل ، والعمدة : التي انشدخت أنسمتها من الداخل وظاهرها صحيح لكثرة ركوبها .

وأما الثالث : فكقوله عليه السلام في حق مرْوان[٤] : «أما إن لـه إمْرةً كلَعْقَةِ الكلبِ أنفَه»[٥] فـان الإمرة حـالة معقـولة أشبهت لعقـة الكلب أنفه في السرعة وهي أمر محسوس .

وقوله عليه السلام : «أمّـا بعْدُ فـإنّ الأمْرَ ينْـزِل من السماءِ إلى الأرضِ كقطر المطر[٦]» وكقوله : «كأني بك يا كوفـةُ تمُدِّينَ مَـدَّ الأديمِ العُكَاظِيّ»[٧] [٣٠ أ] .

وأما الرابع فكقول الشاعر :

كـأن بصاصَ البـدرِ من تحت غيْمـةٍ ... نَجـاءٌ من البـأْسـاءِ بعـدَ وُقـوعِ [٨]

وكقــول الصـاحب بن عبــاد[٩] وقـد أهــدى عـطراً إلى القــاضي أبي الحسن[١٠] :

---

(٤) هــو مـروان بن الحكم بن أبي العـاصي ، يكني أبـا عبـد الملك ، ولـد سنـة اثنتين من الهجرة ، وتولى الخلافة بعد معاوية بن يزيد سنة ٦٤ هـ ومات أول رمضان سنة ٦٥ هـ .

(٥) «أما إن له إمـرة كلعقة الكلب أنفـه ، وهو ابـو الأكبس الأربعة ، وستلقى الأمـة منه ومن ولـده يوماً أحمر» نهج البلاغة ١٠٢ .

ومعنى : أما إن له إمـرة كلعقة الكلب أنفـه : أن مدة خـلافته قصيـرة ؛ إذ لم تتجاوز تسعـة أشهر .

وقـد اعتبر الـطوفي البغدادي هـذا المثال من تشبيـه المعقول بـالمعقـول ، وليس من تشبيـه المعقول بالمحسـوس كما ذهب المؤلف ؛ لأن اللعقـة وهي حركـة اللسان ليست محسـوسة ، وإنما المحسوس اللسان اللاعق والأنف الملعوق . الإكسير في علم التفسير ص ١٣٥ .

(٦) من خطبة له في تهذيب الفقراء ، «كقطرات المطر» في نهج البلاغة ٦٤ .

(٧) الأديم : الجلد المدبوغ ، العكاظيّ : نسبة الى عكـاظ ، وهي سوق كـانت تقيمها العـرب ؛ ليتعاكظوا اي يتفاخروا . من كلامه كرم الله وجهه في ذكر الكوفة . نهج البلاغة ٨٦ .

(٨) البيت في أسرار البلاغـة ٢٦٥ ، وفي الطراز ١/٢٨٣ ، والمفتـاح ١٦١ ، والايضاح ٢/ ٢٢٣ وشعر ابن طباطبا ٧٤ ، والشطرة الأولى منه : كأن انتضاء البدر من تحت غيمه . . .

(٩) وزير غلب عليه الأدب ولد باصطخر ٣٢٦ هـ وتوفي ٣٨٥ هـ بغية الدعاة ١/ ٤٤٩ .

(١٠) هـو القاضي الجرجـاني صـاحب الـوسـاطـة ت ٣٩٢ هـ معجم الأدبـاء ١٤/١٤ ، واليتيمـة ٤/٣ .

أهـديتُ عِطْراً كـان مثـل سنـانـه فكـأنمـا أهـدى لـه أخـلاقَـه[11]

وقـد منع الامـام فخـر الـدين[12] من جـواز هـذا القسم من التشبيـه ؛ اعتمـاداً على أن العلوم العقليـة مستفـادة من الحـواس ، فكـأن المحسـوس أصلاً للمعقول ، فتشبيهه به يقتضى جعـل الأصل فـرعاً ، والفـرع أصلاً وهـو محال ، وهذا سهو ، فإن الحـواس وإن كانت طـرقاً للعلم إلا أنهـا ليست كل الطرق له .

سلمنـاه ، لكن الممنوع إنمـا هو جهـة ما هـو فـرع لـذلـك الأصـل لا مطلقاً ، وها هنا ليس كذلك ، فإن المعقول فرع للمحسوس من جهـة ما هـو مستفـاد عنـه ، فيمتنـع أن يعـود أصـلاً من تلك الجهـة ، لكنـه لا يمتنـع أن يكـون فـرعـاً لـه من تلك الجهـة ، ومـع ذلـك يكـون أصـلاً لـه في التشبيـه والملاحظات الذهنية .

الركن الثاني : فيما به التشبيه ، وفيه أبحاث :

البحث الأول : في أقسامه :

أنه إما أن يكون صفة حقيقية أو إضافية :

والأول : إما كيفية جسمانية أو نفسانية :

والأول : إما كيفية محسوسة إحساساً أوّلاً أو ثانياً :

والأول : إما بحس البصر ، كتشبيـه الخد بـالورد في الحمـرة ، وتشبيه الوجه بالنهار ، والشعر بالليل .

أوْ بحس السمـع ، كتشبيـه أطيط[13] الـرحـل بـأصـوات الفـراريـج ،

---

(١١) أهديت عطراً مثل طيب ثنائه ديوان الصاحب بن عباد ٢٥٢ .

(١٢) نهاية الايجاز ص ٥٩ ـ ٦١ فقال : إن المعتـاد تشبيه الثنـاء بالعـطر ، وقد عكس الأمـر على ادعاء أن ثناءه هو الأصل في الطيب على سبيل المبالغة .

(١٣) الأطيط : صوت الرحل إذا ثقل عليـه الركبـان ، واطيط الابل : صـوتها . اللسـان مادة أطط =

وكتشبيه الصوت المنكر بصوت الحمار .

أو بحسّ الذوق ، كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر .

أو بحسّ الشم ، كتشبيه بعض الرياحين بالمسك والكافور .

أو بحسّ اللمس، كتشبيه الجسم اللّين الناعم بالخزّ ، والخشن بالمُسح . [٣٠ ب]

وأما المحسوسة ثانياً ، فهي الأشكال والمقادير والحركات .

والأشكال : إما مستقيمة أو مستديرة ، مثال التشبيه في الاستقامة : تشبيه الرجل المعتدل القامة بالرمح ، ومثال التشبيه في الاستدارة بالكرة تارة ، وبالحلقة أخرى .

ومثال التشبيه في المقادير ، تشبيه عظيم الجثة بالجمل والفيل .

ومثاله في الحركة ، تشبيه السريع بالسهم .

وأما الاشتراك في كيفية جسمانيّة غير محسوسة ، فكما يقال : فلان كالحمار ، أي في بلادته أو شبَقه ، وهو كالنمِر ، أي في غضبه .

وأما في الكيفيّة النفْسانيّة ، فكالاشتراك في الغرائز والأخلاق ، كالكرم والحلم والشجاعة والذكاء والفتنة والعلم والزهد ، كقولك : هو كحاتم(١٤) أي في جوده ، وكعمرو بن معدي كرب(١٥) ، أي في شجاعته .

= والتشبيه هنا مأخوذ من قول ذي الرمة ديوانه ص ٦٧

كأن أصوات من إيغالهن بنا   أواخر الميس أصوات الفراريج

(١٤) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي ، فارس ، شاعر جواد ، يضرب المثل بجوده أرّخوا وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي ﷺ. الأعلام ١٥١/٢ .

(١٥) عمرو بن معد يكرب الزبيدي من فرسان العرب المشهورين في الجاهلية وأدرك الاسلام ، وشهد القادسية وله بها أثره وبلاؤه ، الأغاني ٢٤/١٤ ، المؤتلف والمختلف ١٥٦ ، الموشح ٢٠٨ .

وأما الاشتراك في الحالة الاضافية ، فكقولهم : هذه الحجة كالشمس ، فالاشتراك ها هنا في الجلاء بالنسبة إلى البصر والفهم ، وهي حالة إضافية .

وقد تكون جليّة كما ذكرنا . وكقولهم : ألفاظ فلان كالماء ، أي : في السلاسة ، وكالنسيم ، أي : في الرّقة ؛ وذلك أنه إذا لم يتنافر حروفه ؛ بل خفّت على اللسان ولم يكن غريباً وحشياً ارتاح له القلب ، فلسرعة وصوله إلى النفس صار كالماء الذي يسرع نفوذه إلى الحلق ، والنسيم الذي يسري في البدن .

وقد تكون خفية ، كقول من ذكر بني المهلّب : «هم كالحلْقة المُفْرَغَة لا يُدرى أين طرفاها[١٦]» . ألا ترى أنه لا يفهم المقصود من ذلك إلا من كان له ذهن يرتفع عن درجة العامة .

البحث الثاني : في تقسيمه بوجه آخر :

أنه قد يكون قريباً ، وقد يكون بعيداً : / [٣١ أ] .

والأول : كما إذا خطرت ببالك استدارة الشمس واستنارتها ، فإنه يخطر بقلبك المرآة المجلوة ، وتلاحظ الشبه بينهما .

وكذلك إذا نظرت إلى الوشْي المنشور لاح لك في شبهه الروض الممطور المفترّعن أزهاره[١٧] .

وأما الغريب البعيد ، فهو الذي يحتاج في إدراكه إلى دقّة نظر كتشبيه

(١٦) ينسب هذا القول لفاطمة بنت الخرشب الأنمارية ، ومرة لكعب الأشعري وأخرى جواب أبي الحسن المدائني للحجاج : أنظر الأغاني ١٦/ ١٩ ومجمع الأمثال ٢/ ١٩٧ والمثل السائر ٢/ ٣٣٨ .

(١٧) المفتر عن اظهاره في ب .

الشمس بالمرآة في كفّ الأشلّ[١٨] ، وتشبيه البرق بإصبع السارق ، كقول كشاجم : [١٩] :

أرقْتَ أم نمت لضوء بارق   مؤتلق مثل الفؤاد الخافق
كأنه أُصبُع كفّ السارق

ثم السبب في القرب والبعد أمران :

أحدهما : أن الحس لا يعطى التمييز بين جهة الاشتراك والامتياز ، وإنما يدرك المركب من حيث هو شيء واحد وأما التفصيل والتمييز فذاك حظ العقل .

وأيضاً فشعور الحس بالإجمال أقدم من شعوره بالتفصيل ؛ فإن المرئي في أول النظر إليه لا يُدرِك البصرُ تفاصيلَه حتى يتكرر ، وكذلك المسموع فإنك تقف في إعادة الصوت على ما لم تقف عليه بالسماع الأول ، وبإدراك التفاصيل يقع التفاضل بين سامع وسامع . وإذن كان إدراك الجملة أسهل وأقرب من إدراك التفصيل .

البحث الثالث : في بيان أن التشبيه بالوجه العقلي أعم من التشبيه بالوجه الحسي .

أما تشبيه المحسوس بالمحسوس فيمكن أن يكون لأجل الاشتراك في وجه محسوس ، ويمكن أن يكون لأجل الاشتراك في وجه معقول ، ويمكن لأجلهما جميعاً :

مثال الأول : تشبيه الخد بالورد .

---

(١٨) من قول ابن المعتز : والشمس كالمرآة في كفّ الأشلّ والأصح انه لجبار بن جزء بن أخت الشماخ بن ضرار ديوانه ٣٩٤ .

(١٩) هو ابو الفتح محمود بن الحسين الشاعر الأديب المنجم توفي سنة ٣٥٠ هـ ، والبيت في الاسرار ١٨٢ .

مثال الثاني : قوله ﷺ: «إياكم وخضراءَ الدِمَن»[٢٠] ، فالتشبيه مأخوذ للمرأة من النبات ، وهما محسوسان ، ولكن وجه المشابهة هو مقارنة الحسن الظاهر للقبح الباطن / [٣١ ب] وهو أمر عقلي .

ومثال الثالث : تشبيه الشخص الرفيع القدر ، الحسن الوجه ، بالشمس ؛ لاشتراكهما في النباهة التي هي أمر عقلي ، وفي الضياء الذي هو أمر حسي .

وأما تشبيه المعقول بالمعقول ، والمعقول بالمحسوس ، والمحسوس بالمعقول ، فيمتنع أن يكون وجه الشبه غير عقلي ، كأن وجه الشبه مشترك بين الجانبين ، فلو كان محسوساً لم يصح وصف المعقول به ـ وأما العقلي فيصح ، لصحة أن يصدر عما لا يكون محسوساً أمر محسوس ، فثبت أن التشبيه بالوجه العقلي أعم .

البحث الرابع : التشبيه بالوصف المحسوس أتمّ من التشبيه بالوصف المعقول .

بيانه من وجهين :

أحدهما : أن أكثر الغرض في التشبيه : التخيّل الذي يقوم مقام التصديق في الترغيب والترهيب ، والخيال أقوى على ضبط الكيفيّات المحسوسة منه على الأمور الأضافيّة .

الثاني : أن الاشتراك[٢١] في نفس الصفة أسبق من الاشتراك في

---

(٢٠) نهى الرسول ﷺ عن نكاح المرأة على ظاهر الحسن وهي في المنبت السوء أو في البيت السوء أو مطعوناً في نسبها ، والدمنة هي الأبعار المجتمعة فإذا أصابها المطر أنبتت نباتاً أخضر يروق منظره ويسوء مخبره، والحديث في المجازات النبوية ٦١ .

(٢١) قال عبد القاهر : ومعلوم أن الاشتراك في نفس الصفة أسبق في التصور من الاشتراك في مقتضى الصفة ، كما ان الصفة نفسها مقدمة في الوهم على مقتضاها ، فالحلاوة أولاً ، ثم أنها تقتضي اللذة في نفس الذائق لها» . الاسرار ١١٣ .

مقتضاها ؛ كما أن الصفة في نفسها متقدمة في التصوّر على مقتضاها ، فكانت الصفة المحسوسة أتم في التشبيه من الأمر المعقول .

البحث الخامس : في تقسيم ما به المشابهة إلى المفرد والمركب :

المشابهة ، إما أن تكون في أمر واحد ، أو في أمور كثيرة .

والأول ، إما أن لا يكون مقيّداً بالنسبة إلى شيء ، أوْ يكون :

فالأول ، كتشبيه الكلام بالعسل في أن كل واحد منهما يوجب للنفس لذة وحالة محمودة .

وأما الثاني ، فما إليه الانتساب أربعة أمور :

إما المفعول به ، فكقولهم «أخذ القوسَ باريها»(٢٢) ؛ لأن المقصود وقوع الأخذ في موقعه ووجوده من أهله ، وهذا لا يحصل من الأخذ المطلق ، ولكن من حيث الحكم له بوقوعه من باريء القوس عليه / [٣٢ أ] .

وإما إلى ما يجري مجرى المفعول به ، وهو الجار والمجرور ، كقولهم لمن يفعل ما لا يفيد ، هو «كالراقم على الماء»(٢٣) ، فالتشبيه ليس بمنتزع من الرقم المطلق ؛ بل منه على الماء .

وإما إلى الحال ، كقولهم : «كالحادي وليس له بعير»(٢٤) ، أي الحادي حال ما لا يكون له بعير .

وإما إلى المفعول به والجار والمجرور معاً ، كقولهم : «هو كمن

---

(٢٢) مجمع الأمثال : ٢/ ١٩ ، جمهرة الأمثال ١/ ٧٦ ، والأسرار ١١٩ .

(٢٣) مجمع الأمثال ٢/ ٣٩٨ ، جمهرة الأمثال ٢/ ١٤٨ الإسرار ١٢٠ .

كالراقم على الماء ، وكالقابض على الماء يضرب لمن يرجو ما لا يحصل .

(٢٤) مجمع الأمثال ٢/ ١٤٢ ، جمهرة الأمثال ٢/ ١٤٧ الاسرار ٢٠ .

يضرب لمن يتشبع وليس له مال .

يجمع السيفين في غِمْد»[٢٥] ، وهو كمن ينثر الجوزَ على القبّة . فالجمع المعدّى إلى السيفين في غِمْد»[٢٥]، لا يكفي في التشبيه ما لم يشترط كونه جامعاً لهما في الغمد ، ومنه قوله تعالى : (كمثل الحمار يحمل أسفاراً)[٢٦] فإنه تضمن التشبيه من اليهود لا لأمر يرجع إلى حقيقة الحمل المطلق ؛ بل لأمرين آخرين :

أحدهما : تعديته إلى الأسفار .

والآخر : اقتران الجهل بما فيها ؛ لأن الغرض توجيه الذم إلى من أتعب نفسه بحمل ما يتضمن من المنافع العظيمة ، ثم لم ينتفع به بجهله ، وهذا المقصود لا يحصل من الحمل المطلق ؛ بل منه مشروطاً بالشرطين الآخرين ، ثم إذا كان ما به المشابهة وصفاً مقيداً ، فقد يمكن إفراد أحد جزئيه بالذِكر ، وقد لا يمكن .

أما الأول فكقوله :[٢٧] .

فكأنّ اجرامَ النجوم لوامِعاً ... دُرَرٌ نُثِرْنَ على بِساط أَزْرَقِ

فإنك لو قلت : كأنَّ النجوم درر ، وكأن السماء البساط الأزرق ، كان التشبيه معقولاً ، وإن تغيّر المعنى المراد للقائل ؛ إذ مقصوده من التشبيه ها هنا ذكر الأمور العجيبة من طلوع النجوم مؤتلفة مفترقة في أديم السماء وهي زرقاء زرقتها الصافية ، والنجوم تتلألأ في تلك الزرقة ، ومعلوم أن هذا المقصود لا يبقى إذا فُرّق التشبيه .

---

(٢٥) يضرب مثلاً للمستحيل وهو الشطرة الثانية من بيت قاله ابو ذؤيب الهذلي ٢٦ هـ

تريدنني كي تجمعيني وخالدا ... وهل يجمع السيفان ويحك في غمد

الاسرار ١٢٠ «لا يجمع سيفان في غمد» مجمع الأمثال ٢/ ٢٣٠ ط محيى الدين .

(٢٦) الجمعة ٥ .

(٢٧) البيت لأبي طالب الرّقّي من شعراء القرن الرابع واحد المقلين المحسنين في ألفاظهم ومعانيهم ، والبيت في الأسرار ص ١٨٤ ، نهاية الادب ٤٢/٧ .

وأما الثاني ، فكقوله :[28] .

كـأنمـا المـرِّيـخُ والمشتـرِي   قـدّامـه فـي شـامـخ الـرفْعَـهْ
منصـرفٌ بـالـليـل عـن دعْـوة   قـد أُسرجَتْ قُـدّامَـه الشمعـة

فلو قلت : كـأن المريـخ منصرف عن دعـوة/ [32 ب] ، وتركت حديث المشتري والشمعة ، كان خلْفـا من القول ؛ إذ التشبيـه للمرّيـخ حيث الحالة الحاصلة له من تقدم المشتري له ، فإذن لا يمكن إفراده بالذكر .

البحث السادس : في التشبيهات المتعددة المجتمعة :

إنمـا يكون[29] الأمـر كذلـك إذا كان التشبيـه في أمـور كثيـرة لا يتقيّـد بعضهـا بـالبعض ، وحينئـذ تكـون التشبيهـات مضمـومـاً بعضهـا إلى بعض لأغراض كثيرة ، كل واحد منها قائم بنفسه ، ولهذا النوع خاصّيتان :

الأولى : أنـه لا يجب فيهـا التـرتيب ، فإنك لو قلت : زيـد كـالأسـد بـأساً ، والبحـرِ جـوداً ، والسيفِ مضـاءً ، والبدرِ بهـاءً ، لم يجب عليـك أن تحفظ في هذه التشبيهات[30] نظاماً مخصوصاً .

الثـانية : إذا سقط البعض فـإنه لا يتغيـر حال البـاقي ، كقـولهم : هـو يصفـو ويكدر ، ويحلو ويمُـرّ ، ولـو تـركت ذكـر الكـدورة والمـرارة ، لكـان المعنى في تشبيهه بالماء الصافي والعسل في الحلاوة باقياً .

البحث السـابع : يجب مـراعاة جهـة التشبيه ولا يجـوز تعدّيهـا ، وإلا وقـع الخطأ ، مثـاله مـا قيل[31] : «النحـو في الكلام كـالملح في الطعـام» ،

(28) البيتـان في الأسرار بـلا عزو 225 ، وللقـاضي التنوخي في حسن التـوسل 114 وهـو قـاض وشاعر وله ديوان شعر مفقود ت 342 هـ .

(29) يكون في ب .

(30) في هذا التشبيهات ب .

(31) الخطيب القزويني نقل هذا الكلام بنصه تقريباً في الايضاح ص 340 .
وأنظر الاشارات والتنبيهات ص 177 .

فإن جهة التشبيه ها هنا هي الاصلاح ، والمقصود أن الطعام كما لا يصلح إلا بالمِلح ، كذلك الكلام لا يصلح إلا بالنحو، فأما ما ظنه بعضهم أن المقصود هو أن القليل من النحو مغْنٍ والكثير مفسد ، كما أن القليل من الملح مغن والكثير مفسد ، فهو ظن فاسد ؛ لأن النحو علم بمجموع قوانين مضبوطه يمتنع تطرق الزيادة والنقصان إلى جريانها في الكلام ، كقولك : كان زيد قائماً ، فإنه لا بد فيه من رفع الاسم ونصب الخبر ، فإن وُجدا وجد النحو من غير زيادة ولا نقصان ، وإن لم يحصلا عدم النحو، فلا زيادة ولا نقصان أيضاً .

البحث الثامن : في اكتساب / [٣٣ أ] وجه المشابهة .

الطريق إليه تميز ما به المشابهة عما به الامتياز ، مثلاً من أراد تشبيه شيء بشيء في هيئة الحركة ، وجب أن يطلب الوفاق بين الهيئة ، والهيئة المجردة عن الجسم وسائر ما فيه من الأعراض ، كما فعل ابن المعتز في قوله :

وكأن البرقَ مصحفُ قارٍ فانطباقاً مرّةً وانفتاحاً

فلم ينظر في جميع أوصاف البرق ومعانيه إلا إلى الهيئة التي تجدها العين من انبساط يعقبه انقباض[٣٢] ، ثم لما بحث عن أوصاف الحركات لينظر أيها أشبه بها أصاب ذلك فيما يفعله القارىء بأوراق المصحف من فتحها مرة وطبقها أخرى ، ولم يكن حسن التشبيه لكونه جامعاً بين مختلفين ، بل لحصول الاتفاق بينها من ذلك الوجه ، ولأجل اجتماع الأمرين : أعني الاتفاق التام والاختلاف التام كان حسناً ، ومما يناسب ذلك في كونه جامعاً بين المختلفين محاولة الشاعر جعل الشيء سبباً لضده كقوله :

---

(٣٢) الايضاح ٣٤٨ ، وفي الأسرار ١٧٦ ، ٢١٠ حركة المصحف في قوله «فانطباقاً مرة وانفتاحاً» تركيب ؛ لأنه في احدى الحالتين يتحرك إلى جهة غير جهته في الحالة الأخرى .

اعتَقني سوءُ ما صنعتَ من الرّ قّ فيا بردَها على كبدي
فصرتُ عبداً للسوء فيك وما أحسن سوءٌ قبلي إلى أحد(٣٣)

الركن الثالث : في غرض التشبيه :

أنه إما أن يكون عائداً ألى المشبه ، أو المشبه به .

أما الأول ، فقد يكون غرضه بيان الحكم المجهول ، وقد لا يكون .

أما الأول ، فإما أن يقصد بيان إمكانه عند ما لا يكون بيّناً ، فيحتاج إلى التشبيه لبيانه ، كقوله :(٣٤) .

فإن تفُق الأنامَ وأنت منهم فإنّ المسكَ بَعضُ دمِ الغزالِ

فإن مقصوده أن يقول : إن الممدوح فاق الأنام حتى لم يبق بينهم وبينه مشابهة ؛ بل صار أصلاً بنفسه ، ولما كان هذا من الظاهر كالممتنع ؛ إذ يبعد أن يتناهى إنسان في الفضائل إلى أن يخرج من نوعه ، احتج لدعواه بأن المسك وإن كان بعض/ [٣٣ ب] دم الغزال في أصله ، فقد خرج عن صفة الدم وحقيقته حتى صار لا يعدّ دماً .

وإما أن يقصد بيان مقداره ، كقولك للشيء الأسود : إنه كحلك الغراب(٣٥) ، فإن المقصود من هذا التشبيه بيان مقدار السواد في الحلوكة ، لا إمكان وجوده.

وأما الثاني ، وهو أن لا يكون غرضه بيان حكم مجهول ، فقد يكون غرضه أحد أمرين :

---

(٣٣) البيتان لابن الرومي ، وهذا ضد المعنى المعروف من أن الإحسان يستعبد القلوب كقول البستي :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان احسان

انظرها من الأسرار ص ١٨٠ ط ١ .

(٣٤) البيت للمتنبيّ من قصيدة يرثي فيها والد سيف الدولة ديوانه ٣/ ١٥١ ط بيروت والأسرار ١٣٨ ، ١٥٩ ، والإشارات والتنبيهات ١٨٧ .

(٣٥) مثلوا لهذا النوع بقول الشاعر مداد مثل خافية الغراب.

أحدهما : نقل النفس من الغريب إلى القريب ؛ لأن إلف النفس مع الحسّيات أتم من العقليات؛ لتأخر كثير من العلوم العقلية عن الحسية ، فإذا ذكرت المعنى العقلي الجِبِلّي ، ثمّ عقبته[٣٦] بالتمثيل الحسي ، فقد نقلت النفس من الغريب إلى القريب[٣٧] .

الثاني : أن يقصد المباعدة بين المتشابهين ؛ لأن التشابه حينئذ يكون أغرب ، فيكون إعجاب النفس بذلك التشبيه اكثر ؛ لأن شغف النفس بالغريب الذي لم يعهد اكثر من المألوف المعتاد .

وأما الأغراض العائدة إلى المشبه به ، فقد يقصد المادح على طريق التخييل أن يوهم في الشيء القاصر عن نظيره أنه زائد عليه ، ويشبه الزائد بذلك الناقص يقصد به إعلاء شأن ذلك الناقص ، أي هو بالغ إلى حيث صار أصلاً للشيء الكامل في ذلك الأمر كقوله :

وبدا الصباحُ كأنّ غرّتَهُ وجهُ الخليفةِ حينَ يُمتَدحُ[٣٨]

ألا ترى أنه جعل وجه الخليفة أعرف وأتم وأشهر في النور والضياء من الصباح حتى شبه الصباح به ، وقد يقصد الذامّ عكس ذلك .

الركن الرابع : في التشبيه نفسه ، وفيه أبحاث :

البحث الأول : في التشبيه ليس من المجاز[٣٩] ؛ لأنه معنى من المعاني ، وله حروف وألفاظ مخصوصة ، كالكاف وكأنّ ونحو ومثل تدل عليه وضعاً ، فاذا صرح بالألفاظ الدالة عليه كان حقيقة ، فإذا قلت : زيد

(٣٦) عقبه في ب ، م .

(٣٧) الغريب في ب .

(٣٨) البيت لمحمد بن وهيب الحميري في مدح الخليفة المأمون بن الرشيد ، معجم الشعراء ٣٥٨ والطراز ١/ ٣٥٣، ونهاية الإرب ١٢٣ .

(٣٩) والذي يقع من التشبيه في حيز المجاز عند أهل هذا الفن هو الذي يجيء على حد الاستعارة، كمن يتردد في أمر بين الفعل وتركه «أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى» .

كـالأسـد » لم يكن نقـلاً للفظ/ [٣٤ أ] عن مـوضــوعـه الأصلي فـلا يكـون مجازاً .

البحث الثاني : في التشبيه الذي يصح عكسه ، والذي لا يصح :

قد يكون الغرض من التشبيه إلحـاق الناقص بـالزائـد مبالغـة في إثبات الحكم للنـاقص كما إذا شبهت شيئـاً [أسود[٤٠]] بخـافية الغـراب ، أوْ وجهـاً حسن البيـاض والصورة بـالبدر والشمس، ومثـل هذا يمتنـع العكس فيه؛ لأن تنزيل الزائد منزلة الناقص يضادّ المبالغة الأولى .

وقـد يكون المقصـود الجمع بين الشيئين في مـطلق الصورة أو الشكـل واللون ، كتشبيـه الصبح بغـرّة الفرس ، لا لأجـل المَبالغـة في الضيـاء ؛ بـل لأجـل ظهور بيـاض في سواد مـع كون البيـاض قليلاً بـالاضافـة إلى السواد، والعكس حينئذ جائز ، كما لو شبهت غرّة الفرس بالصبح .

البحث الثالث : في التشبيه الواقع في الهيئات :

إنه قد يقع في الهيئات التي يقع عليها المحركات .

وقـد يقع في الهيئـات التي يقـع عليهـا السكنـات . أمـا الأول : فعلى وجهين :

أحـدهما : أن يقـرن الحركـة بغيرهـا من الأوصـاف والشكـل واللون ، كقول ابن المعتز : والشمس كالمرآة في كفّ الأشل[٤١] .

أراد أن لهـا من الاستـدارة والاشـراق الحـركـة التي تـراهــا إذا أمعنت التـأمـل ، وذلـك أن للشمس حـركـة دائمـة متصلة ، ولنـورهـا بسبب ذلــك تموج ، ولا يحصل هـذا التشبيه إلا أن تكـون المرآة في كف الأشـل ؛ لدوام حركته فيتموج بسببه نور المرآة ، وتلك حال الشمس .

(٤٠) ليست هذه الكلمة في النسخة أ .
(٤١) سبق ذكره .

وثانيها : أن يكون التشبيه في هيئة الحركة مجردة من كل وصف يقارنها مثاله قول الأعشى يصف السفينة وتلعّب الأمواج بها :

تَقِصُ السفين بجانبيْه كما يَنْزُو الرُّبّاح خلالَه كَرَعُ[٤٢]

والرباح: القرد في لغة أهل اليمن، وأصله بتشديد الباء فخففه وقيل: أراد الربح ، وهو الفصيل ، فأشبع / [٣٤ ب] فتحة الباء فحدثت الالف ، والكرع : ماء السماء يكرع فيه ، شبه السفينة في انحدارها وارتفاعها بحركات القرد إذا نزا في الماء ، فإنه يكون له حركات مختلفة في جهات مختلفة ، ويكون هناك تسفّل وتصعّد على غير ترتيب ، وهو أشبه شيء بحركات السفينة حين يتدافعها الموج .

وأما التشبيه الواقع في الهيئات التي يقع عليها السكنات ، فكقول الأخيطل[٤٣] في صفة المصلوب :

كأنه عاشقٌ قد مدَّ صفحتَهُ يوم الوداعِ إلى توديعِ مُرْتَحلِ
أو قائمٌ مِن نُعاسٍ فيه لُوثَتُهُ مُواصِلٌ لتمطّيه من الكسلِ[٤٤]

فلُطْفه بسبب ما فيه من التفاصيل ، ولو قال : كأنه متمطٍّ من نعاس واقتصر عليه لكان قريب التناول ؛ لأن هذا القدر من التشبيه يحصل في نفس الرائي للمصلوب لكونه من باب الجملة ، وأما على التفصيل الذي قيد به استدامة تلك الهيئة فلا يحصل إلا مع التأمّل لحاجته إلى أن ينظر إلى أحوال المتمطّي مِن مدّ ظهره ويده ، ويزيد على النظر إلى استدامته لذلك وإلى علّته ؛ وهي قيام اللوثة والكسل في القائم من النعاس ، وهذا

(٤٢) تقص : تثب ، ينزو : يثب، الرّباح : القرد ، كرع . غدير والبيت في الأسرار ص ٢١٠ والايضاح ص ٣٤٩ .

(٤٣) هو محمد بن عبد الله بن شعيب المعروف ببرقوق شاعر عباسي. معجم الشعراء ٣٧٦.

(٤٤) البيتان في طبقات ابن المعتز ٤١٢ ،وأسرار البلاغة ٢١٤ ،ونهاية الأرب ٧/ ٤٩ .واللوثة : الضعف، ورجل لوثة : أي استرخاء، اللسان مادة لوث.

أصل فيما يراد به التفصيل ، وهو أن يُثبت في الوصف أمر زائد على المعلوم المتعارف ثم يطلب علّته .

البحث الرابع : في مراتب التشبيه في الخفاء والظهور :

التشبيه قد يكون بالتخيّل الذي لا وجود له في الأعيان ، كتشبيه الشقائق بأعلام ياقوت نشرت على رماح من زبرجد(٤٥) .

وقد يكون بما له وجود في الأعيان ، وحينئذ فالهيئة المعتبرة(٤٦) في ذلك ، إما أن توجد قليلاً أو كثيراً :

بيانه أنك إذا قايست بين قوله :

وكأنّ أجْرام النجوم لوامعاً   دُرَرٌ نُثِرْنَ على بِساطٍ أزرقِ

وبين قول ذي الرمّة:

كأنها فضةٌ قد مَسَّهَا ذَهَب(٤٧)

عرفت أن الأول أغرب من الثاني ؛ لأن الهيئة الأولى وهي وجود درر منثور على بساط أزرق أقل وقوعاً من فضة / [٣٥ أ] أجرى عليها الذهب ، وكلما كان الشيء عن الوقوع أبعد كان أغرب ، فكان التشبيه به ألذّ وأعجب .

البحث الخامس : في التمثيل والمثل :

---

(٤٥) مأخوذ من قول الصنوبري :

وكأن محمّر الشقيق إذا تصوب أو تصعّد .

أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد .

(٤٦) المغيرة في النسخة ب .

(٤٧) الشطرة الأولى من البيت : كحلاء في برج صفراء في نعج ، الأسرار ١٩٧ من قصيدة قالها ذو الرمة في هشام بن عبد الملك مطلعها

ما بال عينك منها الماء ينسكب   كأنه من كلى مفرية سرب

قد خص التشبيه المنتزع من اجتماع أمور يتقيد بعضها بالبعض باسم التمثيل . وقد يكون ذلك على وجه الاستعارة ، كقولك[48] للمتردد في الأمر : «أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى»[49] تريد أنك في ترددك كمن يقدم رجلاً ويؤخر أخرى .

وقد لا يكون كما إذا أبرزت ألفاظ التشبيه ، كقوله تعالى : **﴿مثل الذين حُمّلوا التوراة . . .﴾**[50] الآية .

وأما المثل ؛ فهو تشبيه سائر ، أي يكثر استعماله على معنى : أن الثاني بمنزلة الأول . والأمثال كلها حكايات لا تغيّر ؛ لأن ذكرها على تقدير أن يقال في الواقعة المعينة : إنها بمنزلة ما يقال فيه هذا القول ، كقولك لمن لم يسمع رأيك : «لا يطاع لقصير أمر»[51] . ألا ترى أنك تقول ذلك بالألفاظ التي قالها منشيء هذا المثل ، ولو غُيّرت هذه الألفاظ لم تُسمَّ مثلاً .

---

(٤٨) كقوله ب

(٤٩) دلائل الاعجاز ٥٤ .

(٥٠) **﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾** الجمعة ٥ .

(٥١) قصير هو مولى جذيمة المعروف بالأبرس ، وكان قد أشار على سيدة جذيمة أن لا يأمن للزّبّاء ملكة الجزيرة ، فخالفه ، وقصدها إجابة لدعوتها إلى زواجه ، فقتلته ، فقال قصير : «لا يطاع لقصير أمر» فذهبت مثلاً .

وقد استشهد بهذا المثل على كرم الله وجهه في خطبته بعد التحكيم فقال : «لو كان يطاع لقصير أمر» نهج البلاغة ٨٠ .

الفصل الرابع

في الاستعارة ، وفيه ثلاثة أركان :

الركن الأول : في حقيقتها وأحكامها وفيه أبحاث :

البحث الأول : أجود ما قيل في حد الاستعارة : إنها استعمال اللفظ في غير ما اصطلح عليه في أصل المواضعة التي بها التخاطب لأجل المبالغة في التشبيه .

وبالقيد الأول احترزنا عن الحقائق الثلاث اللغوية والعرفية والشرعية[1] .

وبقولنا : لأجل المبالغة في التشبيه عن سائر وجوه المجاز .

واعلم أن المستعار وإن كان صفة للفظ إلا أنه صفة للمعنى أولاً ؛ فإن المعنى أوّلاً يُعار ثم بواسطته يعار اللفظ .

بيانه من وجهين :

أحدهما : أنه حيث لا يكون نقل الاسم تابعاً لنقل المعنى تقديراً ، لم يكن ذلك استعارة ، كالأعلام المنقولة ، فإنك إذا سميت إنساناً بيزيد أو يشكر ، فإنه لا يقال لهذه الألفاظ مستعارة ؛ إذ[2] لم يكن نقلها تبعاً لنقل معانيها تقديراً/ [٣٥ ب] .

---

(١) الحقيقة اللغوية ؛ كاستعمال لفظ الاسد في السبع المخصوص .
والحقيقة العرفية ؛ كاستعمال لفظ الدابة في ذوات الأربع .
والحقيقة الشرعية ؛ كاستعمال لفظ الصلاة في العبادة المخصوصة .

(٢) إذا لم يكن في ب .

الثاني : أن العقلاء يجزمون بأن الاستعارة أبلغ من الحقيقة ، فإن لم يكن نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى ، لم يكن فيه مبالغة ؛ إذ لا مبالغة في إطلاق الاسم المجرد عارياً عن معناه . .

البحث الثاني : الفرق بين الاستعارة والتشبيه :

إن التشبيه حكم إضافي يستدعي مضافين، وليس الاستعارة كذلك ؛ فإنك إذا قلت : رأيت أسداً لم يذكر شيئاً آخر حتى تشبه بالأسد ، فلم يكن ذلك تشبيهاً؛ بل أعطى المعنى لفظاً ليس له لأجل المشابهة بينه وبين معناه الأصلي ، وما هو لأجل شيء آخر لا يكون نفس ذلك الشيء ، واعلم أنه متى قويت المشابهة بين الشيئين كان التصريح بالتشبيه قبيحاً ، وذلك لقرب الشبه من حقيقة المشبه به ، مثاله إطلاق لفظ النور على العلم والايمان ، والظلَم على الكفر والجهل ، فلا يحسن ها هنا ؛ ـ لقوة المشابهة ـ أن يقول العلم كالنور .

وبالجملة : فالاستعارة إنما تحسن حيث يكون التشبيه متقرراً بين الناس ظاهراً ، فأما إذا خفي واحتاج إلى كلفة ، فلا بد من التصريح ، فإنك لو قلت في قوله عليه السلام : «مثل المؤمن كمثل النخلة»[٣] ، رأيت نخلة وأردت المؤمن ، كنت ـ كما قال سيبويه[٤] ـ ملغزاً تاركاً لكلام العرب .

البحث الثالث : في ترشيح الاستعارة وتجريدها :

أما ترشيح الاستعارة ؛ فأن تراعي جانب المستعار وتوليه ما يستدعيه وتضمّ إليه ما يقتضيه ، كقول كثير :[٥]

---

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٢٠ ، صحيح مسلم ٤/٢١٦٣ .

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) رمتني بسهم ريشه الهدب لم يصب ظواهر جسمي وهو في القلب جارح

ديوانه ١٨٨ .

رمتني بسَهمٍ ريشُه الكحل لم يضـر

فاستعار الرمى للنظر وراعى ما يستدعيه ، فأردفه بلفظ السهم .

وقول امريء القيس[٦] .

فـقلت لــه لـمّـا تمـطّى بـصُـلْبِـهِ وأردفَ أعـجـازاً وَنَـاءَ بـكَـلْكَـلِ

/[٣٦ أ]

لمـا جعل للّيـل صُلباً قـد تمطّى بـه، أردفـه بمـا يقتضيـه من الأعجـاز والكلكل .

وأمـا تجريـدها ؛ فـأن يُراعى جـانب المستعـار لـه ، كقـولـه تعـالى : ﴿فأذاقها الله لباسَ الجُوع والخوْف﴾[٧] وكقول زهير[٨] :

لدى أسدٍ شاكِي السلاحِ مقذَّفٍ

لو نظر إلى المستعار ها هنـا ، لقيل : فكسـاهم لباس الجـوع ، ولقال زهير لدى أسد في المخالب والبراثن .

البحث الرابع : في الاستعارة بالكناية ، وتنزيلها منزلة الحقيقة .

وأمـا الاستعارة بـالكنايـة ؛ فهو أن يـذكر بعض لـوازم المستعار للتنبيـه عليه دون التصريح بذكره ، كقول أبي ذؤيب :[٩]

---

(٦) البيت من معلقة امريء القيس ومطلعها :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول وحومل

وفي الديوان : فقلت له لما تمطى بجوزه الديوان ص ١٨

(٧) النحل ١١٢ .

(٨) وتمام البيت : له لبد أظفاره لم تقلّم .

والبيت من معلقـة زهير التي يمـدح فيها الحـارث بن عوف وهـرم بن سنان، الـديـوان ٢٣ دار الكتب .

(٩) وتمام البيت : ألفيت كل تميمة لا تنفع، ديوان الهذليين ص ٣ .

وإذا المنيّةُ أنشبتْ أظْفارها

فكأنه حاول استعارة السبع للمنيّة ، لكنه لم يصرحْ بها ؛ بل ذكر بعضَ لوازمها ؛ تنبيهاً لها على المقصود .

وأما تنزيلها منزلة الحقيقة ، فاعلم أنهم قد يستعيرون الوصف للشيء المعقول ويجعلون ذلك كالثابت لذلك الشيء في الحقيقة ، وكأن الحقيقة لم توجد ، وذلك كاستعارة العلوّ لزيادة الرجل على غيره في الفضل ، ثم وضعهم الكلام وضعَ من يَذكرُ عُلُوّاً مكانياً ، كقول أبي تمام[10] :

ويصْعدُ حتى يظنَّ الجهولُ   بأنّ له حاجةً في السماء

فقصد ها هنا أن يَنسى التشبيه ويرفعه رأساً ، ويجعل الممدوح صاعداً في السماء صعوداً مكانياً ، وهكذا إذا استعاروا إسم الشيء لغيره من نحو : بدر ، وأسد[11] ، فإنهم يبلغون إلى حيث يعتقد أن ليس هناك كاستعارة كقوله :[12]

قامتْ تُظلّلني - ومن عَجَبٍ -   شمسٌ تظلّلني مِن الشمسِ

فلولا أنه أنسى نفسه أن ها هنا استعارة ، لما كان لهذا التعجب معنى ، ومدار/ [٣٦ ب] أكثر هذا النوع على التعجب .

وقد يجيء على عكس مذهب التعجب ، كقوله :[13]

لا تعجبوا من بِلَى غُلالته   قدْ زَرَّ أزرارَهُ على القمَرِ

---

(١٠) ويصعد حتى يظن الحسود ديوانه ٤/ ٣٤ وفي الاسرار ص ٣٤٤ .

(١١) أو أسد في ب .

(١٢) البيت لابن العميد وهو في الأسرار ص ٣٤٥ ، واليتيمة ٣/ ١٦٠ ونهاية الأرب ٧/ ٥٦ .

(١٣) البيت لابن طباطبا ، انظر الأسرار ص ٣٤٨ ، والطراز ١/ ٢٥٦ . وروى «قد زر كتانه على القمر» .

فقد ذكر كما ترى شيئاً[١٤] هو من خاصة القمر ، فهو ينهاهم عن التعجب من بلى الكتان بسرعة ، ويقول إنه قد زُرّ على القمر ، ومن شأن القمر ذلك ، وهذا إنما يتم بالجزم بكونه قمراً[١٥] ، إلا أنه لو اعترف بأنه ليس بقمر وإنما يشبه القمر ، لبطل كلامه .

البحث الخامس : في شرط حسن الاستعارة

واعلم أن الاستعارة إنما تحسن بالمبالغة في التشبيه مع الإيجاز ، كقوله :

أيا مَنْ رَمَى قَلْبِي بسهْمٍ فأنْفَذا[١٦]

لا كقول أبي تمام :[١٧]

لا تسْقني ماءَ المَلام فإنّني   صبٌّ قد استعذبْتُ ماءَ بُكَائِي

فإن قوله ماء الملام ليس فيه لذاذة ، ولو أتى بالحقيقة فقال : لا تلمني لكان أوجز .

وقد تكون الاستعارة عامية ، كقولك : رأيت أسداً ، أو وردت بحراً . وقد تكون خاصّية كقوله :

وسالتْ بأعناقِ المَطِيِّ الأباطحُ[١٨]

(١٤) شيء في النسخة أ .

(١٥) بكونه قمر في النسخة أ .

(١٦) فقوله : «فأنفذا» استعارة حسنة ، فأما لو قال بدله : فأولجا أو فأدخلا ، لكانت استعارة قبيحة ؛ لأن اللائق بهذا الموضوع أن يبالغ في الوصف بالسهولة وتحقيق الاصابة ، وقوله «فأنفذا» يفيد تحقيق السرعة والسهولة ، وليست الأوصاف الأخر كذلك . نهاية الايجاز ٩٤ .

(١٧) من قصيدة يمدح فيها محمد بن حسان الضبي ديوانه ١/ ٢٢ ، أخبار ابن تمام ٢٣ . نهاية الايجاز ٩٤ .

(١٨) صدر البيت : أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا .

والبيت ينسب لكثير عزة ، أو يزيد بن الطثرية ، أو نُصيب . =

شبه سيرها الحثيث وغاية سرعته في لين وسلاسة بسيل وقع في الأباطح فجرت به .

الركن الثاني: من أقسام الاستعارة، وفيه أبحاث :

البحث الأول: الاستعارة قد تعتمد نفس التشبيه، كما إذا اشترك شيئان في وصف، وهو في أحديهما أزيد، فتعطى الناقص اسم الزائد، كقولك: رأيت أسداً، وتريد رجلاً شجاعاً، وغنّت لنا ظبية، وتريد امرأة.

وقد تعتمد لوازم التشبيه، وهو إذا كانت جهة الاشتراك إنما ثبت كمالها في المستعار منه بواسطة أمر آخر، فيثبت ذلك الأمر للمستعار له مبالغة في إثبات المشترك، كقوله[19]:

إذ أصبحتْ بيدِ الشِمّال زمامُها.

فالشمال في [تصريف[20] الغداة على حكم طبيعتها كالحيوان المتصرف، إلا أن تصرف/[٣٧ أ] الحيوان لمّا كان في أكثر الأحوال باليد، كانت اليد كالآلة التي يكمل بها التصرف[21]. ولما كان الغرض هاهنا إثبات التصرف وهو لا يكمل إلا بثبوت اليد[22]، لا جرم أثبت للريح يداً تحقيقاً للغرض، وكذلك قوله[23]:

إذا هــزّه في عــظم قــرنٍ تهــلّلت نــواجذُ أفــواهِ المنــايا الضــواحــك

لمّا شبه المنايا عند هزة السيف بالسرور[24]، وكمال الفرح إنما يظهر

= الشعر والشعراء ص ٨ ، الدلائل ٥٩ ، وكتاب البديع لابن منقذ ١٥٤ .

(١٩) صدر البيت: وغداة ريح قد كشفت وقرّة. وقد قاله لبيد ديوانه ٣١٥.

(٢٠) فالشمال في تعريف أ.

(٢١) التصريف في ب.

(٢٢) الأيدي في أ.

(٢٣) البيت قاله تأبط شراً، ديوانه ١١٩ .

(٢٤) بالمسرور في ب.

بـالضحك الـذي يتهلّل فيـه النـواجـذ، أثبت الضحـك مـع تهلّل النـواجـذ؛ تحقيقاً للوصف المقصود.

البحث الثاني: واعلم أن القسم الأول على أربعة أقسام:

أحـدها: أن يستعـار لفظ المحسوس للمحسـوس، وحينئذ فـالاشتـراك بينهما إما في الذوات دون الصفات، أو بالعكس.

فـالأول كحقيقـة تفـاوتت آحـادهـا في الفضيلة والنـقص، والقـوة والضعف، فيستعار لفظ الأكمل في ذلك النوع لـلأنقص، كاستعـارة الطيـران للعدو بسرعة، فيقال للعدو السريع، طيران؛ إذ الطيران والعـدو يشتركـان في الحقيقة: وهي الحركة المكانية، ويختلفان في القوة والضعف.

وأما الثاني: فكقولهم: رأيت شمساً وتريد إنساناً يتهلّل وجهه، فها هنـا الإنسان مخالف للشمس في الحقيقة، مشارك لهـا في الوصف، وكقـول عليّ عليـه السـلام في ذكـر النبي ﷺ: «اختـاره من شجـرة الأنبيـاء»[٢٥]، فـإن الشجرة وأصل النبوّة يختلفان بـالحقيقة، ولكنهمـا يشتركـان في أن كلّ واحـد منهما أصل يتفرع عليه الفروع.

وثـانيها: استعـارة لفظ المعقول للمعقـول، وهو أيضـاً إنمـا يكـون في أمرين يشتركان في وصفٍ، أحدهما به أوْلى، وهو فيه أكمل، فينزّل الناقص منزلة الكامل، ثم أن المشتـركين قد يكـونان متعـاندين/[٣٧ ب]، أمـا تعانـد النقيضين، وهو كاستعارة المعدوم للموجود عند مالا يكـون في ذلك المـوجود فـائدة، فيشـارك المعدوم في عـدم الفائـدة، فيستعار لفـظه له. أو كـاستعـارة الموجود للمعدوم عندمـا يكون للمعـدوم آثار بـاقية يشـارك بها المـوجود، إلا أن الموجود بمثلها أولى فيستعار لفظه له.

وأمـا تعـانـد الضـدين حقيقـة كـان أو ظـاهـراً، وهـو كتشبيـه الجـاهـل

(٢٥) من خطبة لـه في مزايـا النبي ﷺ: «أسرتـه خير أسـرة، وشجرتـه خير شجـرة» نهج البـلاغة ص ٢٢٩.

بالميّت؛ لأن الموت والحياة للجاهل اشتركا في عدم الفائدة المطلوبة منه وهي الإدراك والعقل، إلا أن الموت بها أولى فيستعار لفظه لها، ومنه قول عليّ عليه السلام: «الناس نِيَامٌ، فإذا ماتوا انتبهُوا»(٢٦).

وقد لا يكونان متعاندين، وهو (أن يكون موجودان يشتركان)(٢٧) في وصف معقول، إلا أن أحدهما أولى به فينزل الناقص منزلة الزائد، كقولهم: فلان لقي الموت، إذا لقي شيئاً من الشدائد؛ لاشتراك الموت والشدائد في المكروهية، لكن الموت أولى بها، فينزل الشدائد منزلة الموت فيستعار لفظ الموت لها.

وثالثها: استعارة لفظ المحسوس للمعقول، وهو كاستعارة لفظ النور المحسوس للحجّة الواضحة، واستعارة لفظ القسطاس المحسوس للعدل، ومنه قوله عليه السلام في مدح القرآن: «إنه حبْلُ الله المتين، وفيه ربيعُ القلب، وينابيعُ العِلْم»(٢٨)، فاستعار لفظ الحبل والربيع والينابيع لمعاني القرآن.

ورابعها: استعارة لفظ المعقول للمحسوس؛ وهو أن يجعل المعقول أصلاً في التشبيه، ويبالغ في تشبيه المحسوس به، كقوله(٢٩):

فمنظرُها شِفاءٌ من سَقامٍ ومَخْبَرُها حياةٌ مِن حِمَامٍ

فإن الموضع المنظور إليه منها لما شارك الشفاء في التذاذ الحاصل عنها، وكان الشفاء أولى بذلك، بالغ في تشبيه المنظر به فأعاره اسمه. وكذلك المخبر وهو محل [الإخبار(٣٠)] /[٣٨ أ]، وهو إما أقوالها وأفعالها

(٢٦) هذا الأثر مذكور في البصائر ٤/٢٢٧.

(٢٧) وهو كما يشترك موجودان في وصف معقول. في النسخة أ، ب.

(٢٨) في نهج البلاغة ص ٢٥٤ «فإنه حبل الله المتين، وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينابيع العلم».

(٢٩) لم أعثر على قائله.

(٣٠) الاختيار من أ.

المحسوسة، أو شيء آخر، لما شارك الحياة في الالتذاذ الحاصل عنهما، وكانت الحياة أولى به من المخبر؛ بالغ في تشبيه المخبر بها، فاستعار له لفظها.

الفصل الخامس
في الكناية

وفيه بحثان:

البحث الأول: في حقيقتها:

أما حقيقتها، فاعلم أن اللفظة إذا أطلقت وأُريد بها غيرُ معناها، فإما أن يُراد بها مع ذلك معناها أو لا يُراد.

فالأول هو الكناية، كقولك: فلانٌ طويلُ النِّجادِ، كثيرُ رمادِ القِدْر. فقولنا: طويل النجاد ليس الغرض الأصلي به معناه؛ بل ما يلزمه من طول القامة، وكذلك المثال الآخر، فإن المقصود منه ما يلزمه من إطعام الخلْق والتكرم عليهم، فهذه هي الكناية في المفرد.

وأما في المركّب؛ فهي أن يحاول إثبات معنى من المعاني لشيء، فيترك التصريح بإثباته له، ويثبته لمتعلقه، كقوله[٣١]:

إن المروءةَ والسماحةَ والنّدَى في قُبّةٍ ضُربتْ على بن الحشْرَجِ

لما أراد إثبات هذه المعاني للممدوح لم يصرّح بها؛ بل عدل إلى ما ترى من الكناية فجعلها في قبّة ضُربت عليه. ومنه قولهم: المجْدُ بين ثوْبيه، والكرم بين بُرْدَيه. ومثاله في جانب النفي قول من يصف امرأة بالعفّة[٣٢]:

يَبيتُ بمَنْجاةٍ من اللّوْمِ بَيْتُها إذا ما بُيوتٌ بالمَلامَةِ حُلَّت

---

(٣١) البيت لزياد الأعجم، ولقب بالأعجم، لأنه كان ألكن. وابن الحشرج كان أميراً على نيسابور الأغاني ١٠/١٤٨، الدلائل ٢٣٧، الطراز ١/٤٢٢.

(٣٢) البيت للشنفري، المفضليات ص ١٠٩، والدلائل ٢٣٩، وغير موجود في ديوانه صنعة الميمني

فتوصل إلى نفي اللّوم عنها بأن نفاه عن بيتها.

البحث الثاني: في الفرق بينها وبين المجاز:

الفرق بينهما أن الكناية عبارة عن أن تذكر لفظة وتفيد بمعناها معنى ثانياً هو المقصود، وإذا أفدت المقصود بمعنى اللفظ وجب أن يكون معناه مُعتبراً، فلم تكن قد نقلْت اللفظة عن موضوعها، فليست مجازاً، مثاله: أنك إذا قلت: فلانٌ كثيرُ الرّماد، فأنت تريد أن تجعل/[٣٨ ب] كثرة الرماد دليلاً على جُوده، فقد استُعملت هذه الألفاظ في معانيها الأصلية وقصدْت بكونه كثيرَ الرماد معنى ثانياً يلزم الأول، وهو الجواد، بخلاف المجاز، فإنك تنقل اللفظة عن معناها الأصلي. وبالله التوفيق.

الجملة الثانية
في النظم

وفيها فصول:

الفصل الأول
في حقيقته

إنه وضع الكلام على النهج الذي يقتضيه عمل النّحو، والعمل فيه بقوانينه وأصوله[1].

بيانه: أنك تنظر في وجوه كل باب وفروقه، فتنظر في الخبر مثلاً إلى الفرق بين ما إذا كان المبتدأ اسماً مشتقّاً أو صريحاً[2]، أو فعلاً ماضياً أو مستقبلاً[3]، وبين إدخال الألف واللّام عليه أو عدمها، والفصل بالضمير وعدمه[4]، وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تختلف بحسب اختلاف كون الجملتين فعليتين، أو أحديهما فعلية والأخرى اسميّة، وإن كانتا فعليّتين فتنظر الفرق بين ما إذا كان الفعلان ما ضيين أو مستقبلين[5]، أو أحدهما ماضياً والآخر مستقبلاً[6]، وفي الحال إذا كان اسماً أو فعلاً[7]،

---

(١) انظر دلائل الإعجاز ص ٦٤.

(٢) مثل زيد منطلق، وزيد أخوك.

(٣) مثل زيد انطلق، وزيد ينطلق.

(٤) زيد المنطلق، وزيد منطلق، وزيد هو المنطلق.

(٥) إن خرجتَ خرجْنا، وإن تخرج أخرج، وإن خرجت تخرج، وإن تخرج خرجنا.

(٦) أتاني عمرو مسرعاً، وجاءني زيد يسرع.

وأتاني عمرو قائداً فرسه، وأتاني عمرو يقود فرسه.

(٧) «ما» تفيد نفي الفعل المؤكد، فإذا قلت: لقد فعل فلان كذا، فنفيه: ما فعل. و«لا» تفيد نفس الفعل غير المؤكد، فإذا قلت: يقرأ الطالب الدرس، فنفيه: لا يقرأ الدرس.

وفي الحروف المشتركة في معنىً، أين يكون وضعها أَلْيق، نحو أن تجيء بما في نفي الحال، أو الماضي، وبلا في نفي الاستقبال[٧]، بإن فيما يتردّد بينهما، وبإذا فيما علم أنه كائن[٨]، وأن تعرف مواضع الفصل والوصل[٩]، ومواضع التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والحذف والتكرار، والاضمار والإظهار[١٠]، فتضع كل شيء مكانه.

واعلم أنه ليس إذا حسُن التنكير مثلاً أو التعريف أو أحد هذه الأمور في موضع حسُن في كل موضع؛ بل إنما يحسُن بحسب الموضع الذي يقصده[١١].

وحاصل هذا التقرير: إن النظم إنما يحصل في كلمات تضمّ[١٢]

---

(٨) تستعمل «أن» للشك والظن، ولذلك تستعمل غالباً في الحكم النادر غير المقطوع به، ومن ثم يغلب دخولها على الفعل المضارع.

بخلاف «إذا» فإنها تستعمل في التحقيق والقطع، وحين يكون المتكلم جازماً بوقوع الشرط. وأوضح ما يكون ذلك في قوله تعالى: **﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه، وإن تصبهم سيئة يطّيّروا بموسى ومن معه﴾** سورة الأعراف ١٣١ دخلت «إذا» على الماضي لتحقق وقوعه، ودخلت «إن» على المضارع؛ لأن السيئة نادرة الوقوع بالنسبة للحسنة، فهي بمثابة الشيء الذي لن يتحقق إلا على ظن.

(٩) يختلف المعنى باختلاف الفصل والوصل، وأوضح مثال على ذلك قوله تعالى: **﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم﴾** البقرة ٤٩. **﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم﴾** إبراهيم ٦.

فالآية الأولى ذكر «يذبحون» بدون واو بياناً لقوله يسومونكم، فكأن الذبح هو السوم لا غيره.

والآية الثانية ذكر «يذبحون» بالواو عطفاً على يسومونكم؛ لأن الذبح هنا كان أوفى من العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة، فكأنه شيء آخر غير العذاب.

(١٠) الإضمار مثل قوله تعالى: **﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾** المائدة ٨ أي: العدل.

والإظهار مثل قوله تعالى: **﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾** الإسراء ١٠٥ أي: وبه نزل.

(١١) الذي يقصد في النسخة ب.

(١٢) ضم بعضها إلى بعض في ب.

بعضهـا إلى البعض وذلك/[٣٩ أ] النـظم يعتبر فيـه أحوال المفـردات وأحوال انضمام بعضها إلى بعض.

فأما أحوال المفردات؛ فإما أن يعتبر حال دلالـة الألفاظ، أو حـال دلالة أحوالها، وحركاتها وسكناتها، فهذه هي أقسام الاعتبار، والنـظم الكامـل إنما يحصل إذا اختير من هذه الأمور الثلاثة في كل موضع ما هو الأليق به.

الفصل الثاني
في أقسام النظم

إنّ الجمل الكثيرة إذا نُظمتْ نظماً واحداً، فإما أن يتعلق بعضها بالبعض أو ليس.

فإن كان الثاني لم يحتج ذلك النظم إلى فكر في استخراجه، مثاله قول عليّ عليه السلام: «لا مالَ أعْودُ من العقل، ولا داء أعيى من الجهل، ولا عقل كالتدبير، ولا كرم كالتقوَى»(١٣).

وإن كان (الأول)(١٤) فكلما كانت أجزاء الكلام أشد ارتباطاً، كان أدخل في الفصاحة، وليس له قانون يحفظ؛ لمجيئه على وجوه شتى، ولنذكر ما يعتبر منها وهو أحد وعشرون(١٥):

الوجه الأول: المطابقة:

وهي الجمع بين المتضادّين في الكلام مع مراعاة التقابل حتى لا يُضمّ الاسم إلى الفعل، كقوله تعالى: **﴿فلْيضحكوا قليلًا ولْيبكوا كثيراً﴾**(١٦).

وقوله: **﴿سواءٌ منكم مَن أسرّ القولَ ومنْ جَهر به ومنْ هو مسْتخْفٍ بالليل وساربٌ بالنهار﴾**(١٧).

---

(١٣) نهج البلاغة ٤٤٨.

(١٤) الثاني في النسخة أ، ب.

(١٥) وهو عشرون في ب.

(١٦) التوبة ٨١.

(١٧) الرعد ١٠ سارب بالنهار: ظاهر يبصره كل أحد، أي يستوي في علمه تعالى السر والجهر، والخفي والظاهر.

وقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي المُلْك من تشاءُ وتنزِع المُلْك ممّن تشاء وتعِزُّ من تشاء وتُذلّ من تشاء﴾(18).

الوجه الثاني: المقابلة:

وهي أن تجمع بين شيئين متوافقين وبين ضدّيهما، ثم إذا شرطتهما بشرط وجب أن تشترط ضديهما بضد ذلك الشرط، كقوله تعالى: **﴿فأمّا مَن أعْطى واتّقى وصدّق بالحُسْنى فسنيسّره لليُسْرى، وأما مَن بَخِل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسّره للعسرى﴾**(19). فلما جعل التيسير مشتركاً بين الأعطاء والاتّقاء والتصديق/[39 ب]، جعل ضده: وهو التعسير مشتركاً بين أضداد تلك الأمور، وهي المنع والاستغناء والتكذيب.

الوجه الثالث: المزاوجة بين معنيين في الشرط والجزاء، كقول البحتري(20):

إذا ما نَهى النّاهِي فلجّ بي الهَوى أصاخَتْ إلى الواشِي فلجَّ بها(21) الهجْرُ

الرابع: الاعتراض.

وهو أن يدرج في الكلام ما يتمّ به الغرض دونه، كقوله تعالى: **﴿فلا أُقسمُ بمواقعِ النجوم وإنّه لقسمٌ ـ لو تعلمونَ ـ عظيمٌ﴾**(22) وقول عليّ عليه السلام: «أما بعد فإنّ اللّهَ خلق الخلْقَ ـحين خلقهم ـ غنيّاً عن طاعتهم».

الخامس: الالتفات:

وهو العدولُ عن مساقِ الكلام إلى مساقٍ آخر غير مناف للأول في

(18) آل عمران 26.

(19) الليل 5 ـ 10.

(20) من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان. ديوانه 2/844.

(21) به في أ.

(22) الواقعة 75، 76.

المعنى؛ بل متمّم له على جهة الميْل أو غيره.

كالعدول عن الغيبة إلى الخطاب، كقـوله تعـالى: ﴿مالـك يوم الـدّين؞ إيّاكَ نعْبدُ وإيّاك نسْتعين﴾[٢٣].

وبالعكس كقولـه تعالى: ﴿حتى إذا كنتمْ في الفُلْك وَجَـرَيْنَ بهمْ بريـح طيِّـبةٍ﴾[٢٤] وقول علي عليـه السلام: «وَبِنَـا انْفَجَرْتُمْ عنِ السِّـرار، وُقِرَ سَمْـعٌ لمْ يفْقَهِ الواعِيَةَ»[٢٥].

السادس: الاقتباس:

وهو أن تُدرج كلمـة من القرآن أو آيـة منه في الكـلام؛ تزْييناً لنظامـه، كقـول ابن شمْعـون في وعـظه: «اصبـروا عن المحـرّمـات، وصـابـروا على المفْتَـرَضـات، ورابـطوا بـالمـراقَبـات، واتقـوا الله في الخلَوات، تُـرفـعْ لكم الدرجاتُ»[٢٦].

السابع: التلميح:

وهو أن يشار في فحوى الكلام إلى مثل سائـر أو شعر نـادر[٢٧]، كقول علي عليه السلام في خطبته الشِقْشِقيّة[٢٨]:

---

(٢٣) الفاتحة ٤، ٥.

(٢٤) يونس ٢٢.

(٢٥) نهـج البلاغـة ٥١. والأصح «أفجـرتم» أي دخلتم في الفجر، والسّـرار: آخر ليلة في الشهـر يختفي فيها القمر، وهو كناية عن الظلام، وقر: صمّ، الواعية: الصارخـة والمراد هنـا العبرة والموعظة الحسنة، وقر: صمّ، وهو دعاء بالصمم على من لم يفهم الزواجر والعبر.

ـ وقول ابن شمعون مقتبس من قوله تعالى: ﴿يأيهـا الذين آمنـوا اصبروا وصـابروا ورابـطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ آل عمران ٢٠٠.

(٢٧) وشعر نادر في ب.

(٢٨) الشقشقة: شيء كالرئة يخرج من البعير من فيه إذا هاج.

وسميت هذه الخطبة بالشقشقية؛ لقولـه فيها: «هيهـات يا ابن عبـاس، تلك شقشقة هـدرت ثم قرّت». والبيت للأعشى، ويـوم حيان بـدلاً من يوم شتـان. نهج البـلاغة ٤٨، والكـور: الرحل.

شتّان ما يَوْمي على كُورِها   ويومُ شتّان أخِي جابرِ

الثامن: إرسال المَثَلين، وهو الجمع بين المثلين، كقوله[٢٩]:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللّهَ باطلٌ   وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

التاسع: اللف والنشر:

وهو أن تلفّ/[٤٠ أ] شيئين وتُورد تفسيرَهما جُمْلة؛ ثقةً بأن السامع يميّز ما لكل منهما كقوله تعالى: **﴿ومِن رحْمته جعلَ لكمُ الليلَ والنهارَ لتسْكنوا فيه ولتبتغوا مِنْ فضْله﴾**[٣١].

ويقرب منه: أن تذكر لفظاً يُتوهّم أنه يحتاج إلى البيان فتقصده مع تفسيره، كقوله تعالى: **﴿يَوْمَ يأتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاّ بإذْنه فمنهمْ شَقِيٌّ وسَعِيد، فأمّا الذين شَقُوا فَفِي النارِ﴾** الآية[٣١] **﴿وأمّا الذين سُعدوا ففِي الجنة﴾** الآية.

العاشر: التّعديد:

وهو إيقاع الأعداد من الأسماء المفردة في النظم والنثر على مساق واحد، فإن روعي فيه ازدواج، أو تجنيس أو مطابقة أو مقابلة، حسُن جداً، مثاله من النثر قولهم: فلان إليه الحَلّ والعَقْد[٣٢]، والقبول والرّدّ، والأمر والنهي، والإثبات والنفي.

ومن النظم قول المتنبي[٣٣]:

---

(٢٩) قاله لبيد، ت وعمره ١٥٧ سنة، ديوانه ١٣١ ط بيروت والشعر والشعراء ١/ ٢٧٩.

(٣٠) القصص ٧٣.

(٣١) هود ١٠٥، ١٠٦.

(٣٢) في حسن التوسل: «وضع في يده زمام الحل والعقد....» ٢٤٧ ط العراق.

(٣٣) من قصيدة يعاتب فيها سيف الدولة لتعرضه له في مجلسه بما لا يحب ومطلع القصيدة:

واحرّ قلباه ممن قلبه شَبِم   ومن بجسمي وحالي عنده سقم

والشطرة الثانية من البيت:

والضرب والطعن والقرطاس والقلم   ديوانه ٣/ ٣٦٩.

الخيـلُ والليـلُ والبَيْـداءُ تعْـرفُني والطعْنُ والضّرْبُ والقـرْطاسُ والقَلَم

الحادي عشر: تنسيق الصفات[٣٤]:

كقـولـه تعـالى: ﴿**هـو الله الـذي لا إلـه إلاّ هُـوَ الملِكُ القُـدّوسُ السَّلامُ**﴾[٣٥] الآية، وقوله تعالى: ﴿**يا أيّهـا النبيّ إنّا أرْسَلْنـاكَ شاهِـداً ومبشّراً ونـذيـراً**﴾[٣٦] الآيـة، وقـولـه: ﴿**ولا تُـطِعْ كـلَّ حَـلاّفٍ مَهِين**﴾[٣٧] الآيـة، والتنسيق في أوائل الخطب كثير.

الثاني عشر: الإبهام.

وهـو أن يكون للفظ ظـاهر وتـأويل، فيَسْبِقُ إلى فهمْ السـامع الـظاهرُ، مع أن المراد هو التأويل، كقوله تعالى: ﴿**والأرضُ جميعاً قبْضَتُه يـومَ القيامـةِ والسمواتُ مطْويّاتٌ بيمينه**﴾[٣٨].

الثالث عشر: مراعاة النظير:

وهـو جمـع الأمـور المنـاسبـة المتـوازنـة، كقـول عليّ عليـه السـلام: «الحمـدُ لله غيرَ مقنـوطٍ من رحمتـه، ولا مخْلوٍّ من نِعمتـه، ولا مـأيـوسٍ من مغفرته»[٣٩].

الرابع عشر: المدح الموجّه:

وهو أن يمدح بشيء يقتضي المدح بشيء آخر، كقول المتنبي[٤٠]:

---

(٣٤) تنسيق الصفات: وهو أن يذكر الشيء بصفات متوالية.

(٣٥) الحشر ٢٣. القدوس: البليغ الطهارة، المنزه عن العيوب والنقائص.

(٣٦) الأحزاب ٤٥.

(٣٧) القلم ١٠.

(٣٨) الزمر ٦٧. والغرض منه تصور عظمته وجلالـه من غير ذهـاب بالقبضـة ولا باليمين إلى جهـة حقيقة أو مجاز.

(٣٩) نهج البلاغة ٨٥، مقنوط من القنوط وهو اليأس.

(٤٠) ديوانه ١ /٢٧٧.

نهبتَ من الأعمــارِ مـا لــوْ حـويْتَــهُ   لـهُنِّئـت الــدنيــا بــأنّــكَ خــالــدُ

فأوله مدح بالشجاعة، وآخره مدح بعلو الدرجة.

الخامس عشر: المحتمل للضدين: /[٤٠ ب]

وهـو أن يكون الكـلام محتمِلاً للمـدح والـذم على السـواء، كمن قـال لرجل أعور[٤١]:

ليت عينيْه سَواء

السادس عشر: تجاهل العارف:

كقوله تعالى: **﴿وإنّا أوْ إيّاكُمْ لَعلَى هُدًى أو في ضَلالٍ مُبين﴾**[٤٢].

وكقول المتنبي:

أريقُكَ أمْ ماءُ الغمامةِ أمْ خمْرُ[٤٣]

السابع عشر: السؤال والجواب:

كقوله تعالى: **﴿قال فِـرْعَوْنُ ومَـا رَبُّ العالَمين... قـال: ربُّكُمْ وربُّ آبائِكُمْ الأوّلين﴾**[٤٤].

الثامن عشر: الحذف:

---

(٤١) وصدر البيت: خاط لي عمرو قباء.

والبيت لبشار قاله في خياط أعور اسمه عمرو، وهذا النـوع سماه الخـطيب التوجيـه، ديوانـه ١٢.

(٤٢) سبأ ٢٤.

(٤٣) والشطرة الثانية من البيت: بفيّ برودا وهو في كبدي حجر

ديوانه ٦٢ ط بيروت

(٤٤) وتمام الآيات: **﴿قـال فرعـون وما رب العـالمين،! قال رب السمـوات والأرض وما بينهمـا إن كنتم مـوقنين، قال لمن حـوله ألا تستمعـون، قال ربكم ورب آبـائكم الأولين﴾** الشعـراء ٢٢ - ٢٦.

وهـو أن يُتكلّف حذفُ حـرفٍ من حـروف المعْجم، كمـا حـذف عليّ عليه السلام الألف في خطبته المسماة بالموقوصة[٤٥].

التاسع عشر: التعجب:

كقـوله: فيـا خجل المقصِّـرين من التـوبيـخ في مَحْفَـل القيـامـة، ويـا حسرةَ الظالمين إذا عايَنُوا أهلَ السلامة!

العشرون: الإغراق في الصفة:

كقول امرىء القيس:

من القاصرات الطرْف لوْ دبَّ مُحْوِلٌ   من الذَّرِّ فوقَ الأتْـب منهـا لأثَّرَا[٤٦]

وقول المتنبّي[٤٧]:

كفَى بجسمِي نـحُـولاً أنّني رجـلٌ   لَـوْلا مُخـاطبـتي إيّـاكَ لـمْ تَـرنِي

الحادي والعشرون: في حسن التعليل.

وهو أن يُذكـر وصفان: أحـدهما علة لـلآخر، والغـرض منهما ذكـرهما جميعـاً، كقول علي عليـه السـلام في ذم الـدنيـا: «هـانت على ربهـا فخلطَ حلاَلها بحرامِها، وخيرَها بشرِّها»[٤٨].

---

(٤٥) الموقصة في ب، الوقص: كسر العنق، والـواقصة بمعنى المـوقوصـة وفي حديث علي كـرم الله وجهه: إنه قضى في الواقصة والقامصة والقارصة بالدية أثلاثاً. اللسان مادة وقص.

(٤٦) القاصرات الطرف: العفيفات اللاتي يقصرن أبصارهن على أزواجهن.

محول: الذي أتى عليه الحول، الإتب: ثوب رقيق.

والبيت لأمرىء القيس من قصيدة مطلعها:

سما لك شوق بعد ما كان أقصرا   وحلّت سليمى بـطن قـوّ فعـرعـرا

ديوانه ٦٨ ط المعارف.

(٤٧) ديوانه بشرح الكعبري ٤/١٨٦. والمعنى: إنه قد بلغ الغـاية في النحـول، وكفى أنني رجل لولا كلامي لم يقع النظر علي، وإنما يستدل الناس عليّ بصوتي.

(٤٨) نهج البلاغة ١٦٧.

وكقوله:

فإن غادر الغُـدران في صَحْن وَجْنَتي ... فلا غَرْو منـه لم يزلْ كـان غادراً(٤٩)

واعلم أن وجوه النظم كثيرة، ولما كـان كثير منهـا قلّما يـوجد في كـلام المطبوعين من المتقـدمين، وإنما هي صنـاعات تكلّفهـا المحدَثـون، لا جرَم ذكرنا ما كان غالباً في القرآن الكريم، والكلمـاتِ النبويّـة، وكلامِ عليّ عليـه السـلام، والمـطبـوعين على الكـلام من سـائـر الفصحـاء، ومـا أحـدثـه المتـأخرون، وإن كـان لا ينْخَرط في سِلْك الأوّلين، إلا أنـه يـدل على ذكـاء مبتدعه، وفطنة مخترعه، وبالله التوفيق.

---

(٤٩) وفي أصول البلاغة ٩٢.

فإن غارت الغدران في صحن وجنتي ... فـلا غـرو منـه لم يـزل كـان غـادراً

ومن الطراز: ٣/١٤٠.

فـإن غـارت الغـدران في صحن وجنتي ... فـلا غـرو منـه لم يـزل وابـل يهمي

وفي النسخة ب لم يزل كان قادراً.

الفصل الثالث
في التقديم والتأخير

وفيه أبحاث:

البحث الأول: في فائدتهما:

إذا قُدّم اللّفظُ على غيره/[٤١ أ] فإما أن يكـون في النّية مؤخـراً، كخبر المبتدأ إذا قدم عليه، والمفعول على الفاعل.

وإما أن لا يكون على نيّة التأخير، ولكن على أن يُنقل الشيءُ من حكم إلى حكم آخـر، مثالـه: أن تَذكـر اسمين كـل واحـد منهمـا يصلح أن يكـون مبتـدأ والآخر خبـراً، فتقدم هـذا تارة وذاك أخـرى، كقولنك: زيـدٌ المنـطلقُ وعكسه.

قال سيبويه[١]: عندما يذكـر الفاعـل والمفعول: كـأنهم يُقدّمـون الذي بيـانـه أهم، وهم ببيـانـه أعنى، وإن كـانـا معـاً يهمّـانهم، مثـالـه، إذا أرادوا الإخبار عن قتْل شخص خـارجيّ لا من حيث هو شخص معيّن، قـالوا: قتـل الخـارجيَّ زيـدٌ، وإذا صـدر عن بعض الفضـلاء قبيحـة وأرادوا الإخبـار عن ذلـك، قدمـوا اسمَه على فعلِه؛ لأن ذكـره أوّلاً ثم نسبة الفعـل إليه أوْقـعُ في النفوس من العكس، فكان عند المخبِر أهمّ[٢].

ولنذكر ما يهمّ تقديمه ومالا يهمّ في الاستفهام والخبر والنفي.

---

(١) «هو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألّف كتابه الذي سماه قـرآن النحو، وعقـد أبوابـه بلفظه ولفظ الخليل» المزهر ٢/ ٤٠٥ السيوطي.

(٢) قال سيبويه: «كأنهم إنمـا يقدمـون الذي بيـانه أهمّ لهم، وهم ببيـانه أعنى، وإن كـانا جميعـاً يهمّانهم» الكتاب ١/ ١٤، ٥ظ.

البحث الثاني: في التقديم والتأخير في الاستفهام:

المذكور عقيب حرف الاستفهام إما الفعل أو الاسم.

فإن كان الأول، كان هو المشكوك في وجوده، والمسئول عن معرفته، مثاله قولك: أبَنَى زيدٌ داره؟ فإن السؤال واقع عن وجود البناء، والشك في وجوده.

وإن كان الثاني، فالسؤال واقع عن تعيين الفاعل، كقولك: أأنت بنيْتَ هذه الدار؟.

ثم الاستفهام قد يجيء للإنكار تارة، وللتقرير أخرى، والحال فيهما ما ذكرناه.

أما الإنكار فكقوله تعالى: ﴿**أفأصْفَاكُمْ ربّكُمْ بالبنين؟**﴾[3] ﴿**أصطفى البنات على البنين؟**﴾[4] والإنكار هاهنا للفعل، فإذا قُدّم الاسم، كان الإنكار للفاعل، كقولك لمن انتحل شعراً: أأنت قلْتَ هذا الشعر؟.

وأما التقرير، فكقوله تعالى: ﴿**أخَرَقْتَها لتُغْرقَ أهْلَها؟**﴾[5] ﴿**أقتلتَ نفْساً زكيّةً بِغَيْرِ نفْسٍ؟**﴾[6] فإن المقصود تقرير الخرْق والقتل عليه تمهيداً لتوجه اللوم إليه.

/[41 ب] وأما تقديم الاسم، فكقولك: أأنت الذي قتلت زيداً؟ فإنه سؤال على سبيل التقرير لتعيينه للقتل.

واعلم أن حال المفعول فيما ذكرنا كحال الفاعل، فإذا قدمت المفعول توجّه الإنكار إلى كونه بمثابة أن يوقع به مثل هذا الفعل، ولذلك

---

(3) الإسراء 40.

(4) الصافات 153.

(5) الكهف 71.

(6) الكهف 74.

قـدم في قولـه تعالى: ﴿قـل أغيْرَ اللّهِ أتّخـذُ وَلِيّاً﴾؟[7] وقـولـه: ﴿أغيـر اللّهِ تدعُون﴾؟[8] وقوله: ﴿أبشَراً منّا واحداً نتّبِعُه؟﴾[9].

البحث الثالث: في التقديم والتأخير في حرف النفي:

إذا أدخلتـه على الفعل، كقـولـك: مـا ضـربتُ زيـداً، كنت قـد نفيت فعـلاً لم يثبت أنّه فُعـل؛ لأن نفيك لضـرب زيد عن نفسـك لا يقتضي وقـوع الضرب به ولا نفيـه عنه؛ لأن نفي الخـاص لا يدل على نفي العـام ولا على ثبوته.

وإذا أدخلته على الاسم[10] كقولك: ما أنـا ضربت زيـداً فُهم من ذلك أنه وقع به الضرب، وكـان القصد نفي كـونك أنت الضـارب، والشاهـد بهذه الفروق هو الذوق السليم.

البحث الـرابع: في التقـديم والتأخيـر في الخبر المثبت والمنفي: هـو كالتقديم والتأخير في الاستفهام.

فـإنـك إذا قـدمت الاسم، فقلت: زيـد قـد فَعل، اقتضى أن يكـون القصـد إلى الفاعل، إمـا لتخصيص الفعل بـه، كقولـك: أنـا كتبتُ في معنى هذا الأمر، تريد أنك اختصصت بذلك دون غيرك.

وإمـا لأجـل أن تقـديم ذكـر المحـدث عنـه آكـد لإثبـات ذلـك الفعـل لـه[11]، كقولهم: فـلانٌ يُعطي الجـزيل، فـلا يقصد الحصْـر؛ بل أن يتحقق عنـد السامـع أن إعطاء الجـزيل دأبُـه؛ وبيان ذلـك: أنك لمـا ذكـرت الاسم المحـدّثَ عنه، والاسم لا يعـرى عن العوامـل إلا لحـديث قـد نـوى إسنـاده

---

(7) الأنعام ٤٠.

(8) الأنعام ١٤.

(19) القمر ٢٤.

(10) دلائل الإعجاز ٩١.

(11) دلائل الإعجاز ٩٩.

إليه، فإذا قلت: عبدالله، فقد استشعرت بأنك تريد الحديث عنه، فيحصل شوق إلى معرفة ذلك، فإذا أفدته ذلك، قبله الذهن/[٤٢ أ] قبول العاشق لمعشوقه، فيكون ذلك أبلغ في التحقيق ونفي الشبهة.

وإنْ قدمت الفعل اقتضى أن يكون القصد إلى ذكر الفعل، كقوله تعالى: ﴿**وقضى ربُّكَ ألّا تعبُدُوا إلّا إيّاه**﴾[١٢] فإن القصد هاهنا إلى ذكر القضاء ونسبته إلى الله تعالى.

ويقرب من ذلك حكم المنفيّ، كقولك: أنت لا تحسن هذا الفعل، أو لا تُحْسن أنت هذا الفعل[١٣].

البحث الخامس: في تقديم حرف السلب على العموم وتأخره عنه:

أما الأول: فإذا قدمت حرف السلب على صيغة العموم، فقلت: ما أفعل كلّ كذا، كان سلباً للعموم، وذلك لا يناقضه الإثبات الخاص، حتى لو قلت وأفعل بعضه، لم يكن تناقضاً.

أما إذا قدمْت صيغة العموم على السلب، فقلت: كلّ كذا ما أفعله، فُهم منه عمومُ السلب، وحينئذ يناقضه قولك: وأفعل بعضَه في العرف، وعلى هذا يظهر الفرق بين الرفع والنصب في قول أبي النجم[١٤]:

قد أصبحتْ أمُّ الخيارِ تدّعِي ... عليّ ذنْباً كلّه لم أصْنَعِ[١٥]

فإن نصْب «كلّ» يقتضي سلب العموم، ورفعه يقتضي عموم السلب.

---

(١٢) الإسراء ٢٣.

(١٣) فإذا قلت: «أنت لا تحسن هذا، كان أشد لنفي إحسان ذلك من أن تقول لا تحسن هذا، ويكون الكلام في الأول مع من هو أشد إعجاباً بنفسه، وأعرض دعوى في أنه يحسن» الدلائل ١٠٦.

(١٤) هو الفضل بن قدامة العجلي، انظر ترجمته في الشعر والشعراء ٦٠٣، الأغاني ٧٣/٩.

(١٥) لأن نصب كل يفيد تأخيرها عن الفعل المنفي، أي: لم أصنع كلّه. بخلاف الرفع فلا يفيد إلا التقديم على الفعل المنفي، أي: كلُّه لم أصنع.

البحث السادس: استيفاء أقسام التقديم والتأخير:

واعلم أنه قد يختلف حال الكلام في التقديم والتأخير اختلافاً كثيراً، وقد يدقّ الفرق بين تقديم الكلمة وتأخيرها، كقوله تعالى: **﴿وجعلوا لله شركاء الجنّ﴾**[16] فبتقديم شركاء يُفهم أنه ما كان ينبغي أن يكون له شريك لامن الجن ولا من غيرهم، والذم إنما يتوجه إليهم؛ لإثباتهم شركاء.

أما لو قُدم الجن لم يُفهم إلاّ أنهم عبدوا الجن، وأما إنكار المعبود الثاني فغير مفهوم منه، ويكون الذم إنما توجه عليهم لعبادة الجن دون غيرهم.

فينبغي أن تلْمح الفروق في تقديم بعضِ الكلام على بعض وتأخيره. ولنذكر مواضع حسن التقديم والتأخير.

أما التقديم ففي مواضع عشرة[17]:

الأول: أن تكون الحاجة إلى ذكره أتمّ، والعلم به أهمّ، كقوله تعالى: **﴿وجعلوا لله شركاء الجنَّ﴾** فإن تقديم الشركاء أولى؛ لأجل أن المقصود التوبيخ على جعل مطلق الشريك، بخلاف ما لو أُخّر.

الثاني: أن يكون التأخير أليق/[٤٢ ب] باتصال الكلام، كقوله تعالى: **﴿وتغشَى وجوهَهُم النّارُ﴾**[18] فهذا أليق بما قبله وبما بعده من تأخير المفعول.

الثالث: أن يكون الأولُ أعرفَ من الثاني، كتقديم المبتدأ على

(١٦) الأنعام ١٠٠.

(١٧) في نهاية الإيجاز نقلاً عن علي بن عيسى أن التقديم والتأخير يحسن من وجوه ستة، ص ١٢٧، وفي حسن التوسل، إن التقديم يحسن في مواضع وذكر ستة مواضع ص ١٥٦.

(١٨) إبراهيم ٥٠.

الخبر، والموصوف على الصفة، فينبغي أن تبتدىء في قولك: «زيد قائم» بزيد؛ لتتوصّلَ النفسُ بذكر ما يُعرف إلى الإخبار عنه بما لا يُعرف، فتقع الفائدة حينئذ على حدّها وفي مرتبتها.

قال الإمام: «ولا ينتقض هذا بتقديم الفعل؛ لأن الفعل لفظ دال على ثبوت معنى لموضوع معين في زمان معين من الثلاثة، والإسناد كالجزء الذاتي لمفهوم الفعل، والإسناد أمر إضافي، والعقل إذا حصل له الشعور بالإضافة، فلو توقف هناك ولم ينتقل إلى ما إليه الإسناد، كانت الإضافة مستقلة بالمفهومية وهو محال. وإن انتقل إلى ما أسند إليه الفعل، فذلك الشيء هو الفاعل، فإذن من ضرورة الإسناد فهم المسند إليه، وإذا وجب[19] هذا الترتيب في الذهن، وجب أيضاً في الألفاظ لمطابقة ما في الذهن لما في الخارج»[20]. وأقول: قد سبق أن الفعل إذا قدم في الإِخْبار، كان لأجل أنّ ذكره أهم؛ لأن المقصود من ذكر الجملة الفعلية لا ذات الفعل؛ بل ذكر الحدث المخصوص في الزمان المعيّن، ونسبته إلى الفاعل، وإذا كان كذلك، جاز أن يقال: إن تقديم الأعرف يكون واجباً، إذا[21] كانت الكلمتان متساويتين في الاهتمام بذكرهما.

وأما إذا كان ذكر أحدهما أهمّ، كان تقديمه أولى.

الرابع: تقديم الحروف التي لها صدر الكلام؛ كحروف الاستفهام والنفي والنهي.

قال الإمام: «تحقيقه أن الاستفهام طلب فهم الشيء، وهو حالة إضافيّة إذا أدركها العقل انتقل منها إلى معروضها، وإذا أوجب أن ينتقل منها إلى معروضها، وجب أن يكون في اللفظ كذلك، فيقدم ما يدلّ على

---

(١٩) أوجب في النسخة ب.

(٢٠) نهاية الإيجاز ص ١٢٨، والإمام هو فخر الدين الرازي.

(٢١) وإذا في ب.

الإضافة، فيلحق بما يدل على معروضها»[٢٢].

وأقول: يمكن أيضاً أن يكون تقديم/[٤٣ أ] هذه الحروف من باب ما كان أهم؛ وذلك أن الاستفهام والنفي والنهي معان معقولة، وهي المطلوبة من الجملة الداخلة عليها بالذات، فكانت أهم، فكانت أوْلى بتقديم الذكر.

وكذلك الأدوات الدالة على أحوال النسب بين أجزاء الكلام، كإنّ وأخواتها وكان وأخواتها، وعسى وبابها، ونعْم وبئس، فإنها تقدّم؛ لأن معانيها هي المقصودة بالقصد الأول من الجمل الداخلة عليها.

الخامس: تقديم الكلّيّ على جزئياته؛ لأن الكلي أعرف عند العقل[٢٣]، وتقديم الأعرف أوْلى.

السادس: تقديم الدليل على المدلول.

السابع: تقديم الناقص على تمامه؛ كتقديم الموصول على الصلة[٢٤]، والمضاف على المضاف إليه؛ لأن تمام الشيء لا يتقدم عليه.

الثامن: تقديم الأسماء المتبوعة على توابعها؛ لأن التابع لا يتقدم متبوعه.

التاسع: تقديم المظهر على ضميره؛ لأن الحاجة إلى الضمير إنما هو لإلحاق أمر من الأمور بذي الضمير، وذلك يتأخر عن تحقّق ذي الضمير في

---

(٢٢) نهاية الإيجاز بتصرف ١٢٨، ٢٩ظ.

(٢٣) ولذلك كان الوجود أعرف الأمور عند العقل لأنه أعمّها.

(٢٤) قال الفخر الرازي: ومما يتعين للتأخير: ص ١٢٩.

تمام الاسم كالصلة والمضاف إليه.

التوابع.

تقديم المضمر على المظهر في بعض الأحوال.

العقل، فيجب كذلك في الوضع، كقولك: ضرب زيدٌ غلامَه، وقضى زيدٌ حاجته.

العاشر: تقديم الفاعل على المفعولات، وما في حكمها؛ لأنها أمور تلحق الفاعل بالنسبة إلى فعله، فكانت متأخرة عنه.

وإذا علمت من ذلك ما يجب تقديمه، علمت من ذلك ما يجب تأخيره.

الفصل الرابع
في الفصل والوصل

حاصل معرفة الفصْل والوصْل يعود إلى معرفة مواضع العطف والاستئناف والتهدّي إلى كيفيّة إيقاع حروف العطف ومواقعها.

وهو باب عظيم عند البلغاء، ولذلك جعله بعضهم حدّ البلاغة فقال[١]: ـ إذا سئل عن معناها ـ : إنها معرفة الفصل والوصل، وما ذاك[٢] إلا لغموضه، وكون معرفته مؤدية للمعاني كما هي، وذلك هو المقصود من علم البلاغة ولنحقّق الكلام فيه في بحثين:

البحث الأول: فائدة العطف التشريك في الحكم بين المعطوف والمعطوف عليه، فمن أدواته ما لا يفيد[٣] إلا هذا القدر؛ كالواو. ومنها ما يدل على زيادة عليه؛ /[٤٣ ب] كالفاء وثُم، فإنهما يدلّان على التعقيب، وإن كانت ثم تختص بالتراخي، ومثل أوْ، فإنها تدل على الترديد. فلنبحث عن مطلق الاشتراك فنقول:

العطف إما أن يكون في المفردات، وهو يقتضي التشريك في الإعراب.

وإما في الجمل، وحينئذ فالجملة إن كانت في قوة المفرد، كقولك: مررت برجل خَلْقه حسن وخُلقه قبيح، كانت الشركة في الأعراب أيضاً حاصلة؛ لكون الجملتين وصفين للنكرة.

---

(١) انظر البيان والتبيين ١/٢٠.

(٢) ما ذاك من ب.

(٣) فمن أدواته ما يفيد إلا هذا القدر في ب.

وإن لم يكن[٤] فـإمـا أن يكــون إحــدى الجملتين متعلقــة لــذاتهــا بـالأخرى، أو لا يكـون. فإن لم يكن، فـإما أن يكـون بينهما منـاسبـة، أو لا يكون، فهذه أقسام ثلاثة:

أمـا الأول: فأن يكـون إحدى الجملتين تـأكـيـداً لـلأخـرى، كقـولـه تعالى: ﴿ألم ذلكَ الكتابُ لا ريبَ فيه﴾[٥] فقوله: «لا ريب» تـأكيد لـلأول، ولا يجـوز إدخال العـاطف عليـه؛ لأن التأكيد يتعلق بـالمؤكَّـد، فيستغني عن لفظ يدل على التعلّق.

الثـاني: أن لا يكون بينهمـا مناسبـة أصـلاً، وهـاهنـا أيضـاً يجب تـرك العاطف؛ لأن العطف يستلزم المناسبة، فيلزم من عدمها عدمه[٦].

الثـالث: أن تصدق المنـاسبة بينهمـا مع عـدم التعلق الذاتي، فهـاهنـا يجب ذكر العاطف.

ثم إما أن يكون المخبر عنه في الجملتين شيئين أو شيئاً واحداً:

أمـا الأول: فالمنـاسبـة إمـا بين المخبـر بهمـا فقط[٧]، أو بين المخبـر عنهما فقط[٨]، أو بينهما معاً[٩].

والأول والثـاني يختـلّ معهمـا النـظم؛ لأنـك إذا قلت: زيـدٌ طـويـل، والخليفة قصير، مع عدم تعلّق حديث زيد بحـديث الخليفة اختـلّ، وكذلـك

(٤) أي: وإن لم يكن العطف في الجمل في قوة المفرد.

(٥) البقرة ١، ٢.

(٦) استشهد علماء البلاغة في هذا الموضع بقول أبي تمام:

لا والـذي هـو عـالـم أن النـوى ... صبِـرٌ وأنّ أبـا الحسين كـريـم

ديوانه ٣/٢٩ إذ لا مناسبة بين مرارة النوى وكرم أبي الحسين.

وكأن تقول: زار محمد صديقه، النجوم لا معة.

(٧) مثل زيد طويل والخليفة قصير عندما لا يكون لحديث زيد تعلق بحديث الخليفة.

(٨) مثل زيد طويل وعمرو شاعر؛ لأنه لا مناسبة بين طول القامة وبين الشعر.

(٩) مثل زيد كاتب وعمر ناثر، أو زيد طويل وعمرو قصير.

لـو قلت: زيد طـويل وعمـرو شاعـر اختلّ أيضـاً؛ لعدم المنـاسبـة بين طـول القامة والشعر، فتعيّن أن الواجب حصول المناسبتين.

فـأما إن كـان المخبَر عنـه فيهمـا شيئـاً واحـداً، كقـولـك: فـلان يضـرّ وينفـع، ويأمـر ويَنهى، ونحوه، تعيّن دخـول العـاطف؛ لأنـك إذا قلت: هـو يضرّ وينفع، أفـاد العاطف أنـه هو/[٢٤ أ] الجـامع[١٠] لهمـا، بخلاف مـا لو حذفته.

البحث الثاني: في عطف الجُمَل على الجمل:

إنـه كما يجـوز أن يُعطف جملةٌ على جملة، كـذلك يجـوز أن يُعـطف مجموعُ جمل على مجموع جمل أخر.

وبيان ذلك ظـاهر في صـورة الشرط والجـزاء، فإنّـه قد يُجعـل مجموع جملتين شـرطـاً، ومجمـوعُ أخْـرَيَيْن جـزاءً، كقـولـه تعـالى: ﴿**ومَنْ يُشَـاقِق الرسولَ من بعدِ ما تبيّن لـه الهُدَى ويتّبـعْ غيرَ سبيـلِ المؤمنين نُولّـه ما تـولّى ونُصْلِه جهنّم**﴾[١١] فـإذا ظهـر ذلـك في الشـرط والجـزاء، ظهـر مثله في العطف، كقوله تعالى: ﴿**وما كنتَ بجانبِ الغـربِيّ إذْ قضيْنا إلى مـوسَى الأمرَ وماكُنْتَ من الشـاهدين، ولكنّـا أنشأْنـا قُرونـاً فتطاولَ عليهم العُمُـرُ وما كنتَ ثاوياً في أهل مَدْين**﴾[١٢] الآية. فقولـه: «وما كنت ثـاوياً عـطف على قولـه: «ومـا كنت من الشـاهـدين» مـع مـا يتعلّق بهـا إذ لـو عـطفتهـا على مـا يليهـا لدخلت في حكم لكن، فصار التقـدير: لكنـك ما كنت ثـاوياً، وهـو باطـل، ولـو عطفتهـا على «وما كنت من الشـاهدين» دون «ولكنّـا أنشأنـا»، لكـان في ذلك إزالة لكن عن موضعها وهو غير جائز.

---

(١٠) الجاعل في النسخة ب.

(١١) النساء ١١٥.

(١٢) القصص ٤٥. وتمـام الآية: ﴿**ومـا كنت ثاويـاً في أهل مـدين تتلو عليهم آيـاتنـا ولكنـا كنـا مرسلين**﴾.

الفصل الخامس
في الحذف والإضمار

وفيه بحثان:

البحث الأول: في حذف المفعول، والمبتدأ والخبر.

أما الأول: فلأن الفعل المتعدّي قد يكون المقصود من ذكره مجرد نسبته إلى الفاعل، وحينئذ يكون حاله كحال غير المتعدّي في عدم الحاجة إلى المفعول والتعرض له، كقولك: فلان يحِلّ ويَعْقد، ويأمر ويَنهي، ويضرّ وينفع، وقوله تعالى: ﴿**هل يَسْتَوي الذين يعلَمون والذين لا يعلمون**﴾[1] وقد يلاحظ مع ذلك في ذكره النسبة إلى المفعول، إلا أن المفعول يحذف لأحد غرضين:

أحدهما: أن يكون المقصود ذكره، لكن يحذف لإيهام التعظيم، والتفخيم ونحو ذلك[2] كقول البحتري:

شَجْوُ حسّاده وغيْظُ عِداهُ   أن يَرى مُبْصِرٌ ويَسْمَعَ واعٍ [3]

فإن المرئيّ والمسموع لا بدّ أن يكون شيئاً معيّناً فحذفه، وأوْهم بذلك أن كلّ ما يُرى منه ويُسمع عظيم، وإنه فضيلة/[٤٤ ب] تشجو حسّاده، وتَغيظ عِداه، ومن هاهنا تحصل البلاغة، ولو أبرز المفعول المعيّن لما حصل ذلك التعظيم الوهميّ؛ لتخصيص الذهن للتعظيم بالمفعول

(١) الزمر آية ٩.

(٢) والتفخيم ونحو ذلك ساقطة من النسخة ب.

(٣) البيت قاله البحتري في مدح المعتز بالله والتعريض بالمستعين بالله بن المعتصم من قصيدة مطلعها:

لك عهد لدى غير مضيع   بات شوقي طوعاً له ونزاعي

والشجو: الحزن، وعداه: أعداؤه. ديوانه ٢/١٢٤٤.

المذكور دون ما عداه.

وقد يكون ذكر المفعول أَوْلى وأبلغ؛ وذلك إذا كان أمراً عظيماً بديعاً، كقوله:

ولو شئتُ أنْ أبكي دماً لبكيتُه[٤] ....

لمّا كان بكاء الدم أمر عجيباً، كان ذكره أَوْلى.

الثاني: أن يحذف للعلم به، كقول عليّ عليه السلام: «إنْ أشْنَقَ لها خَرمَ» أي: أنفها، «وإن أسلسَ لها» أي: قيادها «تقحّم»[٥]، أي: المهالك.

الثالث: أن يُضمر على شريطة التفسير، كقوله: أكرمني وأكرمتُ عبدالله[٦]. وأما المبتدأ والخبر، فقد ورد حذف كلّ واحد منهما تارة.

أما المبتدأ، فكقوله تعالى: ﴿سورةٌ أنزلْناها﴾[٧].

وأما الخبر، فكقوله تعالى: ﴿طاعةٌ وقولٌ معْروف﴾[٨] وأمثاله كثير.

وقد حكم بحسن ذلك البلغاء، قال عبد القاهر[٩] ـ رحمه الله ـ: [ما

---

(٤) والشطرة الثانية من البيت: عليه ولكن ساحة الصبر أوسع.

والبيت لأبي يعقوب اسحق بن حسان الخريمي شاعر عباسي من الموالي قاله في رثاء ابن الهيذام عامر بن عماره من قصيدة مطلعها:

قضى وطرا منك الحبيب المودع — وحل الذي لا يستطاع فيدفع

ـ ديوان المعاني ٢/١٧٥، وديوان الخريمي ٤٣، وترجمته في الشعر والشعراء ٢/٨٥٣.

(٥) من خطبته المعروفة بالشقشقية، تقحّم: القى بنفسه إلى التهلكة.

اشنق البعير: كفه بزمامه، خرم: قطع، أسلس: أرخى. نهج البلاغة ٤٨.

(٦) وهو ما يعرف عند النحويين بالتنازع، أي يتنازع عاملان معمولاً واحداً.

(٧) سورة النور آية ١. أي: هذه سورة أنزلناها.

(٨) سورة محمد آية ٢١. أي: طاعة وقول معروف أولى لكم من هذه الأيمان الكاذبة، والغرض البلاغي من الحذف: الاختصار، والاحتراز عن العبث، واختبار مقدار تنبه السامع.

(٩) دلائل الإعجاز ١١٧.

من اسم حُذف في الحال التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وجدتَه أحسنَ مِن ذِكره]، وحسنها في المواضع التي يفهم عنها البلاغة.

البحث الثاني: في الإيجاز:

وحدّه: التعبير عن الغرض بأقلّ ما يمكن من الحروف من غير إخلال، مثاله، قوله تعالى: **﴿ولكمْ في القِصاصِ حَياةٌ﴾**[10]. وقد كان المثلُ يُضرب بقولهم: «القتْل أنْفَى للقتْل» إلى أن وردت[11] هذه الآية.

والترجيح للآية ظاهر من وجهين:[12]:

أحدهما: أنه أوجز، فإن حروفها عشرة، وحروف المثل أربعة عشر.

الثاني: إن القتل قصاصاً لا ينفي القتل ظلماً؛ من حيث إنه قتل؛ بل من حيث إنه قصاص، وهذه الجهة غير معتبرة في كلامهم، ولها ترجيحات أُخَر لا نطوّل بذكرها..

ومن ذلك قول علي عليه السلام: «قيمة كل امرىء ما يحسنه»[13]. وقوله: «المرء عدوّ لما جهله»[14]، وقوله: «الجزعُ أتْعب من الصبر»[15]، وقوله: «تخففوا تلْحقُوا»[16].

---

(١٠) البقرة ١٧٩.

(١١) «أوردت» في النسخة ب.

(١٢) انظر في المقارنة بين الآية الكريمة وبين قول المعرب «القتل أنفى للقتل» كتاب البلاغة للمبرد ص ٦٧، والنكت للرماني ص ٧١.

(١٣) من حكم أمير المؤمنين عليه السلام، قال الرضي: وهي الكلمة التي لا توزن بها حكمة، ولا تقرن إليها كلمة. نهج البلاغة ٤٨٢.

(١٤) في نهج البلاغة ص ٥٠١ وقال عليه السلام: «الناس أعداء ما جهلوا».

(١٥) في نهج البلاغة ص ٥٠٢ وقال عليه السلام: «من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع».

(١٦) نهج البلاغة ص ٦٢. أي: من يريد اللحاق بأصحاب الأعمال الصالحة، عليه أن يتخفف من أثقال الشهوات وتحصيل اللذات، فيلحق بالذين فازوا بعقبى الدار.

الفصل (السادس)*
في أحكام إنّ وإنّما وما في حكمهما

وفيه أبحاث:

البحث الأول: في فوائد/[٤٥ أ] إنّ، وهي أربع:

الأولى: إنها قد تربط إحدى الجملتين بالأخرى، فيحصل النظم، كقوله تعالى: ﴿**يا أيّها الناسُ إنّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ**﴾(١) وقوله تعالى: ﴿**اتّقوا رَّبكُمْ إنّ زَلْزَلَة الساعةِ شيءٌ عظيمٌ**﴾(٢). وقول علي عليه السلام: «أيها الناس إنه لا يَسْتغنِي الرجلُ ـ وإن كان ذا مالٍ ـ عن عترته»(٣)، وقوله: «عبادَ الله إنّ مِن أحب عباد الله إليه عبْداً أعانه اللهُ على نفسِه». فلو أسقطت إن في هذه المواضع لزالت المناسبة التي كانت بين الجملتين معها.

واعلم أنك متى أسقطْت إنّ من الجملة الثانية، فإنْ كانت إنّما ذكرت لتعليل الحكم عن الجملة الأولى، فلا بدّ أن يُعوّض عنها إلغاء، كقوله: ﴿**إنّ زلزلةَ الساعةِ شيءٌ عظيم**﴾(٤).

[الفائدة](٥) الثانية: إنك تجد لدخولها على ضمير الشأن المعقَّب بالجملة الشرطية وغيرها من الحسن والمزية ما لم تجده عند عدمها، كقوله

---

* الفصل الثالث من أ، ب وهو خطأ ظاهر.

(١) سورة فاطر آية ٥.

(٢) سورة الحج آية ١.

(٣) في ب «عن عشيرته» نهج البلاغة ٦٥.

(٤) ومعنى ذلك أن تقول في غير القرآن. فزلزلة الساعة شيء عظيم.

(٥) الزيادة من النسخة ب.

تعالى: ﴿إنّه مَنْ يَتّقِ ويَصْبِرْ﴾[٦] وقول علي عليه السلام: «أيّها الناس إنه لا يستغني الرجل» كما ذكرنا.

[الفائدة][٧] الثالثة: إنها تهيىء النكرة لأنه يحدّث عنها، كقوله عليه السلام: إن من أحب عباد الله إلى الله عبداً كما مر، ولو أسقطتها لسقط الحسن.

وقد يسقط المعنى أصلاً، كما لو أسقطتها من قول الشاعر[٨]:

إنّ شِواءً ونشْوةً وخَبَبَ البازلِ الأمُونِ

الفائدة الرابعة: إذا دخلت على الجملة، فقد تُغني عن الخبر، كقولك: إنّ مالاً وإنّ ولداً، على تقدير: إنّ لهم مالاً، وكقول الأعشى[٩]:

إنّ محلاًّ وإنَّ مرتَحَلاً وإنّ في السفْر إذْ مضَوْا مهَلا

والحق أنها لتأكيد النسبة.

وإذا كان الخبر تامّاً ليس للمخاطَب ظنّ أو وهْم في خلافه، فلا حاجة إلى «إنّ» هناك، ولذلك تزداد حسناً إذا كان الخبر أمراً يبعد مثله.

وقد تُجمع مع اللام للتأكيد في خبرها، إذا كانت في جواب المنْكِر؛ لشدة الحاجة هناك إلى التأكيد.

البحث الثاني: في فائدة إنّما:

/[٤٥ ب] اتفق جمهور النحاة على أنها للحصْر، وهو المفهوم منها، مثاله قول علي عليه السلام: «وإنما سُمّيت الشبهةُ شُبهةً لأنها تُشْبه

---

(٦) سورة يوسف ٩٠.

(٧) سقطت هذه الكلمة من أ، ب.

(٨) قائل البيت سُلْمِيّ بن ربيعة بن زبّان. الحماسة لأبي تمام ١/٥٦٨ ط السعودية. البازل: الناقة التي استكملت تسع سنين فتناهت قوتها، والأمون: الموثقة الخلق.

(٩) مطلع قصيدة للأعشى بعنوان: الشعر يستنزل الكريم، ديوانه ٢٣٣ .

الحقّ»(١٠)، وكقوله عليه السلام: «إنّا لمْ نُحكّم الرجالَ، وإنّما حكّمْنا القرآنَ، وهذا القرآن إنّما هو خطّهُ مستورٌ بين الدفّتيْن لاينطق بلسانٍ. . . ، وإنما ينطق عنْه الرجال»(١١) ومراده بالحصر في هذه الصور ظاهر.

وقال بعضهم: إنها ليست للحصر محتجّاً بقوله تعالى: ﴿إنّما المؤمنونَ الذين إذا ذُكر اللهُ وَجِلتْ قلوبُهم﴾(١٢) وبقوله: ﴿إنّما المؤمنون إخْوةٌ﴾(١٣) مع أن الإجماع على أن مَنْ لم يُوجل من ذكر الله قد يكون مؤمناً، وإن الأخوة غير مُنْحَصرةٍ في المؤمنين.

والجواب: إن منشأ الشك هو الغفلة عن ضابط الحصر:

وضابطه: إن الجزء الأخير من الكلام الوارد عقيب إنما هو المخصوص بحصر الحكم فيه، سواء كان هو الموضوع كقولك: إنما قام زيد، فإن المقصود حصر القيام في زيد، أو كان هو المحمول، كقوله تعالى: ﴿إنما أنا بَشَر مثْلُكم﴾(١٤) فإن المقصود حصر النبي في البشرية ونفي كونه غير بشر، وإذا تبين ذلك، ظهر أنها في الصورتين المذكورتين تفيد الحصر:

أما في الأولى؛ فلأنه يجوز أن يكون المقصود من الإيمان هناك أقوى مراتبه، وهو الإخلاص، وحينئذ يتبيّن أن المؤمنين منحصرون في الوجلين من ذكر الله.

وأما في الثانية؛ فلأن المؤمنين منحصرون في صفة الأخوّة في الدين، كما هو المقصود من الأخوة هاهنا.

---

(١٠) نهج البلاغة ٨١.

(١١) من خطبته في التحكيم وذلك بعد سماعه لأمر الحكيمن. نهج البلاغة ١٨٢. ودفّتا المصحف: جانباه اللذان يكنفانه.

(١٢) الأنفال آية ٢.

(١٣) سورة الحجرات آية ١٠.

(١٤) سورة فصلت آية ٦.

واعلم أنه قد يستعمل في مفهومها عبارتان أخريان:

إحداهما: قولك: جاءني زيدٌ لا عمروٌ، وهو أضعف منها؛ لأنه يفيد حصر المجيء في زيد بالنسبة إلى من أخرجه حرف النفي.

الثاني: ما جاءني إلّا زيدٌ، ومفهومها مفهوم إنما في الحصر والتخصيص، كقوله تعالى: ﴿ ما قلتُ لهم إلّا ما أمرْتني به﴾[١٥].

وفرّق الإمام[١٦] بينهما فقال: [إن دلالة إنما على نفي غير المذكور بالالتزام، ودلالة ما دالاًّ على نفي/[٤٦ أ] الغير بالمطابقة، فكانت أقوى في ذلك من دلالة إنما، ولذلك يصح أن يقال: إنما زيد قائم لا قاعد، ولا يصح أن يقال: ما زيد إلا قائم لا قاعد].

وأقول: إن صحّ ما ادّعاه من عدم الصحة في الصورة الثانية، كان للمانع أن يمنع تعليل ذلك المنع بكوْن «ما وإلّا» دالّة على نفي الغير بالمطابقة، ويصرف ذلك القبح إلى قرب «لا» المقتضية لنفي الغير إلى «إلّا» المقتضية للحصْر، وبُعْدها عن «إنما»، فكان التأكيد عقيب إنما حسناً؛ لطول الزمان بينهما، على أنّا لا نسلّم عدم الصحة هاهنا؛ بل قد يورد للتأكيد، وإن كان عقيب «إنما» أحسن.

وقد يقام «غير» مقام إلا فيفيد الحصر، وقد لا يكون كذلك، كقولك: ما جاءني غيرُ زيد، تريد نفي مجيء الغير فقط، دون إثبات زيد.

البحث الثالث: إنّ «ما وإلا» إذا دخلت على الجملة، كان المقصود بالحصر فيه هو ما يلي إلا بعدها، سواء كان مرفوعاً كقولك: ما ضَرب زيداً

---

(١٥) المائدة ١١٧.

(١٦) قال الإمام فخر الدين الرازي إن «إنما» تفيد النفي عن طريق اللزم.

«وما والا» تفيد النفي بأصل الوضع، فلا يصح أن يقال: ما زيد إلا قائم لا قاعد، ويصح أن يقال: إنما زيد قائم لا قاعد. نهاية الإيجاز ص ١٥٤، ١٥٥.

إلا عمرٌو، أو منصوباً كقولك: ما ضرب زيدٌ إلا عمراً، وهكذا إن كان المنصوب حالاً أو ظرفاً.

فإن تأخر مثلاً الفاعل والمفعول معاً عن إلا، فالمقصود هو ما يليها أيضاً، كقولك: ما ضرب إلا زيدٌ عمراً.

وكذلك إذا قدمت المفعول على الفاعل فهو المقصود[١٧].

وهكذا حكم المفعولين، كقولك: لم اكسُ إلاّ زيداً جُبةً، فالذي يلي إلا هو المقصود بالتخصيص.

وهكذا المبتدأ والخبر أيهما أخرته عن إلا فهو المراد بالتخصيص، كقولك: ما زيدٌ إلاّ قائم، فالمراد تخصيص هيئة القيام دون سائر الأحوال، أو ما القائم إلاّ زيد، فهو تخصيص لزيد دون غيره.

وأما تحقيق ذلك في إنما:

فأما في الفاعل والمفعول، فأيهما أخّرتَه عن صاحبه فهو المقصود أيضاً، كقولك: إنما ضرب عمراً زيدٌ/[٤٦ ب]، فالمقصود تخصيص زيد، ومنه قوله تعالى: ﴿**إنّما يخْشَى اللهَ من عبادِهِ العلماءُ**﴾[١٨]. ولو قدم العلماء، لكان المقصود تخصيص خشية الله[١٩].

وكذا الحال في المبتدأ؛ إن تركته على حاله، فالاختصاص للخبر[٢٠]، كقوله تعالى: ﴿**إنّما السبيلُ على الذين يَسْتَأذِنُونَك**﴾[٢١].

وإن أخّرته عن الخبر صار التخصيص له[٢٢]، كقوله تعالى: ﴿**فإنما**

(١٧) مثل: ما ضرب إلا زيداً عمرو.
(١٨) سورة فاطر آية ٢٨.
(١٩) أي حصر العلماء في خشية الله.
(٢٠) أي حصر المبتدأ في الخبر.
(٢١) سورة التوبة آية ٩٣.
(٢٢) أي الاختصاص للمبتدأ.

عليكَ البلاغُ وعَليْنا الحسابُ﴾[٢٣] فإن التخصيصَ في الأول للخبر، وفي الثاني للمبتدأ، هذابحسب المتبادر إلى المفهوم من ذوق العربية، وبالله التوفيق.

---

(٢٣) سورة الرعد آية ٤٠.

القاعدة الثانية
في الخطابة

وفيه أبحاث وخاتمة:

البحث الأول: في حقيقة الخطابة وفائدتها:

الخطابة صناعة يتكلّف فيها الإقناع الممكن للجمهور فيما يراد أن يصدّقوا به.

وقولنا يتكلّف فيها الإقناع: أردنا أنه يتعاطى فيها هذا الفعل المخصوص بأبلغ قصد ليتمّ.

والإقناع الممكن: هو الفعل الذي يُتكلّف، وأردنا به ما يمكن من الإقناع، والخطابة في الإقناع أنجح من غيرها. وفائدتها في تقرير المصالح الجزئية.

وقد تفيد أيضاً تقرير القوانين الكلّية لتلك المصالح؛ كالعقائد الإلّهيّة والقوانين العملية، وهي عظيمة النفع جداً؛ لأن الأحكام الصادقة مما هو عدل وحسن، أتم نفعاً، وأعود على الناس فائدة، وأعم جدوى من أضدادها؛ لأن نوع الإنسان إنما هو مستبقًى بالتشارك، والتشارك يُحوج إلى التعامل والتحاور، وهما مُحوجان إلى أحكام صادقة في الأمور العملية؛ ليثق كلٌّ بصاحبه، وينتظم شمل المصلحة بينهم، وبأضداد الأحكام الصادقة يتشتّت فيحتاج أن تكون هذه الأحكام مقرّرةً في النفوس، متمكّنة من العقائد. والخطابة هي [المتكفّلة][(1)] بحمل الجمهور على التصديق بها،

(1) المتكلفة في النسخة أ.

فإن البرهان[٢] والجدل[٣] وإن قُصد بهما التصديق/[٤٧ أ]، إلا أن الجمهور قاصرون عن درجة البرهان، والجدل وإن كان صناعة ضعيفة بالقياس إلى البرهان، فهو أيضاً يسير الفائدة للعامة، صعب بالقياس إلى فطنهم، وهم عاجزون عن قبوله، والمخاطبة التي يجب أن يتلقاها العاميّ بعاميّته، ينبغي أن تكون من الجنس الذي لا يرتفع عن مقامه ارتفاعاً بعيداً، بل تكون بألفاظ عذبة غير ركيكة عاميّة، ولا متينة ينبو فهمه عن [قبولها][٤]، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وقد أشار التنزيل الإلّهيّ إلى هذه الصناعة في قوله: **﴿أُدْعُ إلى سَبِيلِ ربّكَ بالحكْمةِ وَالموعِظةِ الحَسنةِ وجَادِلْهمْ بالّتي هيَ أحْسَن﴾**[٥] فسبيل ربك: هو الديانة الحقيقيّة، والحكمة: هي البرهان، وذلك لمن يحتمله، والموعظة الحسنة: هي الخطابة، وهي لمن قصر عن درجة البرهان، وجادلهم بالتي هي أحسن، أي بالمشورات المحمودة.

وأخّر الجدلُ عن الصناعتين[٦]؛ لأنهما مصروفتان إلى الفائدة، والمجادلة مصروفة إلى المقاومة. والغرض الأول من المخاطبة: إنما هو الإفادة، والغرض الثاني: هو مجاهدة من ينتصب للمعاندة. فإذن الخطابة

---

(٢) البرهان: الحجة الفاصلة البيّنة، قال تعالى: **﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾** البقرة: ١١١ يقال: برهن يبرهن برهنة: إذا جاء بحجة قاطعة للدد الخصم فهو مبرهن. اللسان مادة برهن.

(٣) الجدل: منهج منطقي بدأ بطريقة سقراط في السؤال والجواب والحلّ، ثم طوره أفلاطون فجعله منهجاً يردّ به الكثير والمتناقض إلى مدركات عقلية متسقة مترابطة، وأقام هيجل فلسفته على منطق الجدل منتقلاً من وضع إلى نقيضه، ثم منهما إلى التأليف بينهما، أي من فكرة ونقيضها إلى فكرة أعلى منها في مراتب الحق، وزعم أن هذه الحركة المنطقية هي نفسها طريقة التاريخ في سيره. الموسوعة العربية الميسرة ٦١٦ دار القلم.

(٤) عن قبوله في النسخة أ.

(٥) سورة النحل آية ١٢٥.

(٦) المراد بالصناعتين. صناعة البرهان، وصناعة الخطابة.

صناعة وافرة النفع في مصالح المدن، وبها تُدبّر[7] العامة وتَنْتظم أحوالُهم.

البحث الثاني: في موضع الخطابة وأجزائها:

وليس للخطابة نظرٌ في موضوع معيّن؛ وذلك لأن العامّة لا يهتدون إلى تمييز بعض الموضوعات عن بعض؛ إذ كان تخصيص الكلام في موضوع معيّن مبني على مبادىء تليق بذلك الموضوع وحده لا يعرفها العاميّ.

ونظر الخطابة بالذات في الجزئيات من أيّ مقولة اتفقت، ولا يخص جزئياً دون آخر؛ بل يقصد بها الإقناع من أي جزئيّ اتفق، على أن لها أن تنظر بالغرض/[٤٧ ب] في الأمور الكلّية من الإلّهيات، والطبيعيات، والخلقيات، والسياسات.

والخطابة لها أصل ومتممات تعين عليها:

أمّا الأصل: فهو القول الذي يُظنّ أنه لذاته يفيد إقناعاً.

وأما المتممات: فجملتها ترجع إلى حرف واحد؛ وهو أنه لما كان الغرض من الخطابة ليس إلا الإقناع، كان كل مقنع ناسب الغرض منها، فهو من متمماتها، والأمور المقنعة إما قولية يراد بها صحة قول آخر؛ كالقول الذي يقصد به الخطيب تقرير فضيلته عند السامعين، أو القول الذي يروم به إثبات أن الشهادة مقنعة، أو كون المعجز حجّة.

وإما شهادة وإما حيلة:

أما الشهادة؛ فإما قولية؛ وإما حاليّة.

أما القولية، فكالاستشهاد بقول نبيّ أو إمام أو حكيم، أو شاعر، وتسمّى شهادة مأثورة. أو الاستشهاد بأقوال قوم يحضرون فيصدّقون قول

---

(٧) تدمر في النسخة ب.

القائل: إن الأمر كان، أو الاستشهاد بشهادة الحاكم، أو السامعين بأن القول مقنع، وتسمى شهادة محصورة.

أما الحاليّة؛ فإما أن تُدرك بالعقل أو بالحسّ.

والأولى فضيلة القائل واشتهاره بالصدق والتمييز.

وأما الحال التي تُدرك بالحسّ؛ فإما بواسطة القول أو بدونه.

أما الأوّل، فكالاستشهاد بالمعجزة عقيب التحدّي على صدق قول المدعي، وكشهادة حال الحالف عقيب يمينه على قبول قوله، وكشهادة حال المتعاهدَيْن على قبول أقوالهما بعد وضع العهود التي هي أقوال مدوّنة مكتوبة.

وأما الحال المدركة بالحسّ من غير القول:

فإما أحوال تتبع انفعالاً نفسيّاً كشهادة سَحْنَة[8] وجه المخبَر ببشارة على قبول قوله، أو شهادة سَحْنة المذعور الخائف المخبر عن نزول عذاب، أو حلول آفة على قبول قوله.

أو تكون [طارئة[9] من خارج، كشهادة جراح القائل أو غيره/[٤٨ أ] على قدوم العدوّ للحرب.

وأما الحيلة فتفيد الإعداد:

والإعداد إما للقائل بحيث يكون مقبول القول، أو للقوْل بحيث يصير أنجع وأنفع، أو للسامع بحيث يكون أقبل.

وأما القائل، فإن يتكلّف الاستشهاد على فضيلة نفسه والدلالة عليها، أو يتهيأ بهيئة. ويتربّى بصورة تجعل مثله مقبول القول.

---

(٨) السَّحنة: لين البشرة والنَعمة، وقيل: الهيئة واللون والحال اللسان مادة سحن.

(٩) طائرة من أ.

وأما القول، فأن يحسن فيه تصرّفه، فتارة يرفع به صوته وتارة يخفضه، وتارة يُثقله، وتارة يُلينُه ويَحْزُنُه(١٠)، ويلاحِظ في ذلك حال من يقصد إسماعهم كما سيأتي في (الجزئيات)(١١).

وأما السامعون، فإما مخاطَب بالقصد الأول، وإما حاكم يحكم بين المتخاطبين، وإما نظّارة.

أما المخاطَب فيُحتاج أن يُستعطف ويُسْتمال؛ ليجْنح إلى تصديق القائل وكذلك الحاكم.

وأما الناظر، فيكفي فيه أن يُهيّء بالحيلة بهيئة مذعِن مصدِّق، وإن لم يقع له التصديق.

والتأثر الحاصل للمستمع؛ إما انفعال كالرقّة والرحمة في الاستعطاف، والقساوة والغضب في الإغراء.

وإما إيهام خُلق؛ كإيهام الشجاعة أو السخاوة أو غيرهما، فعاد الأمر إلى أن الأقوال الخطابية التي يُقصد بها التصديق ثلاثة أصناف:

أصل: ويسمى عموداً، وهو القول الذي يُراد به التصديقُ نفسه.

والثاني: النُصرة، وهي القول الذي يُنصر به ماله تصديق، كالشهادة.

والثالث: الحيلة، وهي قول يُفاد به انفعال شيء، أو إيهام خلق، وهما متمّمان للأصل، فهذه أجزاؤها.

البحث الثالث: في مبادىء الخطابة:

واعلم أن مبادىء الأقوال الخطابية ثلاثة:

أحدها: المشهورات المحمودة، وهي إما حقيقيّة اتفق عليها

(١٠) يحزنه: من الحَزْن وهو الغليظ الخشن ضد اللين اللسان: مادة حزن.

(١١) كلمة غير واضحة في الأصل، فأثبتنا ما يتفق والسياق.

الجمهـور، وتطابقت عليها الشرائع والسنن، وهي التي إذا تُعُقّبت بالنـظر لم يـزل حمـدهـا وإن اطُلع على كـذبهـا، كحسن الصـدق، وقبـح الكـذب والظلم، وغيرهما.

وإمـا محمـودة ظـاهـرة في بـادىء الـرأي، وهي التي (تبـاغت)[١٢] الـذهن، فيحكم بصـدقهـا قبـل/[٤٨ ب] التفـطّن لهـا، فـإذا تُعقّبت زال حمدها؛ لظهور كذبها وشنْعِها، كقولـه: «أنصُرْ أخَـاكَ ظَالِمـاً أوْ مَظْلُومـاً»[١٣] وهـذه أعم من التي قبلهـا، وكـل محمـود حقيقيّ محمـود في الـظاهـر، ولا ينعكس.

واستعمـال الخطابيّ لـلأولى لا من جهة كـونهـا حقيقيّـة؛ بـل لكـونهـا ظاهرة.

وإمـا محمـودة بحسب قـوم أو شخص، ويُنتفـع بهـا في مخـاطبتهم، ومثـل هـذه وإن نفعت في الخـطابـة، إلا أنهـا لا تكـون عُمْـدة في صنعـة الخـطابة؛ لكـونها غيـر متناهيـة أو غير مضبـوطة؛ فـإن كـلّ شخص يـرى مـا يهوى، وتختلف الآراء بحسب الأهواء.

وثانيها: المقبولات، إما عن جمـاعة، أو عن نفَـر[١٤]، أو عن نبيّ، أو عن إمـام، كـالشـرائـع والسُنن، أو عن حكيم كـالـطبّ المقبـول عن جالينوس[١٥] وبقراط، أو عن شاعر كأبيات تورد شـواهد وتكـون مقبولـة فقط

---

(١٢) كلمة غير واضحة في النسخ فأثبتنا ما يتفق والسياق.

(١٣) الحديث أخرجه البخاري في باب المظالم، والترمذي في باب الفتن:
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: «انصـر أخاك ظـالماً أو مـظلوماً» صحيح البخاري ٤/٢٣١ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(١٤) النفر: ما دون العشرة من الرجال، وهو جمع لا واحد له من لفظه مادة نفر.

(١٥) جالينوس: طبيب وكاتب يوناني، وينسب إليه خمسمـائة مؤلف أغلبهـا في الطب والفلسفـة، وبقي من مؤلفـاته الـطبية ثـلاثة وثمـانون على الأقـل، وظل جـالينوس حتى القـرن السادس عشر مرجعاً مسلماً به في الطب. الموسوعة العربية الميسرة ٥٩٧.

من غير أن تنسب إلى مقبول منه، كالأمثال المضروبة.

وثالثها: المظنونات، وهي الأحكام التي يتّبع الإنسان فيهاغالب الظن، من دون جزم العقل بهـا، كقولك: زيد يُسارّ[١٦] العدوَّ جهاراً، فهو عدوّ، ربما يكون مقابله مظنوناً، كقولك: زيد يسارّ العدوّ جهاراً؛ ليخدعه فهو صديق.

وأما تأليفات هذه فهي ما يظن منتجاً، وهي مقنعة بحسب الموارد والصور معاً، ويشتمل[١٧] القياس[١٨] والتمثيل[١٩] والاستقراء[٢٠] وما يشبه

---

(١٦) السريرة: عمل السر من خير أو شر، وأسرّ الشيء: كتمه وأظهره، وهو من الأضداد تقول، سررته: كتمته، وسررته: أعلنته، وبه يفسر قوله تعالى: ﴿**واسروا الندامة**﴾ قيل: أظهروها.

(١٧) ويستعمل في النسخة ب.

(١٨) القياس: صورة استدلالية في المنطق الأرسطي: مؤلفة من مقدمات تلزم عنها بالضرورة نتيجة تختلف عن كل المقدمة. والعملية القياسية الواحدة تتألف من مقدمتين:
أحداهما كبرى، وتشمل محمول النتيجة. والثانية صغرى، وتشمل موضوع النتيجة.
ويتألف القياس من ثلاثة حدود: حد أكبر، هو محمول المقدمة الكبرى، وحد أصغر، هو موضوع المقدمة الصغرى، وحد أوسط، يظهر في المقدمتين ويختفي في النتيجة مثل: كل معدن يتمدّد بالحرارة، والحديد معدن، إذن فالحديد يتمدد بالحرارة. فالتمدد بالحرارة حد أكبر، والحديد حد أصغر، ومعدن حدّ أوسط.
وجملة: كل معدن يتمدد بالحرارة مقدمة كبرى.
والحديد معدن مقدمة صغرى.
والحديد يتمدد بالحرارة نتيجة.

(١٩) التمثيل: هو بيان مشاركة شيء لشيء آخر في علة الحكم ليثبت الحكم في الشيء الأول كما يقال: النبيذ مسكر فهو حرام كالخمر، فعلّه الحرمة وهي الاسكار موجودة في النبيذ كما هي موجودة في الخمر.

(٢٠) الاستقراء: استدلال منطقي يسير من الأمثلة الجزئية إلى نتيجة عامة. وهو يقابل الاستنباط الذي يسير الاستدلال فيه من مقدمة عامة إلى نتيجة أخص منها. والاستقراء وسيلة العلوم الطبيعية؛ لأنه قائم على مشاهدة الجزئيات بالحسّ توصلا إلى القوانين العامة، ونتيجة الاستقراء ليست يقينية كنتيجة الاستنباط، فهي صادقة بدرجة معينة من

الحَلف فيها.

أمـا القياس فيسمى ضميـراً؛ لحذف كبـراه، وتفكيراً؛ لاشتمـالـه على أوسط يستخرج بالفكر.

وهـو[21] إما على هيئـة الشكل الأول[22]، كقـول عليّ عليـه السـلام: «مضَوا قُدُمـاً على الطريقـة وأوجفوا على المحَجَّـة فظفـروا بالعُقْبى الـدائمة، والكـرامة البـاردة» فإن تقـدير الكبـرى. وكل من كـان كذلـك ظفـر بـالعقبى الدائمة، ويسمى هذا دليلاً.

وإمـا على هيئة الشكل الثاني[23]، كقـولك: فـلان لـه إيمـان في يقين فليس من الفسّاق، فإن تقدير الكبرى: ولا واحد من الفسّاق كذلك.

أو على هيئة الشكل الثـالث[24] ، كقولـك : العارف شجـاع / [49 أ] جـواد ، فالشجـاع جواد ؛ لأن تقـدير الكبـرى : العارف جـواد ، ويسمى مـا كان على هيئة هذين الشكلين علامة .

والقياس الظني قـد لا يكون منتجـاً في نفس الأمر ؛ إذ ليس من شـرط الخـطابـة أن تكـون على هيئـة منتجـة ؛ كمـوجبتين في الشكـل الثـاني ،

الاحتمال . وفرنسيس بيكـون أول مبتكر للطريقـة الاستقرائيـة ، وأرسطو أول مبتكـر للطريقة الاستنباطية . الموسوعة العربية ١٤٣ .

(٢١) للقياس أربعة أشكال تختلف باختـلاف وضع الحدّ الأوسط ، وليكون القيـاس منتجاً في أي شكل يجب أن تكون إحـدى المقدمتين على الأقـل موجبـة ، فإذا كـانت إحداهمـا سالبـة ، كانت النتيجة سالبة .

(٢٢) الشكـل الأول : أن يكون الحـد الأوسط محمول الصغـرى موضـوع الكبرى كقـولنـا : كـل جسم مؤلف ، وكل مؤلف محدث ، فكـل جسم محدث ، والايجـاف : الاسراع في السيـر والمحجة : جادة الطريق .

(٢٣) الشكـل الثاني : أن يكـون الحد الأوسـط محمول الصغـرى والكبرى كقـولنـا : كـل انسـان حيوان ، ولا شيء من الجماد بحيوان ، فلا شيء من الانسان بجماد .

(٢٤) الشكل الثالث : ان يكون الحد الأوسط موضـوع الصغرى والكبـرى ، كقولنـا : كلّ إنسـان حيوان وكل إنسان ناطق ، فبعض الحيوان ناطق .

كقولك : هـذه منتفخة البـطن ، فهي إذن حبلى ، وتقديـر الصدق ، والحبلى منتفخة البطن ، وتسمى هذه رواسم ؛ لرسمها في الذهن ظناً ما .

واما التمثيـل فيسمى اعتبـاراً ؛ لعبـور الـذهن من المشبـه بـه إلى المشبـه ، ويسمى المنتج منـه بسرعـة برهـاناً ، واستعمـال التمثيـل والقيـاس يسمى تثبيتاً .

والتمثيل إما أن يكـون بأصـول متفق على القياس عليهـا ، سواء كـانت أموراً موجودة ، أو حوادث ماضية ، أو أمثالاً مضروبة سائرة .

وإمـا أن لا يكـون كـذلـك ؛ بـل أمـور يُخبـر عنهـا الخـطيب ، كمثـل وحكاية إما ممكنة أو غير ممكنة .

والأول كـاستشهاد عليّ عليـه السلام في تحـذيـر أصحـابـه من الـدنيـا بالقرون الماضية وأحوالها .

وأمـا الثـاني فـالممكن كمـا يقـول المشيـر على صـديقـه : لا تعـاشـر الجهّال فإني عاشرتهم فندمت ، وقد لا يكون عاشرهم .

وأمـا غير الممكن ، فكـالاستشهاد بـأقوال الحيـوانات المـوضـوعـة في كتاب كليلة ودمنة(٢٥) وأمثاله .

وأمـا الاستقراء : فيقـع بجزئيـات كثيـرة ، كقـولـك لمن تشيـر عليـه : حصـل السيادة بتحصيـل الفضيلة ؛ لأن فلانـاً فُضّلوا فسادوا ، وستعـرفـه في كلام علي عليه السلام كثيراً .

وأما ما يشبـه الحلف فكتنصّله عليه السـلام من دم عثمان بقـوله : «لـو أمرْتُ به لكنتُ قاتلاً»(٢٦) فإنه أراد تقرير عـدم الأمر بـإبطال لازم الأمـر ، وهو

---

(٢٥) كليلة ودمنـة : مجموعـة من قصص الحيـوان الهنـديـة الأصـل تـرمي الى العـظة الخلقيـة . تـرجمهـا عبـد الله بن المقفـع عن الفـارسيـة ، لارشـاد الخليفـة المنصـور إلى مـا يجب أن يتمسك به من خلق .

(٢٦) مطلع خطبة لعلي كرم الله وجهـه في براءتـه من دم عثمان : «لـو أمرت بـه لكنت قاتـلاً ، أو=

كـونه قـاتلاً المستلزم لابـطال الأمر المستلزم لإثبـات المـطلوب ، وهـو عـدم الأمر ، وكذلـك التوبيـخ كقولـه عليه السـلام في توبيـخ العلماء في اختـلاف الفتيـا : «أفـأمـرهـم الله تعـالى بالاختـلاف فـأطـاعـوه»[٢٧] فـإنـه أراد بيـان/ [٤٩ ب] عدم صحة اختلافهم بإبـطال أمر الله تعـالى إياهم المستلزم لإبـطال نقيض المطلوب وهو صحة الاختلاف .

والمقدمة التي من شأنها أن تصير جزءَ تثْبِيتٍ تُسمى مَوْضعاً .

وحقّهـا أن لا تكـون دقيقـة علميـة، ولا واضحـة يستغنى عن ذكـرهـا كالضروريات والقوانين التي يستنبط منها المواضع تسمى أنواعاً .

والبحث في الخـطابة عن الضّـروريّات أقـلّ ؛ بل إنمـا يُبحث فيها في الأكثر عن الأكثريّات .

والـرأي : قضية كليّـة يُنتفع بهـا في أمور عـمليّـة ، فيختـار أو يُجنّب ، ونتائج الآراء آراء مثلها ، إلا أنها غيرُ مقنعةٍ ما لم تُقرن إليهـا العلّة ، كقولـك لصـديقك مثـلاً : لا تحرص (على)[٢٨] جمـع المـال ، فـإنـه لا يقبـل مـا لم تقل : ؛ ذلك . . لأنـك تشقى بجمْعه في الآخـرة ، خصوصـاً إذا كان الـرأي شنيعـاً ، كقـولـك : لا تحصـل الفضـائـل ، فـإنـه مـا لم تقـرن بـه العلّة ، كقولك : كيْلا تُحسد ، لا يقبل ذلك .

والرأي : إما لا يحتاج إلى كلام يقرن به لـظهوره في نفسـه، أو عند أهـل العقــل ، أو عنــد المخــاطَب ، أو يحتــاج إلى مــا يقــرن بــه ليؤدي إلى المـطلوب ، وحينئذ فـالقرينـة إما نتيجـة الرأي أو مـا ينتجه فـان كانت نتيجـة الرأي كقولنا : الأصدقاء ناصحون ، فصديقـك زيد نـاصح فـالضمير المقنـع ها هنا ليس الرأي وحده ؛ بل مـع نتيجته ، وهو جزء من الضمير .

= نهيت عنه لكنت ناصراً . . . نهج البلاغة ٧٣ .

(٢٧) من كـلامـه رضي الله عنـه في ذم اختـلاف العلمـاء في الفتيـا : «أفـأمـرهم الله ـ سبحـانـه ـ بالاختلاف فأطاعوه ! أم نهاهم عنه فعصوْه !» نهج البلاغة ٦١ .

(٢٨) في بدلاً من على في النسخة أ .

وإن كان ما ضم إليه هو المنتج له ، كقولك : لا تكتسب الفضائل فتحسد ، كان الرأي هو الضمير القريب ، فإنه المقنع لذاته ، وبالله التوفيق .

البحث الرابع : في أقسام الخطابة بحسب أقسام أغراضها :

واعلم أن جميع المغارضات(٢٩) الخطابية ثلاثة :

مشاورة ، ومنافرة ، ومشاجرة ، ولكل واحد من هذه الأقسام غرض خاص .

أما المشورة ، فهي مخاطبة يُراد بها الأقناع في أن الأمر الفلانيّ ينبغي أن يُفعل لنفعه ، وأن الأمر الفلاني/ (٥٠ أ) لا ينبغي أن يفعل لضرره .

وأما المنافرة : فمخاطبة يُراد بها الإقناع في مدح شيء بفضيلته ، أو ذمّه بنقيصته .

وأما المشاجرة : فمخاطبة يُراد بها الإقناع في شكاية ظلم ، أو اعتذار بأنه لا ظلم .

وربما لم يقع الاعتذار في وقوع الأمر نفسه ، ولكن في كونه نافعاً ، أو ضارًا ، أو ظُلماً ، أو غير ظلم ؛ كاعتذار الظالم ، أو من ينصره بأن الذي يعلمه ليس بظلم ، أو باعتذار المذموم بأن الذي فعله ليس بنقيصة ، أو أنه فضيلة .

أما المشورة إنما هي مشورةٌ بسبب إقناعها في أمر هو نافع بالحقيقة ، فإنه قد لا يكون نافعاً بالحقيقة ولا عند المشير ؛ لكنه إن تبيّن أنه نافع رام الاقناع به ، فتكون المخاطبة مع ذلك مشورة .

وقد لا تكون المشورة بالنافع ؛ بل بالجميل الذي ربما كان في

---

(٢٩) المعارضات في النسخة ب .

العاجل ضارّاً ، أو له نفع من جهة أخرى ، وكذلك المدح والذم ، ولا يلاحظ فيه دائماً النافع والضارّ حتى يكون المدح بالنافع ، والذم بالضار ؛ بل ربما كان المدح أيضاً كاقتحام الأذى والضرر ، وركوب الأهوال للذكر الجميل ، فإنه يشار به ويمدح فاعله ويعظّم ، كالذين يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون ، وكثيراً ما يُحمد العاقل بإيثار الموت على الحياة .

والأمور المشوريّة عظيمة تُبتنى عليها الشرائع والسنن والسياسات .

وأقسام الأمور المشوريّة العظيمة التامة النفع دون الجزئيات النافعة بحسب أحوال الأشخاص خمسة :

العُدّة ، والحرب والسِّلم ، وحماية المدنيّة ، ومراعاة أمر الدخل والخرج ، وتفريع الشرائع ووضع المصالح .

والخطيب المشير في أمر العُدّة ينبغي أن يكون بصيراً بجنس ارتفاع المدنيّة وكميته ، وكميّة النفقات إذا جرت على القُسْط ليوازيَ الدخلُ الخرْجَ ، ويشير / [٥٠ ب] بنفي البطالة عن حرفةٍ تعود بنفع المدنيّة ، وبالحجْر على المسْرف وتوقيفه على القدْر العادل ، ويتحفّظ بجزئيات الأخبار وبالعوائد التجريبيّة ؛ لأنها تذاكير وأمثال .

وعلى المشير في أمر الحرب بعد ان يكون له بصيرةٌ بأنواع الحروب ، وسماع أخبار المتقدمين من المقاتِلة في مدنيّته وما يليها ، ورسومهم ومذاهبهم ، أن يحيط به علماً خيراً بمدنيّته ومحاربيها وعدّتهم وعددِهم ودرايتهم بالحرب ، وعادتهم ونقاء دخيلة قومهم ، وصفاء نيّتهم ، أو ضدّ ذلك ، ويوقع نظيره عليهم في كل وقت ويقيسهم إلى مقاتليهم ، وأن يعتبر الجزئيّات السالفة ، فانّ الأمور في أشباهها ، وتحذو حَذْوَ أشكالها ، فإنه يستنبط من هذه الأحوال مقدمات ينتفع بها في المشورة .

وأما المشير في حفظ المدينة فينبغي أن يَعلم أنواع الحفظ لأنواع البلاد المختلفة ؛ سهليّتها وجبليّتها ، وبريّتها وبحريّتها ، وما يحيط بها ،

ومواقع المسالح[٣٠] قرباً وبعداً ، والمدارج[٣١] المخوفة والتي يرتادها المغتالون فيشير فيها بالإرصاد[٣٢] ، فإن ذلك قد يقف عليه من لم يشاهد المدينة . وأن يعلم عدد الحفظة والرصَدة[٣٣] ونيّاتهم ؛ ليمدّ قلّتهم ، ويبدّل خائنهم بالناصح ، وأن يعرف الحاصلَ من القوت ، وما يحتاج إلى جلْبه واعداده من خارج المدينة ، فإن القوت وما يجري مجراه إذا انحسمت[٣٤] مادته لم يكن حفظ المدينة وتدبيرها .

فينبغي أن يكون المشير عارفاً بمقدار حاجة كلّ إلى كلّ ، وبأحوال أهل الفضائل والثروة منهم ، فيشير بما ينبغي أن يستعان به فيه من أهل الفضائل ، وما ينبغي أن يستعان به فيه بأهل الثروة فيما ينتظم به أمر المصلحة .

وأما الخامس فهو المشورة في أمر السنن ، وهو من أعظم الأبواب خطْباً وأحوجها إلى فضْلِ قوة الخطابة / [٥١ أ] ، وعلى السّانّ[٣٥] أن يتحقّق عدد أنواع الاشتراكات المدنيّة وما يتولّد من تركيبها ، وأن يعلم ما يناسب كلّ أمّة من الاشتراك بحسب عادتها والأسباب الحافظة لذلك الاشتراك ، والقاسمة له ، وفساد المدينة التي لم يحكم تدبيرها يقع من أحد أمرين :

---

(٣٠) المسالح : جمع مسلحيّ وهو الموكلّ بحراسة الثغور ، والمراد الجنود الذين يتجسسون خبر العدو لئلا يهجم عليهم ، ولا يدعون واحداً من العدو يدخل بلاد المسلمين ، وان جاء جيش انذروا المسلمين . اللسان مادة سلح .

(٣١) المدارج : الثنايا الغلاظ بين الجبال ، واحدتها : مدرجة وهي المواضع التي يدرج فيها ، أي : يمشي . اللسان مادة درج .

(٣٢) الإرصاد : الانتظار ، والاعداد .

(٣٣) الرصدة : الحرس الذي يرصدون .

(٣٣) الرصدة : الحرس الذين يرصدون .

(٣٤) انحسمت مادته : انقطعت .

(٣٥) السّانّ : من يجعل الأمر طريقاً يتّبع ، ومسلكاً لمن يأتي بعده ، مادة سنن .

إما عنْف المدبـــرين لهم في الحمل على الـواجبات ، أو من إهمـالهم ومسـامحتهم ، فينبغي أن يكون المشيـر بصيـراً بـأصنـاف السيـاسـات ، ومـا يعرض لكل واحد منها من العوارض ، وما يئـول إليه كـل واحد منهـا فيوضـع كلٌ واحد منهـا في موضعـه : فلا يستعمـل القهر والغلبـة في موضـع الرفق ، ومراعاة مصلحـة المرءوسين لإكـرامهم وتعظيمهم ، ولا بـالعكس فلا يحصـل هنـاك قـانـون نـاظم . فقـد عـرفت بمـا ذكـرنـا المـواضـع التي منهـا تنتـزع المقدمات المشورية في الأمور العظام .

وممـا يعين على وضـع السنن وتفـريعهـا تـأمّـل قصصَ المـاضين وأحوالهم .

وأمـا الأمور المشـوريّة النـافعة بحسب أحـوال شخص [شخص][٣٦] ، فهي وإن كـانت غير مضبـوطة ، إلا أن جميعهـا يشتـرك في أنهـا يُقصـد بهـا صلاحُ الحال (سواء)[٣٧] كان بالحقيقة أو بـالظن ، ونعني بصـلاح الحال هـو الفعل الممكن عن فضيلة النفس ، وامتداد الـعمـر، مشفوعـاً بمحبّة القلوب وتـوافر الكـرامة من النـاس ، وفي رفاهيـة وطيب عـيش ، ووقايـة وسَعَة ذاتِ اليد في المال والعقد ، وتمكّن في استدامة هذه الأحوال والاستزادة منها .

وأمـا أجزاؤهـا[٣٨] ؛ فمنها مـا ينسب إلى الخير ، ومنهـا مـا ينسب إلى الشرّ .

أمـا الخيـريّـة ، فـإمّـا بـدنيّـة كـذكـاء الأصـل وكثـرة الإخـوان والأولاد وصـلاحهم ، واليسار والإنعـام والقوّة والصحـة والجمال والفصـاحـة وجميـل الأحدوثة[٣٩] والجاه والبخت .

---

(٣٦) كلمة شخص لم تكرر ، وإنما ذكرت مرة واحدة في النسخة أ .

(٣٧) الزيادة يقتضيها السياق .

(٣٨) أجزاؤها : أجزاء المشورة ، وفي أ جزاؤه .

(٣٩) واحد الأحاديث : أحدوثة ، وهي ما حدّث به مادة حدث .

وإما نفسانيّة كالعلم ، والذكاء ، والزهد ، والشجاعة ، والعفّة ، وحسن السيرة ، والأخلاق المَرْضِيَّة ، وحصول التجارات والصناعات ، فعلى الخطيب/ [٥١ ب] أن يشير بإعداد هذه الأنواع، وكذلك ما ينسب إلى النافع وهو كل ما يوصّل إلى شيء من الخيرات كالجدّ والطلب وتحصيل الأسباب والوسائل وانتهاز الفرص(٤٠) ومواتاة الحظ.

وأما الأمور الشريّة ؛ فهي ما يقابل هذه ، وعلى المشير أن يشير باجتناب عللها وما يَعُوق عن الخيرات كإيثار اللذة والكسل ، واللهو ، والبطالة ، وفوات الأسباب ، وضياع الفرص ، وسوء التوفيق .

وكذلك قد يحتاج الخطيب إلى إعداد مقدّمات في أن هذا الخير أفضل ، وأن هذا النافع أنفع : كالحكم بأن أفضل الخيرات أعمُّها ، وأدْوَمُها ، وأكثرها نفعاً ، وأولاها بالقصد لنفسه ، وأعزّها ، وأعظمها ، وأشهرها ، وأكثرها استلزاماً للحاجة إليه ، وأكثرها استلزاماً لرغبة الجمهور والأكابر فيه .

وكذلك يحتاج إلى مقدمات بعدها في أن هذا الشر أضرّ : كالحكم بأن أشرّ الشرور أعمّها ، وأدومها ، وأولاها بالهرب منه ، وأكثرها استتباعاً للشرور.

ويجب أن يستكثر من ضرب الأمثال وإيراد التذاكير ، واقتصاص أحوال الماضين .

وأما المنافرات وهي(٤١) : باب المدح والذم ، فعلى الخطيب تحصيل الأنواع النافعة في المدح والذم ، المتعلقة بالفضيلة والرذيلة .

وأجزاء الفضيلة هي البرّ ، والشجاعة ، والعفّة ، والمروءة وكبر الهمّة ، والسخاوة ، والحلم ، والثبات ، واللّبّ ، والحكمة .

---

(٤٠) وانتهاص الغرض في ب .

(٤١) وهو في النسخة ب .

وقد يلزم بعض هذه خبرات تتعدى إلى غير الفاضل ؛ كالخبر المتعدّي من البَرّ والشجاع والسخيّ إلى غيرهم .

وأجزاء الرذيلة أضداد ما ذكرنا كالجَوْر المقابل للبرّ ، والجبن للشجاعة ، والفجور للعفة ، والدناءة للسخاء ، والسفالة لكبر الهمّة ، والنذالة للمروءة، والطيش للثبات، والبلاهة للّب.

فهذه هي الفضائل والرذائل ، وما عداها فأسباب لها وعلامات / [٥٢ أ] عليها ؛ مثلاً : كإيجاب الغنى والخشْية من الله تعالى ، والعلم وطلب الذكر الجميل للعدل ، وإيجاب الاحتياج ، والوثوق بأن لا مقاوم له ، وعدم المبالاة بالمعاقبة ، وأمثالها للجور ، وكذلك في سائر الأسباب .

وكالانفعالات اللازمة للعادل عن لزوم العدل حتى يحتمل شدة العذاب ، مثلاً في انتزاع ما في يده من الأمانة ولا يسلّمها إلى غير ربّها .

ومن الممادح أيضاً مقاومة الأعداء ، والانتقام منهم ، والجزاء على الحسنة والسيئة .

ومن ممادح الشجاع الغلبةُ والكرامة ، وأن يفعل أفعالاً تذكر وتنشر[٤٢] ويسهل تخليدها ، فيرثها الأعقاب .

ومن الممادح أيضاً علامات تختص الأشراف بها ، كإرسال شعر العلويّ[٤٣] وطرحه العالم ؛ فإن ذلك من علامات شرفهم .

ومن الممدوحات أيضاً : الاستغناء عن الناس في أيّ باب كان .

وقد يذكر المدح على سبيل الترويح والمغالطة ، فيعبر عن الرذيلة بعبارة تنظمها في سلك الفضيلة إذا كانت قريبة من الفضيلة ، أو كانا تحت حكم يعمّهما .

---

(٤٢) يذكر وينشر في ب .

(٤٣) المراد بالعلوي هنا ما ينتسب الى الامام علي ويدخل في شيعته .

وهـذا كمـا[٤٤] يحتـاج الخـطيب إلى مـدح النـاقصين فيجعــل القـدْر المشتـرك بين الفضيلة والرذيلة مكـان الفضيلة ، فيمدح المُتَجَـرْبـز[٤٥] بـأنـه حسن المشورة، والفاسق بأنه لـطيف العشرة، والغني بـأنه حليم، والغضـوب بـأنه نبيـل، والأبله الغافـل عن اللذات بأنـه عفيف، والمتهور بـأنـه شجـاع، والماجن بأنه ظريف، والمبذر في الشهوات بأنه سخيّ .

وفي عكس ذلـك إذا قصد ذمّ الفـاضـلين : فيذكـر الفضيلة في معرض الـرذيلة ، فيـذمّ لـطيف الـعشـرة بـالفسق ، والحليم بـالغبـاوة ، والنبيـل بـالغضوب ، والعفيف بـالأبله ، والشجاع بالمتهوّر ، والـظريف بـالمـاجن / [٥٢ ب] ، وكذلك في سائرها .

وأما الأمور المشاجريّـة ؛ فعلى الخطيب إعـداد أنواع أسبـاب الجور ، والجور هو الإضرار الواقـع[٤٦] بالقصـد والمشيئة ، ولم تـرخّص الشريعـة فيه بوجه .

وأمـا الأسباب المحـركة إليـه ، فكالكسـل من الكسلان ، فـإنه عنـدما يتخيّل الدَّعَةَ[٤٧] التي يهواهـا يكون سببـاً لخذلان صـديقه ، وكـالجبن الذي يكـون سبباً لإضـاعة الحـريم وهلاكهم ، وكـإيثار الـراحـة من التعب ، وحبّ البـطالة واللهـو المؤدي إلى ترك اكتسـاب الفضائـل ، وكالغضب المؤدي إلى العَسْف[٤٨] وعدم الـظفـر بـالمـطلوب عنـد الغلَبـة والاقتحـام ، وكـاستبـاحـة التصـرف في مـال الغيـر وعِـرضــه ودمـه ، والاستهــزاء بـالخلْق والحــرص والوقاحة . وأسباب العدل هو ما يقابل هذه الأسباب .

---

(٤٤) وهذا لا يحتاج في ب .

(٤٥) المتجـربز : الخبّ من الـرجـال ، أي الخـدّاع الخبيث ، وهي كلمـة معـربـة اللسـان مـادة جربز .

(٤٦) الرافع في ب .

(٤٧) الـدعة : الخفض في العيش ، واصلهـا : ودع ، والهـاء عـوض من الـواو . اللسـان مـادة ودع .

(٤٨) العسف : السير بغير هداية ، والأخذ على غير الطريق .

فهذه أمور إذا علمها الخطيب أخذ منها مقدمات في أنه لمّا كان الجائر كذا ، أقْدم على الجَور ، وللجور أسبابٌ كثيرة مذكورة في الكتب المبسوطة .

البحث الخامس : في أنواع مشتركة للأمور الخطابيّة الثلاثة .

ها هنا أنواع مشتركة لأصناف الخطابة يجب على الخطيب إعدادها ؛ لينتفع بها .

فمنها ما يُعَدُّ لاستدراجات من مبادي الانفعالات والأخلاق، مثلاً ما يعدّ للغضب كالاستهانة والعنَت والشتيمة وقطع العادة في الإحسان ، ومقابلة النعمة بالسيئة أو بالكُفْران والقعود عن جزاء الجميل بمثله . أو يعدّ لضدّه ؛ وهو فتور الغضب ؛ كالاعتذار بعدم معرفة من قصده بالاستهانة ، أو بعدم قصد الاستهانة[49] ؛ كالاعتراف بالذنب ، والاستغفار بالتوبة والتذلّل والتلقيّ بالبشاشة ، وكذلك هيْبةُ المَهيب والاستحياء من المستحَق منه ، فإن الغضب لا يجامعها ، أو يعدّ / [٥٣ أ] للحزن ؛ كالأنواع التي توجب تصور فوت المرغوب فيه ، أو حصول المحذور منه ، أو عدم الانتفاع بالحياة والتدبير ، أو لضدّه ؛ وهو [التسلية[50]] كالتي يوجب الاقناع في أن هذا الأمر يمكن أن يُدفع أو يُرجى التلافي في التدارك ، أو باعتبار حال الغير ، فإن المصيبة أذا عمّت هانت ، أو بالإرشاد إلى الحِيَل بتحصيل الأمر الذي لأجله الحزن ، أو يُعَدّ للخجل والاستحياء ، كالفرار من الزحف ، وخيانة الأمانة ، وارتكاب المظالم ، ومعاشرة الفسّاق ، ومداخلتهم في مواضع الريبة ، والحرص على المحقّرات ، ومقارفة [الدنايا[51]] ، كسلب المسكين[52] ، ونبْس الكفن ، والتغيير[53] مع

---

(٤٩) الاهانة في ب .
(٥٠) وهو التشبيه في أ .
(٥١) الدنيا في أ .
(٥٢) السكين في ب .
(٥٣) والتقيّة في ب .

اليسار ، ومعارضة اللئام بالاستماحة(٥٤) وكاستشعار الشماتة من الأعداء ، أو يُعَدّ لإبطال الخجل وهو أضداد هذه الأسباب ، أو للاهتمام بالغير والشفقة عليه ، أو الأسباب الباعثة على الاهتمام ، كالعذاب المُهلك والأوجاع والجَهد والكِبَر والسَّقَم والخصاصة(٥٥) وسوء البخت وعدم الأنصار ، وعلامات الاهتمام ، كإيثار المهمّ له على النفس ، والإحسان إليه بغير مِنّة(٥٦) ، وستر عيوبه ونصرته في مغيبه ، والوفاء له . أو لضدّه ؛ وهو الحسد ، كوصول خير إلى غير (ما)(٥٧) يرى الحاسد أنه أولى به منه ، أو إلى من لا يحبه . أو للغيرة ؛ كتخيّل مشاركة من لا حقّ له في الحق مِن غير أن يدخله صاحبه فيه . أو لشكر النعمة ، وهو أن يقول الخطيب : إنما أعْطَى فلانٌ لنفس النفع ، لا لجزاء يتوقّعه . أو يقول : إنه نفع في وقت الحاجة أو في وقت تعسّر المعونة من الناس ، أو أن أنعم بما لم تسمح نفس غيره به ، أو أنه أولى من أنعم فيحرك غيره للإنعام ، أو أنه لم يرد بالصنيعة ذكراً ، أو أنه يستر الصنيعة(٥٨) ستراً ، أو للكفران وتحقير النعمة ، كقولك : لم تُرِدْ بعطائك / (٥٣ ب] إلا غرضاً وأنك لم تتمّ النعمة ، وأنك قصرْت عن الواجب عليك بمثله ، وأنك لم تصطنع بقصد ؛ بل لضرورة ، أو اتفاق(٥٩) ، أو لرغبة في محاذاة ، فإن ذلك كلّه مما يبطل المنّة . أو للشجاعة ، كأن تقول المكروه عنك بعيد ، أو لا وجود له عندك ، ولا محل عندك للأقران والمبارزين ، وكقوله : أنت كثير الأنصار قويّهم ، وأنك بريء عن الظلم قليل الاحتمال له .

---

(٥٤) استمحته : سألته العطاء أو الشفاعة . مادة ميح

(٥٥) الخصاصة : الفقر وسوء الحال والخلّة والحاجة ، وفي التنزيل : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) .

(٥٦) امتنّ عليه : قرّعه بمنّه ، والمنّ الإحسان والإنعام . مادة منن .

(٥٧) الزيادة ليست في المخطوطة ، والنص يقتضيها فأثبتناها .

(٥٨) الصنيعة : الاحسان والخير والعمل الطيب .

(٥٩) أو إنفاق في ب .

أو لضدها ، وهو الجبن كقوله : إن في المقاومات حصول المكاره ، وإن خَصمك في غاية القوّة ، فلا طاقة لك به لو أن أنصارك قليلون أو ضعفاء ، وأمثال ذلك .

وكذلك يجب على الخطيب أن يحصّل أنواعاً تُعين على كلّ خُلقٍ خُلقٍ يختص بصِنفٍ صِنفٍ من الناس .

إما باعتبار الأسنان[٦٠] ، كأن يقول للشابّ الذي يَغلب عليه طلب اللذة : إن هذا وقت السرور ، والزمان المساعد ، والشباب بعد فنائه غيرُ عائد ، وهذا الربيع قد أشرف أنواره وتصنّفتْ أزهاره وكمدح المآكل والمشارب والملابس والمراكب .

ويقول للشيخ الذي يَغلب على طباعه طلب النفع والحرص على الدنيا : ينبغي أن تقتصر على تحصيل منافعك واللهوُ غير لائق بك ، وينبغي أن تقلّل البذل لئلا يستضرّ عيالُك ، وينبغي أن لا تنخدع لفلان ، ولا تغلط معه ، لأنك جرّبت الخداع .

أو باعتبار أخلاقهم في البلدان ، كأن يقول للعربيّ الذي طبعه الفصاحة : إنك لذو فضيلة عظيمة ، ولو لم يكن من فضل الفصاحة إلا أنها وجه إعجاز القرآن لكفى ، وأمثاله .

وكأن يقول للعرب من جهة ما هم غِلاظ الطباع كثيرو[٦١] الأطماع : إن بني فلان أعداؤكم ، ولا ناصرَ لهم ، أو هم قليلون ، أو نعمهم كثيرة ، أو أن القُفْلَ[٦٢] الفلانيّ كثيرُ النعمة ولا حارس له فيغريهم بذلك .

---

(٦٠) الأسنان : الأعمار .

(٦١) كثير في أ ، ب .

(٦٢) القفل : ما يغلق به الباب ونحوه ، فيكون التعبير مجازياً ، أي يخفى وراءه نعمة كثيرة ، وربما كان معنى القفل هنا : شجر بالحجاز يضخم ويتخذ النساء من ورقة لوناً أحمر . اللسان مادة قفل .

وكما تحرك طباع / [٥٤ أ] الفُرْس إلى حسن التدبير الذي هو عادتهم بما يناسبه ، أو إلى المَلال الذي هو طباعهم بما يناسبه . أو باعتبار الهمم كما يحرك ما في طباع الملوك من الكِبْر وعدم الالتفات إلى الغير بما يناسبه ،

وما في طباع الساقطين من الدناءة بما يليق به .

ومن جملة الأمور المشتركة ما يتعلق بالممكن من الأمور وغير الممكن ، كأن يقول الخطيب إذا أراد أن يُقنع بأن الأمر الفلاني ممكن ، فيقول : هذا الأمر مما يُسْتطاع فهو ممكن ، أو نقيضه ممكن فهو ممكن ، أو شبهه ممكن فهو ممكن ، أو الأصعب منه ممكن فهو ممكن .

أو أراد أن يقنع بأنه يتوقّع(٦٣) كونه فيقول :

الأمر الفلانيّ مقدور عليه ومراد ، فلا بدّ أن يكون ، والنادر يكون ، فالأكثريّ يكون. ويمكنك أن تعلم أنواع ما لا يكون، وأنواع ما لا يمكن من أنواع ما يكون، وأنواع ما يمكن.

فهذه جملة من الأمثلة تَهدي الخطيب إلى أمثالها ، وليس عليه أن يضبط ما لا يتناهى من الأمور بحسب شخص شخص في كل واحد من أموره الجزئية ، فإن ذلك غير ممكن ؛ بل يضبط القوانين الكليّة المتعلقة بالأجناس الثلاثة للخطابة ، ويجتهد في أن يخصصها مهما أمكن ، فإنه كلما كان الحكم بالجزئيّ المتكلَّم فيه أخصّ ، كان أنفع وأقنع . مثاله : إذا أردت أن تمدح زيداً فقلت : هو شجاع ؛ لأنه مستكمل الفضائل بأسرها ، فهذا وإن كان مقنعاً ، إلا أنك لو خصصت فقلت : ؛ لأنه هزم جيش العدوّ وقت كذا ، أو قتل البطل الفلانيّ يوم كذا ، لكان ذلك أقنع وأليق بالممدوح .

---

(٦٣) متوقع ب ، م .

وقد تقع في الخطابة القضايا المتقابلة والمغالطة بها[٦٤] للإقناع ، فيستعمل الضدّان في إيجاب كل واحد من النقيض ، كقولك : اسكت في المحافل[٦٥] ؛ لأنك إن صَدَقْت أبغضك الناس ، وإن كذبْت أبغضك الله ، ثم تقول : تكلم في المحافل ؛ لأنك إن صدقت / [٥٤ ب] أحبّك الله ، وإن كذبت أحبك الناس . والمقابلة ها هنا إن أفادت إقناعاً ، كانت من صناعة الخطابة ، مثالها :

إما من باب اشتراك الاسم كقولك : بالذهب يبصر الإنسان ؛ لأنه عيْن .

أو من باب تركيب المفصّل كقولك : فلان شاعر جيّد ، فيوهم ذلك التركيب مدح الشعر بالجودة ، والتقدير فلان جيّد .

أو من باب وضع ما ليس بعلّة علة ، كما يقال : فلان مبارك القدم ؛ لأنه مع قدومه تيسّر كذا.

أو من باب المصادرة على المطلوب ، كما يقال : زيد يشرب الخمر ، فيقال ؛ لأن أخاه يشرب الخمر .

وأما إن لم يوقع إقناعاً ، كما يقال : فلان لم يُذنب باختياره ؛ لأنه زنى وهو سكران، لم يكن من صناعة الخطابة ، وبالله التوفيق .

البحث السادس : في تحسينات الخطابة :

الأمور المحسّنة للخطابة :

إما أن تتعلق بالألفاظ .

وإما أن تتعلق بالترتيب .

---

(٦٤) بهما في أ .

(٦٥) المحافل : جمع مَحْفِل ، وهو المجلس والمجتَمع من الناس .

وإما أن تتعلّق بهيئة الخطيب .

أما الأول : فاعلم أن تحسين الألفاظ في الخطابة عظيم النفع ؛ فإن جزالة الألفاظ تُوهم جزالة المعنى ، وركاكة اللفظ تُذهب ذوق المعنى .

ومحسنات اللفظ أمور :

الأوّل : أن يكون اللفظ فصيحاً عذْباً غيرَ ركيك صرف العاميّة(٦٦) ، ولامتين مرتفع عن أن يصلح لمخاطبة الجمهور ؛ لأن الطباع العاميّة تنفر عن العبارة العلمية ، ولا ملحون ؛ لأن اللحن يهجّن الكلام ويَرْذُلُهُ ، وهذه الاعتبارات موجودة في كلام عليّ عليه السلام كثير .

الثاني : أن يراعى [تمام(٦٧)] الرباطات ، وهي الحروف التي يقتضي ذكرها أن تُكرّر ، كقوله عليه السلام في صفة الملائكة : «منهم سجود لا يركعون(٦٨) ومنهم ركوع لا يسجدون» وكذلك باقي الأقسام ، فلو لم يحصل / [٥٥ أ] التكرار ها هنا لنقص الكلام ، وكذلك قوله عليه السلام : «المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر إحدى الحسنين : إما داعي الله فما عند الله خير له ، وإما رزق الله ، وإذا هو ذو أهل ومال» ، اللهم إلا أن يكون تكراره معلوماً ، كقوله عليه السلام في كثير من خطبه : أمّا بعد . فإن هذا الجزء مسبوق بأما قبل وإن لم يُذكر لوضوحه .

الثالث : أن لا يباعد ما بين الرباطين بحشو دخيل ينسى الوصلة بينهما .

الرابع : أن يراعى حقه من التقديم والتأخير ، وإن تأخّر الشرط عن المشروط ، وتقديم لان على الدعوى قبيح سمج ، وبعض هذه الأحكام قد يختص ببعض اللغات .

---

(٦٦) صرف العامية ، لمذهب والحال والشأن .

(٦٧) إتمام في أ .

(٦٨) في نهج البلاغة ٤١ «منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون» .

الخـامس : أن يـزيّن بـالتشبيـه والاستعـارة ، وتكـون تلك الألفـاظ المستعـارة خاصـة غيرَ مشتـركة ولا مغلِطة ، فقـد يورد اللفظ مـوهمـاً للشيء وضـده ، كقول المنجم : إذا دخلتْ سنـة كذا تتجـدد للإسـلام أمر عـظيم . فذلك محمَلٍ للخير والشر ، موهماً لهما .

وفائدة التشبيه والاستعارة ها هنا الاستعانة بـالتخييل الحـاصل منـه على ترويق المعنى ، فإنه يحصل له رونقاً لا يحصل بدونه .

والالفـاظ المستعـارة والمخيّلة وإن كـانت أصـلاً في الشعـر ، فقـد يستعملها الخطيب بالقرض ، فيكون في الخطابة كالأباريز(٦٩) .

السـادس : أن يراعي لفظ الـواحد والتثنيـة والجمـع ومـا يخصهـا من التصاريف ، وكذلك التذكير والتأنيث ذي العلامة وغيره رفعاً للغلط .

السـابع : قـد يزين اللفظ بـالإيجـاز إذا اعتمـد على فهم السـامـع من تعقب الإقنـاع فـردّ الحـدود والـرسـوم هنـاك إلى اللفظ المفـرد ، وقـد يـزين بـالبسط فينعكس ذلك . وقـد يبدل اللفظ المفـرد العلم لشناعتـه ، كما يقـال عورة المرأة(٧٠) ووطؤها ودمها عوض اسمائها الصريحة .

وأكثـر ما يستعمـل أمثال هـذه الإفـراطـات في المـدائـح فيكـره التصـريـح / [٥٥ ب] بالأسماء الصريحة احتشاماً وتنزيهاً للمجـالس عن ذكرهـا ، وكذلـك يستعمــل في الاعتــذار كثيــراً ، وحيث يــراد الـتهــويــل لـلتخــويـف في المشوريات .

الثامن : أن يزين بـالمفاصـل ، أي يكون ذا مصـاريع وتـسجيـع وزنٍ ما ، لا الوزن الحقيقي ، وذلك كقول علي عليه السلام :

---

(٦٩) الإبريز: الحَلْيُ الصـافي من الذهب ، والإبـريز من الـذهب الخالص هـو العقيان والعسجـد اللسان مادة برز .

(٧٠) المرء في ب .

«أما بعد، فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع»[٧١] وقد عرفت المتوازن فإن ذلك أقرب إلى ثبات اللفظ في الخيال، ثم تلك المفاصل ينبغي أن لا تطول؛ لئلا ينسى الأوّل، ولا تقصُر جداً، فلا تحفل به النفس، فيجعل انقطاعه عن استثبات النفس له.

ثم المفاصل قد تكون أقساماً، ويسمى المقسّم كما مر في المثال في صفة الملائكة.

وقد تكون تلك الأقسام متقابلة كقوله عليه السلام؛

«أمّا الإمْرَةُ البرَّةُ فيعمل فيها التّقى، وأما الإمْرَةُ الفاجرة فيتمتّع فيها الشقي»[٧٢].

ولكل واحدة من الخطابة المسموعة والمكتوبة أسلوب خاص، وكذلك أصنافهما.

وأما الثاني وهو الترتيب:

فاعلم أن للأقاويل الخطابيّة صدراً ووسطاً وخاتمة:

فالصدر كالرسم الذي ينقش عليه، ويعرف السامع منه الغرض إجمالاً.

وأما الوسط، فقد يكون (قصصاً)[٧٣] لأمر واقع؛ ليحكم بأنه حسن

---

(٧١) قال الإمام علي في هذا المعنى: «ألا وإن الدنيا ولّت حذّاء (سريعة) فلم يبق منها إلا صُبابة (البقية من الماء) كصبابة الأناء اصطبّها صابّها. ألا وإن الآخرة قد اقبلت، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا. نهج البلاغة ٨٤.

(٧٢) قال ذلك في الخوارج عند ما سمع قولهم: «لا حكم إلا لله» ثم قال بعد ذلك: «إلى أن تنقطع مدته وتدركه منيته» نهج البلاغة ٨٣.

(٧٣) اقتصاصاً في أ ب، والقصص: الخبر المقصوص. بخلاف الاقتصاص فهو أخذ القصاص.

أو قبيح ؛ كما في المنافرة ، وعدل أو جور كما في المشاجرة .

وقد يُقدم على الصدر ؛ اقتصاصٌ لأمور تستلزم الشكر والمدح من القائل ، وتهيء السامع لذلك ، كما جرت العادة بتقديم اقتصاص صفات الله وحمده وصفات رسله عليهم السلام .

وقد يكون الوسط غير اقتصاص ؛ بل دالّة على مصلحة وحثّ عليها ، كما في المشورة ؛ إذ ليس فيها ما يُحكى ويُشتكى ، ويُحمد ويُذمّ ، وليس فيها منازعة / [٥٦ أ] ومواثبة[٧٤] ، والصدر فيها حسن ؛ ليكون المشار عليه قد وعى الغرض واستعد للقبول وهو في المشاجرة قبيح .

وأما الخاتمة ، فهي حسنة في المشورة أيضاً ، والذي يليق بها أن تكون أجزاؤها مفصّلة غير مخلوطة بما قبلها ، وخصوصاً في المشوريّات ، وهو أن يقول المشير : قد قلت ما عندي من النصيحة ، والرأي ما تَرون ، وكما يقول الخطيب : أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، إنه هو الغفور الرحيم ونحو ذلك .

وأما الثالث : وهو الأمور التي تتعلق بهيئة الخطيب ، فيخيّل معاني ، أو يخيّل أخلاقاً واستعداداتٍ لأفعالٍ وانفعالات ، ويُسمّى ذلك نفاقاً .

والأخذ بالوجوه ، فهي إما يتعلق بصوته كرفعه في موضع الرفع ، وخفضه في موضع الخفض ، وبتزكية نفسه أو بكونه على زيّ وهيئة وسَمْتٍ حسن يصيد به القلوب .

وهذا القِسْم إنما يكثر الانتفاع باستعماله مع ضعفاء العقول ؛ إذ كانوا للاستدراجات بالأمور المحسوسة أطْوع ، ولذلك يكبر في أعينهم من كان

---

(٧٤) مواثبة : مفاعلة من الوثب وهو الطفر .

بزيّ النسّاك المستكثرين من العبادة[٧٥] والخشوع الظاهر ، وإن كان جاهلاً مرائياً .

ولما لم يكن غرضنا من التعرض بذكر الخطابة ها هنا إلا الاشارة إلى أقسامها الكليّة لتبيّن معنى الخطابة ، وما عسى أن نذكره من أن الخطابة التي نحن شارعون في بيانها من أي أقسام الخطابة هي ، وليتفطّن المّطلع على ما ذكرناه ها هنا لما لم نبيّنه من ذلك ، لا جرَم اقتصرنا على هذا القدر من الإيراد .

وأما البسط قضى الكتب المطولة .

واعلم أن الغالب على كلام عليّ عليه السلام هو المشوريات[٧٦] ، وأما المنافريّات[٧٧] والمشاجريّات[٧٨] ، فهما أقل كما ستعرف ذلك عند تصفح أقواله إن شاء الله تعالى / [٥٦ ب]، وبالله التوفيق .

خاتمة لهذه القاعدة :

وأما الخاتمة ففي بيان غايته عليه السلام من الخطابة .

واعلم أنه لمّا كان الغرض من وضع الشرائع والسنن إنما هو نظام الخلْق وجذبهم إلى الجناب المقدس عن دار الغرور ، وتذكيرهم لمعبودهم الحق، وتعليمهم كيفية السلوك للصراط المستقيم كما أومأنا إليه .

وعُلم من ذلك أن عليّاً عليه السلام كان مقرراً للشريعة ، ومُثْبتاً لها ، وموضّحاً لمقاصد سُنَن الرسول ﷺ، ومفرّعاً لأحكامها ؛ إذا كان هو الممنوح بجوامع العلم ، والمّطلع على الأسرار الإلٓهية، لم يكن مقصوده من

---

(٧٥) العبادات في ب .

(٧٦) المشورة : مخاطبة يراد بها الإقناع بفعل شيء لنفعه ، أو ترك فعل لضرره .

(٧٧) المنافرة : مخاطبة يراد بها الإقناع بفضيلة شيء فيمدح ، أو نقيصة شيء فيذم .

(٧٨) المشاجرة : مخاطبة يراد بها الإقناع في شكاية ظلم ؛ أو اعتذار بأنه لا ظلم . وقد سبق تعريف هذه الأنواع الثلاثة في بداية البحث الرابع ص ٩٤ .

جميع الأقوال المنقولة عنه إلا الغرض الأول من وضع الشرائع والسنن :

بيان ذلك أنك قد علمت أن الأقوال الخطابية تنقسم بحسب أغراضها ثلاثة أقسام :

مشاورة ، ومنافرة ، ومشاجرة .

فأمّا المشورة فإنها الجزء الأكبر من كلامه عليه السلام ، وأنت تعلم من تصفح كلامه أن كل ما يشير به بالقصد الأول فأنما هو الإقبال على الله تعالى بترك الدنيا والإعراض عنها ، والاستكمال في الفضائل ، وترك الرذائل ، والمنقصات الجاذبة إلى الخَيْبة السافلة المانعة عن الوصول إلى الله سبحانه ، فإنْ عَرض في كلامه أمرٌ بجزئي ، أو نهْيٌ عن أمر جزئي لا يلوح للغافلين منه هذا الشر ؛ كمصالح الحرب والعُدّة والمدنيّة وغير ذلك ، فإنه عند الاعتبار يُرجع إليه ؛ لأن كل ذلك يَرجع إلى نُصْرة الدين وتقويته ، ونظامِ أمر العالم ، وترتيب مصالحه .

وأما المنافرة فقد عرفت أن جميع ما ورد في كلامه عليه السلام من الذم إنما هو للدنيا ، واتباع الهوى ، وارتكاب الرذائل الموبقة(٧٩) ، ومن ارتكبها ، وأشباه ذلك مما يُبعد عن الله تعالى ، وما ورد فيه من المدح فإنما هو لله سبحانه وللملائكة ورسله والصالحين من عباده ، وما هم عليه من الفضائل ، وترك [٥٧ أ] الهوى ، والإعراض عن الدنيا ، وما ينبغي أن يكون الخلق عليه من ذلك .

ولا شك أن الأول جذب للخلق بتحقير ما تميل طباعهم إليه من الأمور الفانية ، وتصغيره وذمّه والتنفير عنه ، وذمّهم على ارتكابه ؛ ليتقهقروا عنه إلى ما وراءهم من النعيم الأبديّ والخير السّرمديّ(٨٠) ، وليتذكروا معبودهم الحقّ سبحانه ، ولا يكونوا من المعرِضين الهالكين .

---

(٧٩) الموبقة : المهلكة .

(٨٠) السرمد : الدائم الذي لا ينقطع . مادة سرمد .

والثاني أيضاً جذْب لهم بتعظيم ما ينبغي أن يلتفتوا إليه وتكبيره ومدحه ، والترغيب فيه ، وفيما يكون وسيلة من الفضائل ، والإعراض عن الدنيا وغير ذلك .

وأما الأمور المشاجرية ، فما كان في كلامه عليه السلام منها ؛

فإما بيان للظلم والجوْر(٨١) وأسبابهما وما يئولان إليه من سوء العاقبة . وقبح الخاتمة عند الله تعالى .

أو بيان للعدل وأسبابه وما يئول إليه من حسن العاقبة وحميد المنقلب إلى الله : كما يشتمل عليه كثير من كتبه إلى عمّاله ومحاربيه ، ولا شك أن كل ذلك جذْب إلى الله تعالى بالتصريح والإشارة .

وإما تظلم من ظالم خرج عن رِبْقة(٨٢) الدين ، واتبع هواه ، وشكاية من(٨٣) أفعاله الخارجة عن نظام الشريعة المؤدّية إلى ضد مقاصد الشارع(٨٤) ، ولا يخفى أن مقصوده من ذلك التظلّم والشكاية ، إقناعُ الخلْق بأن فلاناً ظالمٌ آخذٌ لما لا يستحقه ؛ ليَثْبُتوا على الحقّ ويفيئوا إليه ، وينكسر وهْم من عسَاه يتوهم أنّ خَصمه على الحقّ ، فربما كان بقاء ذلك الوهم سبباً للّحُوق(٨٥) به ، وذلك بالحقيقة تثبيت على الحقّ ، وجذب عن الباطل ، وهو نفس الأمر مقصود الشارع وغايته .

وإما اعتذارٌ مما يتخيّله الجاهلون في حقّه ظلماً وجَوْراً ، كاعتذاره/

---

(٨١) الجور : نقيض العدل ، وكل ما مال عن القصد .

(٨٢) الربْقة : في الأصل : عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها ، فاستعارها للدين ، يعني ما يشد به المؤمن نفسه من عرا الدين ، أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه . اللسان مادة ربق .

(٨٣) عن أفعاله في ب .

(٨٤) الشارع : أي الشريعة والشرع .

(٨٥) للحقوق في ب .

[٥٧ ب] عليه السلام عما تخيّله جماعة في حقّه ظلماً من (القعود)[٨٦] عن نصرة عثمان حتى نسبوه إلى أنه قاتله[٨٧] ، وتنصّله عن ذلك . وكذلك اعتذاره فيما تخيّله الخوارج ذنباً من تحكيم الحكمين[٨٨] وغير ذلك ، فإن الاعتذار في هذه المواضع وأمثالها جذب إلى الحق، وصرف عن الباطل، إذ كان الاعتذار منه طلباً لإقناع من تخيّل فيه ظلماً بأنه ليس كما خيّل إليهم، وإن ما صدر ليس بظلم ولا جوْر، ليفيئوا إلى طاعته، والاقتداء به فيما هو عليه من اتّباع الحقّ والنُصْرة للدين والذّب عنه[٨٩] . ومعلوم أن ذلك كله جذب إلى الله سبحانه وإلى أسباب ما يوصل إليه .

فقد علمت من هذا البيان أن غايته عليه السلام من جميع أقواله إنما هو توجيه الخلْق إلى جناب الله ، والتفاتهم إلى حضرته القدسيّة ، وهذه هي الغاية التي اتفق عليها الأنبياء والرسل ، وتطابقتْ عليها الشرائع والسُنن ، ومن تأمّل ما قلناه وترك متابعة هواه ، وطبّق ما أوردناه من القانون الكليّ على كلامه ، علم صحة ما ادّعيناه ، وبالله التوفيق .

---

(٨٦) العقود في أ ب .

(٨٧) كما في خطبته رقم ٣٠ من نهج البلاغة ص ٧٣ .

(٨٨) كما في خطبته بعد التحكيم رقم ١٢٥ ، ١٢٧ . نهج البلاغة ص ١٨٢ ، ١٨٤ .

(٨٩) الذبّ عن الدين : الدفاع عنه .

القاعدة الثالثة

في بيان أن عليّاً عليه السلام كان مستجمعاً للفضائل الانسانية .

وفيها فصول :

الفصل الأول

في فضائله اللّاحقة له من خارج ، ولنذكر منها وجوهاً :

أ - نسبه من رسول الله ﷺ، وهو أبو الحسن علي بن أبي طالب ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ .

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، وهي أول هاشميّة وَلدت هاشمياً ، وكان عليّ عليه السلام أصغرَ أولادها ، وعُقَيْلٌ أسنّ منه بعشْر سنين ، وطالبٌ أسنّ من عقيل بعشر سنين . .

وهي أول امرأة بايعت رسول الله ﷺ من النساء ، وكان / [٥٨ أ] ﷺ يكرمها ويدعوها أمه ، وأوصت إليه حين حضرتها الوفاة فقبل وصيّتها وصلّى عليها ، ويُروى أنه نزل لحْدَها[١] واضطجع معها بعد أن ألبسها قميصه ، فقال له أصحابه في تخصيصها بذلك فقال : «إنه لم يكن أحدٌ بعد أبي طالب أبرَّ بي منها ، وإنما ألبستُها قميصي لِتُكْسَى من حُلَل الجنّة ، وإنما اضطجعتُ معها ؛ لتأمنَ ضَغْطَة القبْر» .

ب - سبْقه إلى الإسلام وفضيلته في ذلك ظاهرة .

جـ مجاهدته أعداء الله ، ونصرته للدين ، وذبّه عنه ، ومقاماته في ذلك مشهورة مأثورة تكاد لا تحصى كثرة .

(١) اللحد : القبر .

د ـ تخصيص الرسول ﷺ تزويجه فاطمة دون من خطبها . من أكابر المهاجرين والأنصار .

هـ ـ كون الحسن والحسين عليهما السلام اللذين هما سيّداً شباب أهل الجنة ولديه ، وذلك فضل عظيم .

و ـ قوله تعالى : ﴿**ولمّا ضُرب ابنُ مرْيم مثلاً إذا قومُكَ منه يَصِدُّونَ**﴾[٢] قيل إنها نزلت[٣] في علي عليه السلام ، وفي جعل عيسى عليه السلام مثلاً له فضل عظيم ، ويؤيد ذلك في قول النبي ﷺ له: «لولا أن تقول فيك طوائف أمتي ما قالت النصارى في عيسى لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمرّ بعده بملأٍ منهم إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك » ، وهذا الكلام يقتضي أنه ، لو وصفه بشيء لما وصفه إلا بأوصاف عيسى عليه السلام التي لأجلها قالت النصارى فيه ما قالوا .

ز ـ قوله تعالى : ﴿**ويُطْعِمون الطعامَ على حُبّه مسكيناً ويتيماً**

(٢) الزخرف آية ٥٧ ، يصِدون : يضجون ويجزعون .
في شواهد التنزيل لقواعد التفضيل للنيسابوري ، / ١٦٠ رقم ٨٦٠ قال : أخبرنا ابو القاسم القرشي ـ بسنده ـ عن عليّ قال : جئت إلى النبي يوماً فوجدته في ملأ من قريش فنظر إلي ثم قال : يا عليّ إنما مثلك في هذه الآية كمثل عيسى بن مريم احبه قوم فأفرطوا ، وابغضه قوم فأفرطوا فيه ، قال : فضحك الملأ الذين عنده ثم قالوا : انظروا كيف شبه ابن عمه بعيسى بن مريم ، قال : فنزل الوحي (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) وقبل هذه الرواية رواية أخرى تحت رقم ٨٥٩ قال : أخبرني ابو بكر ابي الحسن الحافظ ـ بسنده ـ قال لي عليّ : فيّ نزلت (ولما ضرب ابن مريم مثلاً) .

(٣) عن ابن عباس : (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون) قال : يعني قريشاً لما قيل لهم : (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) فقالت له قريش : فما ابن مريم؟ قال : ذاك عبد الله ورسوله ، فقالوا : والله لا يريد هذا إلا أن نتخذه ربّا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربّا ، فقال الله عز وجل : (ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خَصمون) تفسير الطبري ٢٥/ ٥٢ ط بولاق .

وأسيراً ، إنما نطعمُكُم لوجهِ الله﴾[٤] الآية . اتفق المفسرون على أنها نزلت في علي عليه السلام وأهل بيته / [٥٨ ب]، وسبب نزولها مشهور في كتب التفسير وغيرها ، وكفى بذلك شرفاً .

حـ - روى أنه لما نزلت ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ واعِيَةٌ﴾[٥] قال النبي ﷺ : «اللّهم اجْعَلْها أُذَنَ عَليّ»[٦] ، ولا شكّ أن الرسول ﷺ كان مُجابَ الدعوة ، ولذلك قال عليّ عليه السلام : فما شككتُ في شيء سمعتُه بعد ذلك ، وذلك من أعظم الفضائل .

ط - من طريق الكلّ قول النبي ﷺ في حقه : «اللهم أدرْ الحقَّ مع عليٍّ حيثُ دار»[٧] . ولا شك في استجابة دعائه ، ومن كان الحقُ وَجْهَ أقواله وأفعاله فلا مزيد على فضْله .

ي - من طريق الكل قوله ﷺ: «أنت منّي بمنزلة هرون من موسى إلا

---

(٤) سورة الإنسان آية ٨ ، ٩ وتمام الآية : ﴿إنَّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾ .

(٥) سورة الحاقة آية ١٢ وتمام الآية : ﴿لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية﴾ .

(٦) نصّ الحديث : «اللهم اجعلها أذن عليّ» والحديث في شواهد التنزيل لقواعد التفضيل للنيسابوري ٢/ ٢٧٨ رقم ١٠١٦ قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد التميمي ، أخبرنا يحيى بن صالح ، أخبرنا عليّ بن حوشب عن مكحول في قوله : (وتعيها أذن واعية) قال : قال رسول الله ﷺ: «فسألت ربي اللهم اجعلها أذن علي» فكان علي يقول : «ما سمعت من نبيّ الله كلاماً إلا وعيته وحفظته فلم أنْسه» .

وفي فضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروز آبادي ٢/ ٢٧٢ قوله تعالى : ﴿وتعيها اذن واعية﴾ قال : (تفسير ابن جرير الطبري ٢٩/ ٣٥) روى بسنده عن مكحول يقول : قرأ رسول الله ﷺ ﴿وتعيها أذن واعية﴾ ثم التفت إلى عليّ عليه السلام فقال : «سألت الله أن يجعلها أذنك» قال عليّ ﷺ: فما سمعت شيئاً عن رسول الله ﷺ فنسيته .

(٧) جزء من حديث للرسول ﷺ آخره : «رحم الله علياً ، اللهم أدر الحق معه حيث دار» حديث غريب باب المناقب صحيح الترمذي ١٣/ ١٦٦ .

أنّـه لا نبيّ بعدي»[8] ، والاستثناء هنـا يشهـد بـإثبـات جميـع المنـازل التي كـانت لهـرون من مـوسى إلا النبـوّة ، ومـا علم نفيـه من الأخـوة فبقي كـونـه وزيراً أو ناصراً وقائماً بناموس الشريعـة ، ومفرّعـاً لأحكامهـا الكلّيّة ، وخليفـة لـه ؛ كما كـان هـرون كـذلـك ، ومن هنـا تمسّكت الشيعـة بهـذا الخبـر في استحقاقه للخلافة ، وكفى بهذه فضيلة .

ك ـ من طريق الكل قـوله ﷺ : «من كنت مـولاه فعليّ مولاه»[9] وسـواء كان المراد هاهنا بالمَوْلى : الأولى بالتصرف، أو الناصر فإن الفضل حاصل .

ل ـ قوله ﷺ في حقه «أقضاكم عليّ»[10] ولا شـك أن القضاء محتـاج إلى أنواع العلوم ، وكفى بشهادة الرسول ﷺ بذلك فضلاً .

م ـ قـوله ﷺ : «أُعْـطيتُ جوامـعَ الكَلِم ، وأُعطِيَ عليّ جـوامع العلم ، وكفى بهذه الشهادة فضلاً .

---

(8) الحديث رواه البخاري ، ورواه مسلم في كتـاب فضائـل الصحابـة ٤/ ١٨٧ باب من فضـائل علي بن أبي طـالب ، وأحمـد في مسنـده ٥/ ٣١ ، والنسـائي وابن مـاجـه ، والـطبـراني في الأوسط .

(9) الحـديث : «اللهم من كنت مـولاه فعليّ مـولاه ، اللهمّ وال من والاه ، وعـاد من عـاداه ، وانصر من نصره ، وأعنْ من أعانه » مسند احمد ٥/ ٣٢ وذكره الطبراني في الكبير .

والحـديث في مجمع الـزوائـد ٧/ ١٧ بلفظ عن عمـار بن يـاسـر قـال : وقف على عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ سائل ـ وهو راكع ـ في تـطوع فنزع خـاتمه فـأعطاه السـائل فـأتى رسول الله ﷺفأعلمه بذلـك فنزلت على رسـول الله ﷺ **هذه الآيـة : (إنما وليّكم الله ورسـوله والذين آمنوا الـذين يقيمون الصـلاة ويؤتون الـزكاة وهم راكعـون﴾** فقرأهـا رسول الله ﷺ ثم قـال : «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عـاداه » قال الهيثمي : رواه الطبراني من الأوسط .

والحديث في المطالب العالية ٤/ ٦٠ رقم ٣٩٥٧ ، ٣٩٥٨ قـال البوصيـري : رواه أبو يعلى والبزار ومدار أسانيدهم على داود بن يزيد الأودي ، وهو ضعيف .

(10) قـال رسـول الله ﷺ لصحـابتـه حين اطلع على فتـاوي عليّ وقضـائـه في اليمن : «عليّ أقضاكم» وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال عمـر رضي الله عنه : «أقـرؤنا أبيّ ، واقضانا عليّ » فتح الباري بشرح البخاري كتاب التفسير ٩/ ٢٣٣ ط الحلبي .

ن ـ من طريق الشيعة أن خوطب بإمرة المؤمنين في حياة [٥٩ أ] الرسول ﷺ وأنكره المحدّثون من غيرهم .

روى أحمد في مسنده في كتابه في فضائل الصحابة ، وكذلك أبو نعيم الحافظ[٨] الأصفهاني في كتاب حلية الأولياء : أن رسول الله ﷺ خاطبه بيعْسُوب المؤمنين[٩] ؛ واليعسُوب أمير النحْل ، وكل ذلك إشارةٌ إلى فضله .

س ـ تربيته رسول الله ﷺ من أول عمره إلى أن أعده لأعلى مراتب الكمالات النفسانية .

قال عليه السلام في تربية النبي ﷺواتّباعه أثره في خطبته المسماة بالقاصعة[١٢] «وقد علمتُمْ مَوْضعي مِن رسول الله ﷺ بالقرابةِ القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حِجْره وأنا وليدٌ يضُمُّني إلى صدره ، ويكْنُفُني في فراشه ، ويُمسّني جسدَه ، ويُشِمُّني عَرْفه[١٣] ، وكان يمْضُغُ

---

(٨) أبو نعيم الحافظ : هو الحافظ ابو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفي ٤٣٠ هـ وكتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء هو أكبر موسوعة في تاريخ نسّاك هذه الأمة وزهادها ويشتمل على زهاء ثمانمائة ترجمة ، وهو مطبوع في عشرة مجلدات .

(٩) اليعسوب هو السيد والرئيس والمقدم ، ويعسوب الدين : سيد الناس في الدين اللسان مادة عسب .

ومخاطبة الرسول لعليّ بأنه يعسوب النحل رواه احمد في مسنده في كتابه عن فضائل الصحابة ٥/ ٣٠ ، ٣١ ، وأبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء، أن الرسول خاطب علياً بأنه يعسوب النحل .

وورد في كشف الخفاء للعجلوني ١/ ٢٢٨ تحت رقم ٥٩٦ بلفظ «أمير النحل عليّ» وقال : قال في المقاصد : لا أصل له ، وان وقع في كلام ابن سيده في المحكم : «اليعسوب امير النحل» ورواه الطبراني من حديث أبي ذر وسلمان .

وقال عليّ كرم الله وجهه: «أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجّار » أي أن المؤمنين يتبعونني ، والفجار يتبعون المال كما تتبع النحل يعسوبها وهو رئيسها نهج البلاغة ٥٣٠ .

(١١) تربية في النسخة ب .

(١٢) القاصعة : من قصع فلان فلاناً : أي حقره ؛ لأنه عليه السلام حقر فيها حال المتكبرين .

(١٣) عرفه : رائحته الذكية .

الشيءَ ثم يلْقِمُنيه ، وما وجد لي كَذْبةً في قول ولا خَطْلة[١٤] في فعل ، ولقد قرن الله به ﷺ مِن لدُنْ أن كان فطيماً أعظمَ ملَك من ملائكته يسلك به من طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ليلَه ونهاره ، ولقد كنت اتّبعه اتباع الفِصِيل[١٥] أثَر أمّه ، يرفع لي في كل يوم عَلَماً[١٦] من أخلاقه ، ويأمرني بالاقتداء به ، ولقد كان يُجاورُ في كل سنة بحراء[١٧] فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمعْ بيت واحد يومئذ في الإسلام غيرَ رسولِ الله ﷺ وخديجةً وأنا ثالثُهما ، أرى نورَ الوحْي والرسالة ، وأشمُّ ريح النبوة ، ولقد سمعتُ الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ ، فقلت يا رسول الله : ما هذه الرّنَّة؟ فقال : «هذا الشيطانُ قد أيِسَ من عبادته إنك تسمعُ ما أسمع ، وترى ما أرى ، إلا/ [٥٩] أنك لست بنبيّ ، ولكنك لوزير ، وإنك لعلى خير»[١٨] ، إلى آخر الكلام ، حتى صار بهذه التربية أستاذ العالمين بعده ﷺ في جميع العلوم .

وبيان ذلك ؛ إما جملة ، فلقول النبي ﷺ : «أنا مدينةُ العلْم ، وعليّ بابها»[١٩] ولا شك أن المقصود أنه ﷺ هو المنبع الذي تفيض عنه العلوم

---

(١٤) الخطلة : مفرد الخطل ، وهو الخطأ الناشيء من عدم الروية .

(١٥) الفصيل : ولد الناقة .

(١٦) في نهج البلاغة : «في كل يوم من اخلاقه علماً» ص ٣٠٠ .

(١٧) حراء : جبل قريب من مكة .

(١٨) نهج البلاغة ص ٣٠٠ .

(١٩) الحديث : «أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد العلم فليأت الباب» .

في مسند أحمد ٥/ ٣٠ ، ٣١ . والطبراني في الكبير ، وأورده الحاكم في المستدرك ٣/ ١٢٦ (كتاب معرفة الصحابة) عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن اراد المدينة فليأت الباب» قال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد .

قال الذهبي في التلخيص : قلت : بل موضوع .

والحديث في تاريخ بغداد ٢/ ٣٧٧ .

وأورده القرطبي في تفسير ٣٣٦/٩ ، قال القاضي أبو بكر بن العربي : أما من قال أنه

الإسلامية والأسرار الحُكْمية التي اشتمل عليها القرآن الحكيم ، والسّنة الكريمة ، وهو مصدرها ، والمحيط بها ؛ لأن شأن المدينة بما تحتوي عليه كذلك . وأن عليّاً عليه السلام هو المفرّع لتلك الأسرار والمهتدي لتفاصيل جملها ، وأحكامها الكليّة بحسب ماله من كمال الحدْس[٢٠] ، وقوة الاستعداد ، بحيث تصير تلك الأسرار سهلةَ التناول ، قريبة المأخذ بسائر الخلق ؛ لأنّ الباب هو الجهة التي منها ينتفع الخلْق من المدينة ، ويمكنهم تناول ما أرادوه منها .

وإما تفصيلاً ؛ فإنّا بحثْنا العلوم بأسرها فوجدنا أعظَمها وأهمَّها هو العلْم الإلّهي[٢١] ، وقد ورد في خطبه عليه السلام من أسرار التوحيد[٢٢] والنبوات[٢٣] والقضاء والقدر[٢٤] ، وأسرار المعاد[٢٥] ، كما سنبيّنه ، ما لم يأت في كلام أحد من أكابر العلماء وأساطين الحكمة ، ثم وجدنا جميع فرق الإسلام تنتهي في علومهم إليه .

أما المتكلمون ؛ فأما المعتزلة[٢٦] وانتسابهم إليه ظاهر ؛ فإن أكثر

عليّ فعوّل على أحد وجهين:

إما لأنه عنده أعلم المؤمنين ، وليس كذلك ؛ بل ابو بكر وعمر وعثمان أعلم منه ولقول النبي ﷺ: «انا مدينة العلم وعليّ بابها» وهو حديث باطل ؛ النبي ﷺ مدينة علم ، وأصحابه أبوابها : فمنهم الباب المنفسح ، ومنهم المتوسط على قدر منازلهم في العلوم . وقال بها من الصفحة : في كشف الخفاء بحث قيم في هذا الحديث ١/ ٢٠٣ فما بعد ، وجزم ابن تيمية بأنه من وضع الشيعة .

(٢٠) الحدس : التوهم في معاني الكلام والأمور ، والحدس أيضاً : الظن والتخمين .

(٢١) في الخطبة رقم ٤٩ من نهج البلاغة ص ٨٧ جملة من صفات الربوبية والعلم الإلّهي .

(٢٢) كما في الخطبة الأولى من نهج البلاغة ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٢٣) كما في ذكره اختيار الأنبياء وصفة خلق آدم عليه السلام ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٢٤) نهج البلاغة ص ٤٨١ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٣٧ .

(٢٥) نهج البلاغة ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٢٦) المباديء العامة للمعتزلة تتركز في خمسة أصول هي : التوحيد والعدل والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . الانتصار ١٢٦ .

أصولهم مأخوذة من ظواهر كلامه في التوحيد والعدل ، وأيضاً فإنهم ينتسبون إلى مشايخهم كالحسن البصري[٢٧] وواصل بن عطاء[٢٨] ، وكانوا منتسبين إلى عليّ عليه السلام ، ومتلقّفين عنه العلوم .

وأما أشعرية ، ومعلوم أن استاذهم ابو الحسن الأشعري[٢٩] ، وقد كان تلميذاً لأبي عليّ الجبّائي[٣٠] ، وهو من / [٦٠ أ] مشايخ المعتزلة ، إلا أنه تنبّه لما وراء أذهان المعتزلة فخالف أستاذه في مواضع تعلّمها من مذهبه .

وأما الشيعة[٣١] ، فانتسابهم إليه ظاهر ، فإنهم يتلقّفون العلوم عن أئمتهم ، وأئمتهم يأخذ بعضهم عن بعض إلى أن ينتهي إليه وهو إمامهم الأول .

وأما الخوارج[٣٢] فهم وإن كانوا في غاية من البعد عنه ، إلا أنهم

---

(٢٧) هو الحسن بن يسار البصري امام أهل البصرة وغاية في الفصاحة ولد سنة ٢١ هـ وتوفي ١١٠ هـ الاعلام ٢ / ٢٤٢ .

(٢٨) واصل بن عطاء : زعيم المعتزلة بالبصرة ، سمي اصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري ، ومنهم طائفة تنسب إليه تسمى الواصلية ٨٠ - ١٣١ هـ الإعلام ٩/ ١٢١ .

(٢٩) كان تلميذاً للجبّائي المعتزلي ثم خرج عليه وعلى مذهب المعتزلة ، وهو مؤسس المذهب الكلامي الاسلامي الذي يعرف باسم الأشعرية والذي يعرف بمذهب اهل السنة ٨٧٣ - ٩٤١ م الموسوعة ١٦٦ .

(٣٠) من ائمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره ٢٣٥ - ٣٠٣ هـ . الاعلام - الزركلي ١٣٦/٧ .

(٣١) الشيعة هم اصحاب علي واتباعه ، وقد رأوا بعد وفاة النبي ﷺ أن أهل بيته أولى الناس ان يخلفوه وأولى أهل البيت العباس عم النبي وعلي ابن عمه ، وعلي اولى من العباس . فجر الاسلام ٢٦٦ ط ٧ .

(٣٢) الخوارج : هم الذين خرجوا على عليّ وصحبه بعد التحكيم ، وقد حاربهم علي في الوقعة الشهيرة بوقعة النهروان وهزمهم وقتل منهم كثيراً ، فأمعنوا في كره علي ودبروا مكيدة قتله على يد عبد الرحمن بن مُلْجَم الخارجي ، فجر الاسلام ص ٢٥٧ .

ينتسبون إلى مشايخهم ، وقد كانوا تلامذة عليّ عليه السلام .

وأما المفسرون، فرئيسهم ابن عباس[٣٣] ـ رضي الله عنه ـ وقد كان تلميذ عليّ عليه السلام .

وأما الفقهاء فمذاهبهم المشهورة أربعة :

أحدها : مذهب أبي حنيفة، ومن المشهور أن أبا حنيفة[٣٤] قرأ على الصادق[٣٥] عليه السلام ، وأخذ عنه الأحكام ، وانتهاء الصادق عليه السلام إلى عليّ عليه السلام ظاهر .

الثاني : مذهب مالك[٣٦] ، وقد كان مالك تلميذ الربيعة ،[٣٧] ، وربيعة تلميذ عكرمة[٣٨] ، وعكرمة تلميذ عبد الله بن عباس ، وقد كان تلميذاً لعليّ عليه السلام .

الثالث : مذهب الشافعي[٣٩] ، وقد كان الشافعي تلميذاً لمالك .

---

(٣٣) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ وكان يقال له الحبر والبحر ؛ لكثرة علمه تهذيب التهذيب ـ ابن حجر العسقلاني ٥/ ٢٧٦ ط الهند .

(٣٤) ابو حنيفة هو النعمان بن ثابت بن زوطَى فارسي الأصل ، ولد بالكوفة ٨٠ هـ ومات ببغداد ١٥٠ هـ ومنهجه الأخذ بالكتاب والسنة وفتاوي الصحابة ثم بالقياس والاستحسان والعرف . الموسوعة ٣٢ .

(٣٥) هو جعفر الصادق سادس أئمة الشيعة الامامية ولد بالمدينة وعاصر الدولة الاموية والعباسية ٦٩٩ ـ ٧٦٥ الموسوعة ٦٣٤ .

(٣٦) هو مالك بن انس الأصبحي المدني ، ولد سنة ٩٣ أو ٩٧ وتوفي ١٧٩ هـ ض الاسلام ٢/٢٠٦ .

(٣٧) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ التيميّ المعروف بربيعة الرأي وعنه اخذ مالك توفي بالمدينة ١٣٦ هـ

(٣٨) هو عكرمة بن خالد بن العاص روى عن ابيه وابي هريرة ، وابن عباس وابن عمر . تهذيب التهذيب ٢٥٨/٧ تهذيب التهذيب ٣/ ٢٥٨ .

(٣٩) الشافعي هو محمد بن ادريس ولد سنة ١٥٠ هـ ت ٢٠٤ هـ ض الاسلام ٢/ ٢١٨ .

الرابع : مذهب احمد بن حنبل(٤٠) ، وكان أحمد تلميذ الشافعي ، فرجع انتساب فقه الجميع إلى عليّ عليه السلام .

ومما يؤيد كماله في الفقه قول الرسول ﷺ: «أقضاكم عليّ»(٤١) والأقضى لا بدّ أن يكون أفقه وأعلم بقواعد الفقه وأصوله .

وأما الفصحاء ، فمعلوم أن جميع من ينسب إلى الفصاحة بعده يملأون أوعية أذهانهم من ألفاظه ، ويضمّنونها كلامَهم وخطَبَهم ، فتكون منها بمنزلة ورد العقود ، كابن نباته(٤٢) وغيره ، والأمر في ذلك ظاهر .

واما النحويّون ؛ فأول واضع للنحو هو أبو الأسود الدؤلي(٤٣) ، وكان ذلك بإرشاده له إلى ذلك ، وبداية / [٦٠ ب] الأمر أن أبا الأسود سمع رجلاً يقرأ : ﴿إن اللَّهَ بريءٌ من المُشْركينَ ورسولِه﴾(٤٤) بالكسر . فأنكر ذلك ، وقال : «نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر»(٤٥) أي من نقصان الإيمان

---

(٤٠) احمد بن حنبل ولد ونشأ في بغداد ١٦٤ هـ وتوفي ببغداد سنة ٢٤١ هـ ص الاسلام ٢/٢٣٥ .

(٤١) سبق ذكره في ص ١٠٦ .

(٤٢) ابن نباته شاعر ولد ومات ببغداد ويعتمد في شعره على البديع من جناس وطباق وله ديوان شعر مطبوع . وهو عبد العزيز بن عمر التميمي المعروف بابن نباتة السعدي ٩٣٨ - ١٠١٥ م الموسوعة العربية ٢٨ .

(٤٣) هو ظالم بن عمرو ، اول من اسس النحو وصحب علياً وشهد معه صفين ومات سنة ٦٩ هـ بقية الرعاة ٢/٢٢ .

(٤٤) التوبة ٣ .

(٤٥) هذا كلام مروي عن الرسول ﷺ: «اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والحور بعد الكور ، وسوء المنظر في الأهل والمال » المجازات النبوية ص ١١٣ ط الحلبي والحور بعد الكور مأخوذ من طور القمامة بعد كورها ، وهو نشرها بعد طيّها والمراد تفكك الأمور بعد انضمامها ، والقلة بعد الكثرة والنقصان بعد الزيادة فكأنه تعوّذ من الانتقال من حال حسنة إلى حال سيئة .

وهذا دعاء دعا به علي كرم الله وجهه ربه عند عزم علي المسير إلى الشام نهج البلاغة ٨٦ .

بعد زيادته ، وراجع علياً عليه السلام في ذلك ، فقال له : نحوْتُ أن أضع للناس ميزاناً يقوّمون به ألسنتهم ، فقال له عليه السلام : أنحُ نحوه وأرشَده إلى كيفيّة ذلك الوضع وعلّمَه إياه .

وأما علماء الصوفية وأرباب العرفان ، فنسبتهم اليه في تصفية الباطن ، وكيفية السلوك إلى الله تعالى ظاهرة الانتهاء .

وأما علماء الشجاعة والممارسون إياه للأسلحة والحروب ، فهم أيضاً ينتسبون إليه في علم ذلك .

فثبت بذلك أنه كان أستاذ الخلْق وهاديهم إلى طريق الحق بعد رسول الله ﷺ، ومناقبه وفضائله أكثر من أن تُحصى ، وبالله التوفيق .

الفصل الثاني
في بيان فضائله النفسانيّة:

وهي إما أن يُعتبر بالنسبة إلى قوّته النظرية، وإلى قوته العملية، فإذن هاهنا بحثان:

البحث الأول: في أنه عليه السلام كان مستجمعاً لكمال قوّته النظريّة، وقد علمت أن كمال القوة النظرية، إنما هو باستكمال الحكمة النظرية؛ وهي استكمال النفس الإنسانية بتصوّر المعارف الحقيقة، والتصديق بالحقائق النظرية بقدر الطاقة البشرية، ولا شك أن هذه الدرجة كانت ثابتة له عليه السلام.

وبيان ذلك ببيان أنه عليه السلام كان سيدَ العارفين بعد سيدِ المرسلين ﷺ، وإنه كان متسنّماً لدرجة الوصول.

وتحقيق ذلك أنه قد ثبت في علم كيفيّة السلوك أن وصول العارف إنما يحقّ إذا غاب عن نفسه فلحظ جناب الحق من حيث إنه هو فقط، وإن لحظ نفسه فمن حيث هي لاحظ، لا من حيث هي متزيّنة بزينة الحق، ثم إنه قد وُجد في كلامه وإشاراته ما يستلزم حصول هذه المرتبة له، ولنذكر منها مواضعَ ثلاثة:

الأول: قوله عليه السلام: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً».

وقد عرفت أن ذلك إشارة إلى أن الكمالات النفسانية المتعلقة بالقوة النظرية قد حصلت له بالفعل، وذلك يستلزم تحقّق الوصول التام الذي ليس في قوة الأنبياء نيْلُه.

الثاني: قوله عليه السلام حكاية عن رسول الله ﷺ في حقه «إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبيّ» ولا إشكال في أن

النبي ﷺ كان له الاتصال التام بـالحق تعالى، فكـان هذا الاتـصال والوصـول حـاصلاً لعليّ عليـه السلام بمقتضى شهـادة الرسـول، وإن كان التفـاوت بين المرتبتين قائمـاً؛ لأن للاتصال بـالجناب الأقـدس درجات لا تتنـاهى، ولذلـك قـال: «إلا أنك لست بنبيّ». وستعلم من تفـاصيل كـلامه عنـد الانتهـاء إليـه تحقيق هذه المرتبة.

الثالث: قولـه عليه السـلام: «إلهي ما عبـدتُك خـوفاً من عقـابك، ولا رغبةً في ثوابك، ولكن وجدتُك أهلاً للعبادة فعبدتُك».

وجه الاستدلال؛ أنه حذف كل قيد دنيـويّ وأخرويّ عن درجـة الاعتبار سوى الحق تعالى، وذلك مما يتحقّق له الوصول، ومما يؤيد ذلك أنا سنبيّن إن شاء الله تعالى تمكّنه عليه السـلام من الكرامـات، وصدورهـا عنه، وذلك من خواصّ الواصلين.

البحث الثاني: في بيان كماله في قوته العملية[1].

وكمـا علمت أن كمال القـوة النظريـة إنما هـو باستكمـال الحكمة النـظريـة، فكـذلك كمـال القـوة العمليـة إنمـا هـو بـاستكمـال الحكمـة العمليـة، وهي استكمـال النفس بكمـال الملكـة التـامـة على الأفعـال الفــاضلة حتى يكـون الإنسـان ثـابتــاً على/[٦١ ب] الصـراط المستقيم متجنّبــاً لـطرفي الإفــراط والتفريط في جميع أفعاله، ثم قـد ثبت في علم الأخلاق أن أصـول الفضائـل الخلقية ثلاثة:

أحـدهـا: الحكمــة الخلقيـة، وهي الملكــة التي تصدر عنهـا الأفعـال المتوسطة بين الجَرْبَزة[2] والغباوة اللذين هما طرفا الإفراط والتفريط.

وأنت تعلم مِن تصفّح أفعالـه وأقوالـه وتدابيـره في أمور الحـرب ونظام

(١) في قوته العلمية ب.

(٢) الجربزة: الخداع والخبث، وهو معرّب. مادة جربز.

أمور العالم ما تضطر معه إلى الحكم بأنه كان مستلزماً لهذه الفضيلة وغير واقف دونها في حدّ الغباوة، ولا متجاوز لها إلى طرف الجربزة؛ لأن خبث المتجربز يمنعه عن الترقي إلى درجة الكمال، ويأبى طبعه إلا الشر.

وثانيها: العفة، وهي الملكة الصادرة عن اعتدال حركة القوة الشهوية بحسب تصريف العقل العملي لها على قانون العدل، وبها تصدر الأفعال المتوسطة بين الجمود والفجور اللذين هما طرفا الإفراط والتفريط، ونبيّن أن هذه الملكة كانت ثابتة له عليه السلام من وجهين:

الأول: إنه كان أزهد الخلق في الدنيا بعد الرسول ﷺ وفيما عدا القبلة الحقيقية، واقدر على حذف الشواغل الملفتة عن لقاء الله، وكل من كان كذلك، كان مالكاً لهواه، مصرّفاً لشهوته بيد عقله.

أما المقدمة الأولى فمعلومة بالتواتر، وأما الثانية فضرورية أيضاً.

الثاني: قول النبي ﷺ: «اللّهمّ أدِر الحقَّ مع عليّ حيثُ دار»[3] ولا شك في استجابة دعائه، ومن كان الحق لازماً لحركاته وتصرفاته استحال أن يلزمها باطل؛ لأن الأمر الواحد لا يلزمه لازمان مختلفان، فاستحال أن يكون مطيعاً[4] للهوى البتة، وهو معنى العفة.

ومما يؤكد حصول هذه الملكة ما روي أنه عليه السلام ما شبع من طعام قطّ، وأنه /[٦٢ أ] كان من أخشن الناس ملبساً ومأكلاً، يقنع بقرص الشعير، ولا يأكل اللحم إلا نادراً، أو كان يقول: «لا تجعلوا بطونكم مقبرةً للحيوان» ويقصد بذلك التنفير عنه، وكل ذلك زهادة في الدنيا ولذّاتها.

وثالثها: الشجاعة، وهي الملكة الحاصلة للنفس عن اعتدال القوة الغضبية بحسب تصريف العقل فيما يضبطه لها، وبها تصدر الأفعال المتوسطة بين أفعال الجبن والتهور.

(٣) سبق في ص ١٠٦.
(٤) متبعاً في ب.

وثبوت هذه الفضيلة له عليه السلام معلوم بالتواتر حتى صارت شجاعته يضرب بها المثل مبالغة في حق الرجل الشجاع.

وإذا عرَفت أن هذه الملكات الثلاث ثابتة له كأتمّ ما يمكن، وثبت أنها مستلزمة لفضيلة العدالة، ثبت أن فضيلة العدالة ثابتة له.

وأما باقي أقسام الحكمة العملية، كالحكمة السياسية والمنزلية، فقد علمت أن فائدتهما أن يعلم الإنسان وجه المشاركة التي ينبغي أن تكون من أشخاص الناس؛ ليتعاونوا على مصالح الأبدان ونظام مصالح المنزل والمدينة.

وقد كان عليه السلام في ذلك سبّاق غايات وصاحب آيات، ويكفيك في معرفة ذلك منه.

أما على سبيل الجملة؛ فلأن الشريعة المصطفوية سلام الله على شارعها، واردةٌ بمقاصدها بين الحكمتين على أتم الوجوه وأكملها بحيث يرجع أكابر الحكماء إليها في تعلمها.

ومعلوم أن عليّاً عليه السلام كان متمسكاً ومقرراً لها، وباسطاً لأحكامها الكلّية ومفصّلاً لإشاراتها الجُمْلية لم يغيّر منها حرفاً، ولم يقف فيها دون غاية، وذلك يستلزم ثبوتها له على أكمل وجه وأتمه.

وأما على سبيل/[٦٢ ب] التفصيل، فعليك في معرفة أنه كان أكمل الخلق بعد رسول الله ﷺ في هذا العلم بمطالعة كتبه وعهوده إلى عمّاله وولاته وأمرائه وقضاته، خصوصاً العهد الذي كتبه للأشتر(٥) النخعي، فإن

---

(٥) هو من كتبه عليه السلام للاشتر النخعيّ، لمّا ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر، وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن، ويستهله بقوله بعد البسملة: «هذا ما أمر به عبدالله على أمير المؤمنين، مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولّاه مصر. نهج البلاغة ٤٢٦.

فيـه من لطائف تـدبير أمـر المدينـة ونظام أحـوال الخلق مالا يهتـدى لحسنه، ولا يـوجد عليـه مزيـد من هذا البـاب وهذا مـع ما تـوافـر من رجـوع أكـابـر الصحابة المعترف بحسن تدبيـرهم، وإيالتهم(٦) إلى استشـارته في أمـورهم، وتعـرّف كيفيّة تـدبير العسـاكر والحـروب والمصالـح الكلّية والجـزئية منـه في مواضع كثيرة تعلمها في هـذا الكتاب وفي غيـره؛ كرجـوع عمر إلى رأيـه في الخـروج مع المسلمين إلى غـزو الروم، وغيـر ذلك ممـا هو مشهـور مأثـور، ومـا أشار عليهم بـه من الآراء الكافلة بحسن التـدبير والإيـالة الـوافيـة بنـظام الحركات المدنيّة، كما ستعلم إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق.

---

(٦) رجوعهم إلى استشارته.

الفصل الثالث
في صدور الكرامات عنه

وفيه بحثان:

الأول: في إخباره عن الأمور الغيبيّة، والنظر إمّا في إمكان ذلك، أو في سببه، أو في وقوعه منه، فهاهنا ـ إذن ـ ثلاث مقامات:

المقام الأوّل: في إمكانه:

يجب عليك أيّها الأخ المتلّقي لنفحات الله إذا ذُكر أنّ خليفةً من خلفاء الله أو وليّاً من أوليائه أخبر عن أمر سيكون مبشّراً به أو منذراً مما لا يفي بدركه فوتك ـ وأنت أنت ـ فأصاب، أن لا تبادر إلى التكذيب بأمثال ذلك وتستنكره، فإنك عند مراجعة عقلك وتصفّحك لأحوال نفسك، تجد كلّ ذلك ممكناً، وإليه سبيلاً.

بيان ذلك أن معرفة الأمور الغيبيّة/[٦٣ أ] في النوم ممكنة، فوجب أن يكون في اليقظة كذلك.

أما الأول؛ فلأن الإنسان كثيراً ما يرى في نومه شيئاً ويقع بعده إما صريح تلك الرؤيا، أو تعبيرها[١]، وذلك يوضح ما قلناه:

أما في حق الرائي فظاهر.

وأما من لم يرزق ذلك في حال النوم، فإنه يعلمه بالتواتر من أكثر الخلق.

---

(١) تعبير الرؤيا: ما تشير إليه وتدل عليه، وعبرت الرؤيا: ذكرت عاقبتها وآخر أمرها، كما تقول: عبرت النهر: إذا قطعته حتى تبلغ آخره وعرضه، وفي التنزيل **﴿يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعْبرون﴾** يوسف ٤٣.

الثاني: فلأن ذلك لما صح في حال النوم لم يمكن الجزم بامتناعه في حال اليقظة، فإن الناس لو لم يجرّبوا ذلك في حال النوم، لكان استبعادهم له في تلك الحال أشد من استبعادهم لوقوعه في حال اليقظة، فإن عند عدم التجربة لو قيل لإنسان: إن جماعة من الأولياء اجتهدوا في تلويح مفكراتهم الصافية حال ماهم إيقاظ في تحصيل حكم غيبي فعجزوا.

ثم إن واحداً من الكفار لما نام وصار كالميت حصل له ذلك الحكم، فلا بدّ أن تكذب ذلك وتستنكره لعدم حصوله مع كمال الحركة، وسلامة الحواس عن الغلط[٢]، وكمال العبادة وحصوله مع أضداد ذلك.

فقد بان بذلك أنه لما كان في حال النوم ممكناً كان في حال اليقظة كذلك.

أما المقام الثاني: وهو بيان السبب في الاطلاع على الأمور الغيبية؛ فأما في حال النوم فهو أنه قد ثبت في العلم الإلّهي أن جميع الأمور ـ التي يَصْدُق عليها أنها كانت أو ستكون ـ معلومةٌ لله تعالى، وثبت أن النفس الإنسانية من شأنها الاتصال بجناب الله تعالى، وإنما يعوقها عن ذلك استغراقها في تدبير البدن، فإذا حصل لها أدنى فراغ من ذلك كما في حال النوم وانغلقت عليها أبواب الحواسّ الظاهرة، رجعت بطباعها إلى الاتصال بالجناب المقدس، فينطبع فيها من الصور/[٦٣ ب] الحاصلة هناك ما هو أليق بها من أحوالها، وأحوال ما يقرب منها من الأهل والولد، وما يُهتمّ به.

ثم أن المخيّلة التي من طباعها المحاكاة تحاكي تلك المعاني الكلية الحاصلة للنفس، وتمثلها بصورة جزئية ولحْظها[٣] إلى لوح الخيال الحافظ للصور، فتبقى تلك الصورة شاهدة للحس المشترك.

ثم إن كانت تلك الصور شديدة المناسبة لتلك المعاني بحيث لا

---

(٢) وسلامة الحواس عن الغلطة في ب.

(٣) وتحطها إلى لوح الخيال في ب.

افتراق بينهما إلا في الكلية والجزئية، كانت الرؤيا غنيّة عن التعبير.

وإن كانت المناسبة حاصلةً بوجه كمال، إذا تُصُوِّر المعنى بصورة ضده، أو لازم من لوازمه، أصبَح حينئذ إلى التعبير.

وفائدة التعبير: التحليل ورجوع الفكر بالعكس من الصورة الخياليّة إلى المعنى النفساني.

وإن لم يكن هناك مناسبة أصلاً، كانت الرؤيا أضغاث أحلام[٤].

وأما في حال اليقظة فالسبب في ذلك هو أن النفس الناطقة متى قويتْ وكانت وافيةً بضبط الجوانب المتجاذبة، ولم يكن اشتغالها بتدبير البدن عائقاً لها عن ملاحظة مباديها، والاتصال بالحضرة لإلّهية، وكانت متخيلة بحيث تقوى على استخلاص الحس المشترك وضبطه عن الحواس الظاهرة، فإن النفس ـ والحال هذه ـ إذا توجّهت إلى الجناب المقدس لاستعلام ما كان أو ما سيكون، أُفيضت عليها الصورُ الكليّة لتلك الأمور.

ثم أن النفس تستعين في ضبط تلك الأمور الكلية بالقوة المتخيّلة فتحاكي تلك المعاني بما يشبهها من الأمور المحسوسة، ثم تحطّه إلى خزانة الخيال فيصير شاهداً للحس، فربما سمع الإنسان كلاماً/[٦٤ أ] منظوماً، وشاهدَ منظراً بهياً، يخاطبه بكلام فيما يحبّه من أحواله، فإن كان لا تفاوت بين تلك المعاني والصور إلا في الكلية والجزئية، كان ذلك وحْياً صريحاً، وإلهاماً، وإلا احتاج إلى التأويل.

وأما **المقام الثالث**: وهو صدور الإخبار بالأمور الغيبية عنه، فستعلمها في مواضع كثيرة من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

---

(٤) أضغاث أحلام: تخاليطها وأباطيلها، وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان، وأصل الأضغاث: ما جمع من أخلاط النبات وحزم، والواحد: ضغث ومنه قوله تعالى: ﴿قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾ يوسف ٤٤.

لا يقـال: لا نسلّم أن ذلك علم ألهمـه الله إيـاه، وأفـاضـه عليـه؛ بـل الرسول عليه السلام أخبره بوقائع جـزئية من ذلـك، وحينئذ لا يبقى بينـه وبين غيره فرق في هـذا المعنى، فإن الـواحد منـا لو أخبـره الرسـول عليه السـلام بشيء من ذلك، لكان له أن يحكي ما قـال الرسـول وإن وقع المخبَـر به على وَفق قوله، ويـدل على ذلك قـوله بعـد وصف الأتراك[٥]، وقـد قال لـه بعض أصحابه في ذلك المقام: «لقـد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب» فضحـك وقـال للرجل ـ وكـان كلْبيّاً ـ «يـا أخا كلب، ليس هـذا بعلم غيب، وإنما هـو تعلُّمٌ من ذي علم، وإنمـا علم الغيب علم الساعـة، ومـا عـدّده الله سبحـانـه من قـولـه: ﴿**إن الله عنـده علمُ السـاعـة وينـزّل الغيثَ ويعْلَم مـا في الأرْحام**﴾[٦] من ذكر وأنثى، وقبيح وجميل، وشقيّ وسعيـد، ومن يكون للنـار حـطباً، أو في الجنـان للنبيين مرافقـاً، فهذا علم الغيب الـذي لا يعلمه أحـد إلاّ الله، ومـا سوى ذلـك فعلْمٌ علّمـه الله نبيَّـه صلى الله عليـه وآله فعلّمنيه، ودعا لي بأن يعيَه صدري، وتَضْطَمّ عليه جوانحي».

وهذا تصريح بأنه تعلّم من رسول الله ﷺ؛ لأنـا نقول: إنّـا لم ندّع أنـه عليه السلام كان يعلَم الغيب؛ بل المدعَى أنه كـان لنفسه/[٦٤ ب] القـدسية استعدادٌ أن ينتقش بالأمور الغيبية عن إفاضة جـود الله تعالى. وفـرق بين علم الغيب الـذي لا يعلمه إلا الله وبين مـا ادّعينـاه، فـإن المـراد بعلم الغيب هـو

---

(٥) من خـطبة لـه رضي الله عنه في وصف الأتـراك مطلعهـا: «كأني أراهم قـومـاً «كـأن وجـوههم المَجَانّ المُطَرَّقة» يلبسون السـرق والديبـاج، ويعتبقون الخيـل العتاق، ويكـون هناك استحـرار قتـل، حتى يمشي المجروح على المقتـول، ويكـون المفلت أقـل من المـأسـور»! فقـال لـه بعض أصحابه إلخ. نهج البلاغة ١٨٦.

المجان المطرقـة: النعال التي اصلق بهـا الجلد، السرق: شقق الحـرير الأبيض، يعتبقـون الخيل العتاق: يحبسـون كرائم الخيـل ويمنعونهـا غيرهم. استمـرار القتل: اشتـداده، تضطمّ عليه جوانحي: تنضم عليه ضلوع الصدر، أي تشتمل على قلب يعيها.

(٦) سورة لقمان آيـة ٣٤، وتمام الآيـة: ﴿**وما تـدري نفس ماذا تكسب غـداً وما تـدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير**﴾.

العلم الذي لا يكون مستفاداً عن سبب يفيده، وذلك إنما يصدُق في حقّ الله تعالى. وكل علم لذي علم عداه فهو مستفاد من جوده، إما بواسطة أو بغير واسطة، فلا يكون علم غيب، وإن كان اطلاعاً على أمر غَيْبيّ لا يتأهّل للاطلاع عليه كلُ الناس؛ بل يختص بنفوس خصّت بعناية إلٓهية كما قال تعالى: **﴿عالِمُ الغيْبِ فلا يُظهِرُ عَلى غَيْبِه أحداً إلّا مَن ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾**(7).

وإذا عرفت ذلك ظهر أن كلامه عليه السلام صادقٌ مطابقٌ لما أردناه، فإنه نفى أن يكون ما قاله علم غيب؛ لأنه مستفاد من جود الله تعالى، وقوله: «إنما هو تعلّمٌ من ذي عِلْم» إشارةٌ إلى وساطة تعليم الرسول له، وهو إعداد نفسه على طول الصُحْبة بتعليمه وإرشاده له إلى كيفيّة السلوك، وأسباب التطويع والرياضة حتى استعد للانتقاش بالأمور الغيبية والإخبار عنها، وليس التعلم هو إيجاد العلم وإن كان أمراً قد يلزمه إيجاد العلم.

فتبيّن ـ إذن ـ أنّ تعليم رسول الله صلى الله عليه وآله له لم يكن مجردَ توقيفه على الصور الجزئية؛ بل إعداد نفسه بالقوانين الكلية، ولو كانت الأمور التي تلقّاها عن الرسول عليه السلام صوراً جزئية لم يحتج إلى مثل دعائه في فهمه لها؛ فإن فهم الصور الجزئية أمر ممكن سهل في حق من له أدنى فَهم، وإنما يحتاج/[٦٥ أ] إلى الدعاء وإعداد الأذهان له بأنواع الإعدادات هو الأمور الكلية العامة للجزئيات وكيفيّة انشعابها عنها وتفريعها وتفصيلها، وأسباب تلك الأمور المعدّة لإدراكها.

ومما يؤيد ذلك قوله عليه السلام: «علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألْفَ باب من العِلْم فانفتح لي من كلّ باب ألْفُ باب»(8).

---

(٧) الجن آية ٢٦، ٢٧ **﴿إلا من ارتضى من رسول فإنه يَسْلُك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾**.

(٨) عن عليّ، قال: علمني رسول الله ﷺ ألْفَ باب، كل باب يفتح ألف باب) رواه أحمد مسنده ٥/٤٣.

وقول الرسول ﷺ «أُعْطِيتُ جوامعَ الكَلِم، وأُعْـطِي عليٌّ جوامـعَ العلْم» والمـراد بالانفتـاح؛ ليس إلا التفريـع وانشعاب القـوانين الكلّية عمّـا هـو أعمّ منها.

وبجـوامع العلم ليس إلاّ ضـوابطه وقـوانينه في قـوله «وأعـطى» بـالبنـاء للمفعـول دليل ظـاهـر على أن المعـطِى جـوامـع العلم ليس هـو النبي؛ بـل الـذي أعطاه ذلـك هو الـذي أعطَى النَّبيَّ جـوامـعَ الكَلِم، وهـو الله سبحـانـه وتعالى.

أما الأمور التي عـدّدها الله سبحـانه فهي من الأمـور الغيبية، وقـوله: لا يعلمهـا أحدٌ إلاّ الله تعـالى، كقولـه تعالى: ﴿**وعنـده مَفَاتـحُ الغَيْبِ لا يعْلَمُها إلاّ هُوَ**﴾[9] وهو محتمـل للتخصيص كما في قـوله: ﴿**عـالم الغيب فلا يُـظْهِرُ على غيْبـه أحـداً إلاّ مَن ارتَـضى مِن رسـول**﴾[10] وهـذا الأمـر واضـح لا يحتـاج العاقـل في استكشافـه إلى كَلَفه، وسيجيء في أثنـاء الشرح مـا يزيـد ذلك وضوحاً إن شاء الله تعالى.

البحث الثـاني: في بيـان صـدور الأفعـال الخـارقـة للعـادة عنـه عليـه السـلام، والنظر أيضـاً إمـا في إمكـان ذلـك وفي سببـه، أو في نفس وقـوعـه عنه.

المقام الأول: في إمكانه وأسبابه.

واجب على من أيّـده الله سبحانـه لاستشـراق أنـواره إذا سمـع أن وليّـاً من الأوليـاء أتى بفعـل ليس في وســع غيـره من أبنــاء نـوعــه الإتيـان بمثله كـالإمساك عن الـطعـام المـدة المـديـدة التي ليست في وسـع أبنـاء نـوعـه، وكالتحريك أو الحركـة الخارجـة عن وسع مثله، وكمـا/[٩٥ ب] نشاهـد من

---

(٩) الأنعام ٥٩.

(١٠) الجن ٢٦، ٢٧.

طُـوفانـات[11] تقع بـاستدعـائهم، وزلازل[12]، واستنـزال عقـوبـات وخَسْف بقــوم[13] حَقّ عليهم القـول، واستشفــاء المـرضى، واستسقــاء العـطْشى ، وخضوع عُجْم الحيوانات وغيره.

أن لا يبـادر إلى التكذيب، فـإنه عنـد الاعتبار تجـد تلك الأمور ممكنـةً في الطبيعة.

أمّـا الإمساك عن القـوت فتأمـل إمكانـه فينا؛ بـل وجوده عنـد عـروض عوارض غريبة لنا:

إما بدنية كالأمراض الحادة.

وإما نفسانية كالخوف والغمّ.

وسبب الإمساك في حال المرض.

أمـا في الأمراض البـدنيّة، فـإن القوى الـطبيعية تشتغـل بهضم المـواد الرديئة عن تحريك المواد المحمودة، فتجد المواد المحمـودة حينئذ محفـوظة قليلة التحلّل، غنيّـة عن طلب البدل لمـا يتحلّل، فـربمـا انقـطع الغـذاء عن صاحبها مدة لو انقـطع مثله عنه في غيـر حالتـه تلك عُشر تلك المـدّة هَلك، وهو مع ذلك محفوظة الحياة.

[٦٦ أ]/ وأمـا النفسانيّـة، فإنـه قد يعْـرض بعـروض الخـوف للخـائف سقوط الشهوة، وفسـاد الهضم، والغمّ عن الأفعال الـطبيعية التي كـان متمكّناً

(١١) الطوفان: الماء الذي يغشى كل مكان، وقيـل المطر الغـالب الذي يغـرق من كثرتـه، وقيل: الطوفان: الموت العظيم. اللسان مادة طوف.

(١٢)الزلزال: الحركة الشديدة، ومنه قوله تعالى: ﴿**إذا زلزلت الأرض زلزالها**﴾.

(١٣) قـال الأزهري: خف بـالرجـل وبالقـوم: إذا أخذتـه الأرض ودخل فيهـا، ومنه قـوله تعـالى: ﴿**فخسفنـا به وبـداره الأرض**﴾ القصص ٨١، وحق عليهم القول: استحقـوا العـذاب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وإذا أردنا أن نهلك قريـة أمرنـا مترفيهـا ففسقوا فيهـا فحق عليها القـول فدمرناها تدميراً**﴾ الإسراء ١٦.

منها قبل الخوف؛ لوقوف القوى الطبيعية عن أفعالها بسبب اشتغال النفس بما أغمَّها عن الالتفات إلى تدبّر البدن.

وإذا عرفت إمكان ذلك بسبب العَوارض الغريبة، فاعلم أن سبب تحقّقه في حقّ العارف هو توجّه نفسه بالكلّية إلى عالم القدس المستلزم تشبّع القوى البدنيّة لها، وذلك أن النفس المطمئنة إذا راضت القُوى البدنية انجذبتْ القوى خلْفَها في مهمّاتها التي تنزعج إليها، واشتداد ذلك الانجذاب بشدة الجذْب، فإذا اشتد الاشتغال عن الجهة المولّى عنها، وقفت الأفعال الطبيعيّة المتعلقة بالقوّة النباتية، فلم يكن من التحليل إلا دون ما يكون في حال المرض؛ لاختصاص المرض في بعض بما يقتضي الاحتياج إلى الغذاء؛ كتحلّل رطوبات البدن بسبب عروض الحرارة الغريبة المسماة بسوء المزاج الحار؛ لأن الغذاء إنما يكون لسدِّ بدلِ ما يتحلّل من تلك الرطوبات، وشدة الحاجة إلى الغذاء إنما يكون بحسب كثرة التحليل، وكقصور القوى البدنية بسبب المرض المضاد له، وإنما الحاجة إلى حفظ تلك الرطوبات لحفظ تلك القوى؛ إذ كانت مادّة الحرارة الغريزيّة المقتضية لتعادل الأركان الذي لا تقوم تلك القوى إلا معه، وشدة الحاجة إلى ما يحفظ تلك القوى إنما هي بحسب شدة فتورها.

وأما العرفان: فإنه مختصّ بأمر يوجب الاستغناء عن الغذاء؛ وهو سكون البدن عند إعراض القوى البدنية عن أفعالها، حال متابعتها للنفس، وانجذابها خلفها حال توجّهها إلى الجناب المقدس، وتطعّمها بلذة معارفة الحق، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «لست كأحدكم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» وإذا عرفت ذلك ظهر أن المرض وإن اقتضى الإمساك الخارق للعادة، إلا أن العرفان بذلك الاقتضاء أولى.

وأما القدرة على الحركة التي تخرج من وسع مثله، فهي أيضاً ممكنة[٦٦ ب]/ وبيانها: أنك علمت أن مبدأ القوى البدنية هو الروح الحيواني، فالعوارض التي تَعرض للإنسان: تارة تقتضي انقباض الروح

بحركةٍ إلى داخل؛ كالخوف والحزن، وذلك يقتضي انحطاط القوة وسقوطها.

وتارة تقتضي حركة إلى خارج؛ كالغضب، وانبساطاً معتدلاً؛ كالفرح المطْرِب، والانتشاء المعتدل، وذلك يقتضي ازدياد القوةونشاطها.

وإذا عرفت ذلك، فاعلم أنه لمّا كان فرح العارف ببهجة الحقّ أتمّ وأعظم من فرح من[١٤] عداه بما عداها، وكانت الغواشي التي تغشاه وتحركه اعتزازاً بالحق، وحميّة ربانيّة أعظم مما يعرض لغيره، لا جَرم كان اقتداره على حركة غير مقدورة لغيره أمكن.

وأما السبب في الأمور الباقية فهو أنه قد ثبت في غير هذا الموضع أن تعلّق النفس بالبدن ليس تعلق انطباع فيه، وإنما هو على وجه أنها مدبّرة له مع تجرده، ثم إن الهيئات النفسانية قد تكون مبادىء لحدوث الحوادث.

وبيانه، أما أولاً، فلأنك تشاهد إنساناً يمشي على جذع ممدود على الأرض، ويتصرف عليه كيف شاء، ولو عرض ذلك الجذع بعينه على جدار عال لوجدته عند المشي عليه راجفاً[١٥] متزلزلاً يواعده ويهمّه بالسقوط مرة بعد أخرى؛ لتصوّره وانفعال بدنه عن وجهه حتى ربما سقط.

وأما ثانياً؛ فلأن الأمزجة تتغير عن العوارض النفسانية كثيراً؛ كالغضب والخوف والحرمان والفرح وغير ذلك، وهو ضروري.

وأما ثالثاً؛ فلأن توهّم المرض والصحة قد يوجب ذلك، هو أيضاً ضروري.

إذا عرفت ذلك فتقول: إنه لما كانت الأمزجة قابلةً لهذه الانفعالات

---

(١٤) ما عداه بما عداها في ب.

ـ الغواشي: جمع غاشية، وهي ما يغشى الإنسان أي يغطيه ويكتنفه وسمِّيت القيامة غاشية؛ لأنها تغشى الخلق بإفزاعها.

(١٥) راجفاً: خائفاً.

عن هذه الأحوال النفسانية، فلا مانع لبعض النفوس خاصّية لأجلها تتمكن من التصرّف في عنصر هذا العالم بحيث يكون لنسبتها إلى كلية العناصر كنسبة أنفسنا إلى أبداننا، فيكون لها حينئذ تأثير في إعداد المواد العنصرية لأن يُفَاضَ عليها صورُ الأمور الغريبة التي تخرج عن وسْع مثلها، فإذا انضمّتْ إلى ذلك الرياضات فانكسرت سَوْرة الشهوة(١٦)/[٦٧ أ] والغضب، وبقيتا أسيرتين في يد القوة العاقلة، فلا شك أنها حينئذ تكون أقوى على تلك الأفعال.

وتلك الخاصّية: إما عيب المزاج الأصلي، أو عيب مزاج طارىء غير مكتسب، أو بحسب الكسب والاجتهاد في الرياضة، وتصفية النفس.

والذي يكون بحسب المزاج الأصلي فذو المعجزات من الأنبياء والكرامات من الأولياء، فإن انضم إليها الاجتهاد في الرياضة، بلغت الغاية القصوى في ذلك الكمال.

وقد تغلب على مِزاج من له هذه الخاصّية أن يستعملها في طرف الشر، وفي الأمور الخبيثة، ولا يزكي نفسه كالساحر فيمنعه خبثه عن الترقي إلى درجة الكمال.

واعلم أن الشرط الأول للنبوة أن يكون الشخص مأموراً من السماء بإصلاح النوع، ثم من لواحق مرتبة الأنبياء أمور:

الأول: أن يستغنوا في أكثر علومهم عن معلّم بشري؛ بل تحصل لهم بحسب قواهم الحدْسية القدْسية الشريفة البالغة، وشدة اتصال نفوسهم بالحق سبحانه.

الثاني: أن يكون هيولى(١٧) العالم طوعاً لما أرادوا من الأمور العجيبة

(١٦) سَوْرة الشهوة: حدتها وسطوتها.

(١٧) هيولى: لفظ مرادف للمادة، وقد رد أرسطو الأشياء إلى مبدأين: الصورة والهيولى، فكل شيء هو جزء من المادة الأولية اكتسب صفات معينة حددت طبيعته ووظيفته وهي صورته.

الخارقة للعادة كالخسْف والتحريكات والتسكينات.

الثالث: أن يتمكنوا من الإخبار عن المغيبات والأمور الجزئية الواقعة في الماضي أو في المستقبل.

والشرط الأول هو العمدة في تمييز درجة الأنبياء عن غيرهم، ولا شك أن اختصاصهم به إنما هو لشدة اتصالهم، فإذن هم أشد اتصالاً بالمبدأ الأول، وأكمل قوة من غيرهم، ولكنّ اختلاف مراتبهم عائدٌ أيضاً إلى تفاوت نفوسهم في قربها من المبدأ، أو اتصالها به.

وأما باقي الخصال فقد يشاركهم فيه الأولياء، ويجتمع فيهم، وإلى هذا المعنى أشار النبي ﷺ بقوله: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»[18]، وكان التفاوت بين المعجزة والكرامة[19] إنما يرجع إلى أن الخصال

والهيولى لا تكون أبداً بغير صورة إلا في التحليل العقلي.

والصورة لا تكون إلا في هيولى مع بعض الاستثناءات كالله، والنفس قبل حلولها في الجسد وبعد مفارقتها له.

والهيولى مستعدة أن تكون أي شيء حسب الصورة التي تحلّ فيها، ويعبر عن هذا بأن الهيولى تكون في أي شيء بالقوة، فإذا حلت بها صورة معينة أصبحت شيئاً معيناً بالفعل. الموسوعة ص ١٩٣٣.

(١٨) «علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل» الحديث أورده العجلوني في كشف الخفاء ٢/ ٨٣ رقم ١٧٤٤ وقال: قال السيوطي في الدرر: لا أصل له، وقال في المقاصد شيخنا! يعني ابن حجر ـ لا أصل له، وقبله الدميري والزركشي، وزاد بعضهم ولا يعرف في كتاب معتبر.

ولأبي نعيم بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه: «أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد» انتهى.

وممن نقله جازماً بأنه حديث مرفوع الفخر الرازي.

وفي الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ص ٢٨٦ قال:

حديث «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» قال ابن حجر والزركشي:

لا أصل له، وروي بسند ضعيف: أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد.

(١٩) قال الفيروزابادي: «وأما الفرق بين المعجزة والكرامة: إن المعجزة مختصة بالنبي دائماً وتقرن بالتحدي ولا يمكن تحصيلها بالكسب والجهد، ويكون أثرها باقياً بحسب إرادة

المذكورة إن صدرت عمن له الشرط الأول سميناه: معجزاً.

وإن صدرت عن غيرهم كانت في حقه كرامة. وتحقيق هذه المباحث بُني على مقدماتٍ وأصول ليس هذا موضع ذكرها، فليطلب ذلك من مظانّها، وبالله التوفيق.

المقام الثاني: في وقوع الفعل الخارق عند علي عليه السلام.

واعلم أن الطريق إلى ذلك هو النقل، وقد نقل عنه ذلك في صور ثبت بعضها بحسب التواتر(٢٠)، وبعضها بخبر الآحاد(٢١)/[٦٧ ب].

فمن الأمور الخارقة المنقولة عنه بحسب التواتر: قلعه لبابِ خيْبر لمّا انتهى إليه، وكان من صخرة واحدة يعجز الجماعة عن تحريكه، وروي في كيفية حاله في ذلك أنه لما اقتلعه وجَابَهُ(٢٢) أذرعاً، واجتمع عليه سبعون رجلاً، وكان جهدهم أن أعادوه إلى مكانه، وروي أنه قال: «عالجت باب خيبر وجعلته مخبأً لي، وقاتلت القوم، فلما أخزاهم الله، وضعت الباب على خصمهم طريقاً، ثم رميتُ به في خندقهم، فقال له رجل: لقد حملت يا أمير المؤمنين منه ثقلاً، فقال: ما كان إلا مثل جُنّتي التي في يدي في غير ذلك المقام.

ومعلوم أن ذلك لم يصدر عن قوة بدنيّة، وإلا لقدر على ذلك من هو

النبي.

وأما الكرامة، فموقوفة على الولي ويكون كتمانها واجباً عليه، وإن أراد إظهارها وإشاعتها زالت وبطلت، وفي بعض الأوقات يعجز عن إظهارها.

بصائر ذوي التمييز ١/٦٦ والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

(٢٠) المقصود بالتواتر هنا: أن يروي الحادثة عدد من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وتحيل العادة تواطأهم وتوافقهم على الكذب، ويحصل اليقين بصدقهم.

(٢١) ضد الآحاد: أن يروي الحادثة عدد لا يبلغ نقلته في الكثرة حد التواتر.

(٢٢) جاب البلاد: قطعها، وإنجاب الظلام: انشق، وانجابت الأرض: انخرقت، والمراد هنا جاب باب الصخرة: حركه وزحزحه وقلعه. اللسان مادة جوب.

أقوى صورة منه، ولذلك قال عليّ: والله ما قلعتُ باب خيبر بقوة جسدانية؛ ولكن قلعته بقوة ربانية[٢٣]، وللشعراء في هذه الآية أشعار كثيرة، والقصة مشهورة.

فهذا القدر يكفينا في بيان فضائله عليه السلام، وعليك في باقي الأمور المنقولة عنه في ذلك بالكتب المصنّفة في بيان معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء.

ولقد اجتهد بنو أمية[٢٤] في إخفاء فضائله، وإطفاء نوره بالتحريف، ووضع المعايب والمثالب حتى سبّوه على جميع المنابر، ومنعوا أن يُروى حديث يتضمّن له فضيلة، وأن يُسمى باسمه أحد، فلم يزدد بذلك الإخفاء إلا ظهوراً، ولم يُثمر ذلك الإطفاء إلا نوراً، **﴿ويأْبَى اللّهُ إلاّ أنْ يُتِمَّ نُورَهُ ولوْ كرِهَ الكافِرُون﴾**[٢٥].

وكان مولده عليه السّلام قبل ظهور دعوة النبي ﷺ بثلاث عشرة سنة، وقيل: اثنتي عشرة سنة، وقيل عشر سنين.

وقُتل ليلةَ الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقِين من شهر رمضان من سنة

---

(٢٣) يروي أبو رافع مولى الرسول عن غزوة خيبر قال: خرجنا مع على حين بعثه رسول الله ﷺ برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده، فتناول علي باباً كان عند الحصن فترس به نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر مع سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه!»... وقال علي بن أبي طالب: «والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدية ولكن بقوة ربانية» على إمام المتقين ـ عبد الرحمن الشرقاوي.

(٢٤) بنو أمية: بيت عربي من الخلفاء والحكام الذين أسسوا الدولة الأموية في المشرق، والدولة الأموية في الأندلس، وينتسبون إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ، واستمرت الدولة الأموية في المشرق من ٤٠ ـ ١٣٢ هـ بدأت بمعاوية بن أبي سفيان ٤٠ ـ ٦٠ هـ. وأسس الدولة الأموية في الأندلس عبد الرحمن الداخل الذي عرف بصقر قريش سنة ٧٥٦ م وحكمت الدولة الأموية في الأندلس حتى ١٠٣١ م.

(٢٥) سورة التوبة آية ٣٢.

أربعين من هجرة الرسول ﷺ بجامع الكوفة، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

فهذا ما أردنا من هذه المقدمة، لنشرَع بعدها في تقرير المطالب، وقبله بذكر نسب السيد الرضيّ رضي الله عنه، ونبيّن ما عساه يشكل من لفظه في خطبة الكتاب.

أما نسبه فهو سيد الشريف رضيّ الدين ذو الحسبين محمد بن الطاهر ذي المناقب/[٦٨ أ] أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن موسى بن جعفربن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وصف بذي الحسَبيْن؛ لاجتماع أصله الفاخر الذي هو منبع الحسب مع فضيلة نفسه وكمالها بالعلم والأدب.

وكان مولده ببغداد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.

وتوفي في المحرم سنة ست وأربعمائه بالكرخ من بغداد.

ودفن مع أخيه المرتضى في جوار جده الحسين عليه السلام.

فهارس الكتاب



فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

من أقوال الإمام عليّ كرم الله وجهه

فهرس الأمثال

فهرس الأبيات

فهرس أنصاف الأبيات

فهرس الأعلام

فهرس اللغة

مصطلحات لغوية

الطوائف

مصطلحات منطقية

المراجع

١ ـ أخبار أبي تمام، الصولي، لجنة التأليف.
٢ ـ **أسرار البلاغة**، عبد القاهر الجرجاني، الاستقامة.
٣ ـ **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة**، محمد بن علي الجرجاني، نهضة مصر.
٤ ـ **أصول البلاغة**، كما الدين ميثم البحراني، دار الشروق.
٥ ـ الأعلام، الزركلي، ط ٢.
٦ ـ **الأغاني**، الأصفهاني، دار الكتب.
٧ ـ **الإكسير في علم التفسير**، الطوفي البغدادي، النموذجية.
٨ ـ **أنباه الرواة**، القفطي، دار الكتب.
٩ ـ **الإيضاح**، الخطيب القزويني، النموذجية.
١٠ ـ **بصائر ذوي التمييز**، الفيروزأبادي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
١١ ـ **بغية الوعاة**، السيوطي، عيسى الحلبي.
١٢ ـ **البلاغة**، المبرد، الشعب.
١٣ ـ **البيان والتبيين**، الجاحظ، الخانجي.
١٤ ـ **التبيان في علم البيان**، ابن الزملكاني، بغداد.
١٥ ـ **تجديد علم المنطق**، عبد المتعال الصعيدي، النموذجية.
١٦ ـ **تفسير الطبري**، الطبري، الأميرية.
١٧ ـ **تهذيب التهذيب**، ابن حجر، ١٣٢٥ هـ.

١٨ ـ **جمهرة الأمثال**، أبو هلال العسكري، القاهرة.
١٩ ـ **حسن التوسل**، التنوخي، العراق.
٢٠ ـ **حقائق التأويل**، الشريف الرضي، بيروت.
٢١ ـ **حلية الأولياء**، أبو نعيم الحافظ.
٢٢ ـ **الحماسة**، أبو تمام، السعودية.
٢٣ ـ **دقائق السحر في حدائق الشعر**، الوطواط، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
٢٤ ـ **دلائل الإعجاز**، عبد القاهر الجرجاني، المنار.
٢٥ ـ **ديوان الأعشى الكبير**، النموذجية.
٢٦ ـ **ديوان امرىء القيس**، دار المعارف.
٢٧ ـ **ديوان البحتري**، دار المعارف.
٢٧ ـ **ديوان بشار**، لجنة التأليف.
٢٨ ـ **ديوان تأبط شرا**، النجف.
٢٩ ـ **ديوان أبي تمام**، دار المعارف.
٣١ ـ **ديوان الخريمي**، بغداد.
٣٢ ـ **ديوان ذي الرمة**، دمشق.
٣٣ ـ **ديوان زهير**، دار الكتب.
٣٤ ـ **ديوان السري الرفاء**، ط ـ العراق.
٣٥ ـ **ديوان الصاحب بن عباد**، ط بغداد.
٣٦ ـ **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، مصر.
٣٧ ـ **ديوان كثير عزّة**، بيروت.
٣٨ ـ **ديوان لبيد**، الكويت.
٣٩ ـ **ديوان المتنبي**، لجنة التأليف.
٤٠ ـ **المعاني الكبير، ابن قتيبة الدينوري، الهند.**
٤١ ـ **ديوان ابن المعتز**، العراق.
٤٢ ـ **ديوان الهذليين**، دار الكتب.

٤٣ ـ **سر الفصاحة**، ابن سنان، صبيح.
٤٤ ـ **سنن الترمذي**، تحقيق أحمد عزت، مصطفى الحلبي.
٤٥ ـ **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، عيسى الحلبي.
٤٦ ـ **شذرات الذهب**، ابن العمار، ط ١٣٥١.
٤٧ ـ **شروح التلخيص**، القزويني وآخرين، عيسى الحلبي.
٤٨ ـ **الشعر والشعراء**، ابن قتيبة، دار المعارف.
٤٩ ـ **صحيح البخاري**، البخاري، الميمنية.
٥٠ ـ **صحيح الترمذي**، المجلس الأعلى.
٥١ ـ **صحيح مسلم**، مسلم، عيسى الحلبي.
٥٢ ـ **الصناعتين**، أبي هلال العسكري، عيسى الحلبي.
٥٣ ـ **ضحى الإسلام**، أحمد أمين، النهضة المصرية.
٥٤ ـ **طبقات ابن المعتز**، ابن المعتز، دار المعارف.
٥٥ ـ **الطراز**، العلوي، المقتطف.
٥٦ ـ **فجر الإسلام**، أحمد أمين، النهضة المصرية.
٥٧ ـ **فوات الوفيات**، الكتبي، السعادة.
٥٨ ـ **الكتاب**، سيبويه، الأميرية.
٥٩ ـ **كتاب البديع**، ابن منقذ، مصطفى الحلبي.
٦٠ ـ **الكشاف**، الزمخشري، الاستقامة.
٦١ ـ **كشف الخفاء**، العجلوني، لبنان.
٦٢ ـ **اللسان**، ابن منظور، بولاق.
٦٤ ـ **لسان الميزان**، العسقلاني، الهند.
٦٥ ـ **المؤتلف والمختلف**، الآمدي، ١٣٥٤ هـ.
٦٦ ـ **المثل السائر**، ابن الأثير، نهضة مصر.
٦٧ ـ **المجازات النبوية**، الشريف الرضي، مصطفى الحلبي.
٦٨ ـ **مجمع الأمثال**، الميداني، محيي الدين.
٦٩ ـ **مذكرة في علم الأصول**، الطودي، ١٩٣٣.

٧٠ ـ **المزهر**، السيوطي، عيسى الحلبي.
٧١ ـ **معجم الأدباء**، ياقوت الحموي، عيسى الحلبي.
٧٢ ـ **معجم الشعراء**، المرزباني، عيسى الحلبي.
٧٣ ـ **المفضليات**، الضبي، دار المعارف.
٧٤ ـ **مقامات الحريري**، الحريري، بيروت.
٧٥ ـ **الموسوعة العربية الميسرة**، إشراف محمد شفيق غربال، ١٩٦٥.
٧٦ ـ **الموشح**، المرزباني، نهضة مصر.
٧٧ ـ **نهاية الإيجاز**، الفخر الرازي، ١٣١٧ هـ.
٧٨ ـ **نهج البلاغة**، الإمام علي، الشعب.
٧٩ ـ **النكت**، الرماني، دار المعارف.
٨٠ ـ **نهاية الأرب**، النويري، دار الكتب.
٨١ ـ **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، ١٣١٠ هـ.
٨٢ ـ **يتيمة الدهر**، الثعالبي، السعادة.

فهرس الموضوعات

الجملة الثانية
في النظم

القاعدة الثانية

في الخطابة

وفيها أبحاث وخاتمة

القاعدة الثالثة

في بيان أن علياً عليه السلام
كان مستجمعاً ففضائل الإنسانية،
وفيها فصول

مطابع الشروق

بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣ ـ برقيا : داشروق ـ تلكس: SHOROK 20175 LE
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف : ٧٧٤٨١٤ ـ ٧٧٤٥٧٨ ـ برقيا : شروق ـ تلكس: 93091 SHROK UN